



من تاريخ التصوف والزوايا بالمغرب

ذ. إبراهيم أعراب

الزاوية والمدرسة الكرسيفية

جوانب من التاريخ الديني والعلمي لزاوية مرابطية بسوس
تكوين ومسار نخب البادية المغربية



من تاريخ التصوف والزوايا بالمغرب

ذ. إبراهيم أعراب

الزاوية والمد رسة الكرسيقية

جوانب من التاريخ الديني والعلمي لزاوية

مرابطية بسوس

تكوين ومسار نخب البادية المغربية



الكتاب : الزاوية والمدرسة الكرسيقية
تأليف : الأستاذ إبراهيم أعراب
الناشر : منشورات دار الأمان
العنوان : 4، زنقة المامونية - الرباط
الهاتف : 0537 72 32 76 - الفاكس : 0537 20 00 55
البريد الإلكتروني : E-mail : Darelamane@menara.ma
الحقوق : جميع الحقوق محفوظة
الطبع : مطبعة الأمنية - الرباط
الهاتف : 0537 72 48 39 - الفاكس : 0537 20 04 27
البريد الإلكتروني : E-mail : impoumnia@yahoo.fr
الإيداع القانوني : 2010MO0125
ردمك : 978-9954-502-04-4

إهداء

إلى والدي ووالدتي شكرا وبراً
بهما



﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾

(سورة النور، الآية: 35)

(ليست الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة
إنما هي بالصبر واليقين والهداية).

— أبو الحسن الشاذلي —

بقلبك كن بالحب منصغاً وكن
بظاهرك المشهود في زي أجنبي
وهذا طريق نادر عز أهله

على أنهم فازوا بأعذب مشرب

(عن الأنوار القدسية في مناقب السادة الشاذلية للشيخ ياسين بن إبراهيم
السنهوتي)

مُقَدِّمَةٌ

البحث في تاريخ البوادي المغربية من زاوية التصوف والزوايا والمؤسسات التعليمية والدينية والنخب المرتبطة بها من علماء وصلحاء عمل له أهميته لأنه يساهم في رفع الحيف عن هذه الأطراف والتي لم تحظ بنصيبها من البحث والدراسة والاهتمام مقارنة مع الحواضر والمراكز من جهة، ومن جهة أخرى يبرز مساهمة نخب البادية المغربية ومثقفاتها من علماء وفقهاء ومتصوفة ومدرسين الخ في الثقافة المغربية والعربية الإسلامية ومد جسور التواصل الفكري والروحي مع الحواضر وحين يتعلق الأمر ببوادي سوس أو جزولة فإن التاريخ لهذه الجهات جد قليل، ويبقى المجهود الأكثر حضوراً هو العمل التاريخي الذي قام به المرحوم محمد المختار السوسي الذي يستحق لقب مؤرخ سوس العالمة، حيث سجل في مختلف مؤلفاته وكتبه وعلى رأسها المعسول في عشرين جزءاً، مجمل المظاهر الثقافية والدينية ومؤسسات التعليم ورجالات التصوف والصلاح وتراجم العلماء والأدباء السوسيين.. الخ وفي هذا السياق أرخ للتصوف وطرقه وزواياه وللأسر العلمية وللعلوم المتداولة بسوس، ومن ضمن هذه الأسر التي خصها باهتمامه في المعسول نجد الأسرة الكرسيفية وأعلامها وشيوخها وفقهائها.. الخ، ونحن في هذا حاولنا استكمال العمل التاريخي للمختار السوسي حول هذه الأسرة وأعلامها مستعينين بمؤلفات م. السوسي نفسه ومصادر ومراجع أخرى مما أتيج لنا العثور عليه ولم نكتف بالسرد التاريخي بل اعتمدنا أيضاً على تحليل المعطيات التاريخية المتوفرة على قلتها وقسمنا الكتاب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: إضاءات حول المدرسة والزاوية الكرسيقية
ويتضمن:

- 1 - المدرسة والزاوية الكرسيقية من التأسيس إلى القرن 13هـ
- 2 - تراجم الكرسيقيين من خلال مؤلفات المختار السوسي كنموذج للتأريخ للصلحاء ببادية سوس.

القسم الثاني: نماذج لأعلام من الزاوية والمدرسة الكرسيقية: الفقه والتصوف
ويتضمن:

- 1 - الفقه ومجتمع البادية: النوازل والفتاوى الفقهية لعمر بن عبد العزيز الكرسيقي (ق 13 هـ) من خلال كتاب: المؤلفات الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيقي جمع وتحقيق د. عمر أفا.
- 2 - الشيخ خالد بن يحيا الكرسيقي (ق 9 هـ) وكراماته: متصوف الشوق والمحبة والتوحيد.
- 3 - مهدوية وحركة عبد الله الكرسيقي (ق 12 هـ) من خلال بعض المصادر التاريخية بين الرواية المحلية ورواية المركز.

القسم الثالث: النخبة السوسية والإصلاح
ويتضمن:

- 1 - علماء سوس بين المحلي والوطني: علماء سوس وتأسيس جمعية علماء سوس والمعهد الإسلامي بتارودانت.
- 2 - المرأة والحقل الديني بسوس، نماذج لنساء متصوفات وفقهات من جزولة.

القسم الرابع: ملاحق ونصوص مختارة

ويتضمن ملاحقا ونصوصا مختارة وهي:

1 - الرسالة التوغزيفية للفقير محمد بن الحسن التوغزيفي حول نسب الكرسيفيين.

2 - المناظرة الفقهية الكرسيفية الفاسية للفقير الكرسيفي أحمد بن عبد الله الملقب بالمفتي من القرن 12 هـ. 3 - وصف لرحلة حجية لمحمد بن أحمد بن بلقاسم الكرسيفي (ق 13 هـ). 4 - رسالة في السعاية عن حقوق المرأة للفقير عمر بن عبد العزيز الكرسيفي (ق 13 هـ). 5 - وله أيضا قصيدة شعرية: بعنوان مضي عمري. 6 - وله فتوى حول الإحرام. 7 - قصيدة في رثاء الشيخ حسن بن عبد الله (11 هـ). 8 - قصيدتين لخالد بن يحيا الكرسيفي: الخلدية والتوحيدية - وللعثماني محمد الكرسيفي الأسكاوري نص حول شيخه الحاج الحبيب التناطي، ولأخيه محمد العثماني نص حول جزولة وقبائلها واللغة الشلحية المعتمدة بها، ثم نص لمحمد المختار السوسي من كتابه المعسول ج 17 وهو عبارة عن ترجمة لحياة ذ. عبد الله شاكر الكرسيفي كنموذج لتراجم الكرسيفيين في المعسول ثم أخيرا نص إبداعى أدبي بعنوان "بداية الطريق" وهو نص له صلة بالتجربة الصوفية من خلال تأملات شخصية متخيلة.

وقد حرصنا على التعريف بهذه النصوص كنماذج لكتابات ونصوص الكرسيفيين ووضعنا لكل نص تقديميا خاصا به..

ونأمل من خلال هذا التأليف تسليط الضوء على جوانب من الزاوية والمدرسة الكرسيفية وإشعاعها العلمي والديني ودورها في نشر الفقه المالكي والتصوف السني، وباعتبارها إحدى الزوايا والمدارس المرباطية الأقدم بسوس التي جمعت بين الفقه والتصوف والمتشعبة بتعاليم مدرسة الجنيد والشاذلي. ولكنها لم تحظ بنصيبها من البحث مما عرضها للإهمال والنسيان. وعسانا أن نكون منصفين بهذا المجهود المتواضع في إضافة حلقة مفقودة إلى حلقات التأريخ الديني

والعلمي للبوادي المغربية وبادية سوس تحديداً، ونشكر في هذا السياق جمعية أكرسيف لما قامت به من دعم وجهد ليرى هذا الكتاب النور، هذا ويجدر التنبيه، إلى أن اختيارنا كعنوان للكتاب: الزاوية والمدرسة الكرسيقية جوانب من التاريخ العلمي والديني لزاوية مرابطية بسوس ضمن عنوان أكبر هو: من تاريخ الزوايا والصلحاء بالمغرب، كان بدافع التأكيد على أن تاريخ سوس وبواديه هو جزء من تاريخ المغرب وأن سوس كانت دائماً وعلى مدى أجيال مساهمة من طرف نخبتها في بناء الشخصية والهوية المغربية بأبعادها المحلية والعربية والإسلامية وكان اختيارنا للزاوية والمدرسة الكرسيقية التي جمعت بين الفقه المالكي والتصوف السني وساهم إعلامها وفقهاؤها في دعم وترسيخ الوحدة العقائدية والفقهية المالكية والصوفية السنية مناسبة أيضاً لتتبع ورصد وضعية ومسار نخبة محلية من علماء البوادي ارتبطت بالتعليم العربي الإسلامي ومدارسه بسوس، وسعت لتجاوز الظروف التي أحاطت بها في فترة الحماية ومع بداية الاستقلال مما كان يهدد وجودها ومكانتها، وهذا ما حاولنا البحث فيه في القسم الثالث من هذا الكتاب عند حديثنا عن علماء سوس وتأسيس جمعية علماء سوس وبناء المعهد الإسلامي بتارودانت.

فعسى أن نكون وفقنا في هذا الكتاب وحققنا الهدف منه كإضافة للكتابات وللدراسات التي أنجزت حول عالم العلماء والزوايا بالبادية المغربية، وأعلام الثقافة العربية الإسلامية بسوس، ولا تخفى الصعوبات التي تعترض الباحث في هذا المجال لندرة المصادر والوثائق التاريخية إضافة إلى ما تتطلب مثل هذه الأبحاث من البحث والتنقيب لجمع المادة التاريخية وغربلتها مع التحري في استخلاص الحقائق بموضوعية وقد أشار د. عباس الجراري عميد الأدب المغربي إلى جوانب من هذه الصعوبات في تقديمه لكتاب حول شخصية محمد المختار السوسي ضمن أعلام المغرب، حيث قال بأن إحدى الصعوبات التي تعترض اليوم كل من يرغب في تسجيل حياة الأعلام "طبيعة الكتابة في هذا الفن وما تقتضيه من ملكات وقدرات تبدأ من إمكان البحث والتنقيب لاستجماع

المادة واستقصائها إلى التحري في استخلاص الحقائق بموضعية تبتعد عن هوى الذات وتيارات العصر الجاذبة (انظر مقدمة الكتاب: محمد المختار السوسي، أعلام المغرب: تأليف جماعي: د. مصطفى الشليح، د. أحمد السليمان، ذ. بوشتي السكيري).

وآمل أن أكون في هذا المؤلف قد التزمت بهذه القاعدة وابتعدت عن هوى الذات بحكم انتمائي لهذه الأسرة الكرسيقية التي عملت على التأريخ لزاويتها ومدارسها وأعلامها.. لأن هوى الذات أو الانحياز الذاتي خصم للموضوعية والعلمية، ذلك لأنني لا أنكر أن اهتمامي بالموضوع قد لا يخلو من جانب ذاتي، لكنني حاولت قدر المستطاع التوفيق بين الذاتية والموضوعية وهو على كل اختيار صعب ومحفوف بالمخاطر وأتمنى أن أكون وفقت في هذا الاختيار الصعب وأترك للقراء تقييم حدود نجاحي أو إخفاقي في هذه المحاولة بعد قراءة الكتاب.

وأخيرا، لا يمكنني إلا أن أستعيد ما كتبه المختار السوسي في تقديمه لكتابه "سوس العالمية" منذ 1960 وقد مر عليه الآن قرابة خمسين سنة، لكن هذه الفقرة لا زالت لها راهنتها حيث يقول: "في المغرب حواضر وبواد، وتاريخه العلمي لا يمكن أن يتكون تكويننا تاما إلا من التواريخ الخاصة لكل حاضرة من تلك الحواضر ولكل بادية من هذه البوادي، فإذا كانت بعض الحواضر فازت بما يلقي على تاريخها العلمي بعض ضوء ينير الطريق للسالكين، فإن تلك البوادي لا تزال إلى الآن داجية الآفاق في انتظار المتطلعين الباحثين"، فعساي أن تكون هذه المساهمة محاولة في إلقاء بصيص من الضوء على جانب من جوانب هذا التاريخ العميق المهمش والمنسي، دون الإدعاء بأننا أحطنا بكل الجوانب والأعلام في الماضي البعيد أو القريب، وعذرنا نذرة المصادر والوثائق وصعوبة الوصول إلى المتوفر منها على قلته مما لا زال محجوزا عن جهل أو عن قصد بين أيدي خاصة، فحالت بينه وبين الباحثين المتطلعين.

القسم الأول

إضاءات حول الزاوية والمد رسة الكريسيقية

I- المدرسة والزاوية الكر سيفية وأدوارها الصوفية والعلمية

من التأسس إلى القرن الثالث عشر الهجري

تقديم:

ظاهرة الصلاح والولاية تبلورت كما يؤكد ذلك الباحث د. محمد القبلي⁽¹⁾ بعيدا عن الدولة المركزية، وأساسا في المناطق البدوية. ومرت بعدة مراحل لتعرف مرحلتها القوية والمعممة في الجنوب المغربي خلال القرن السابع الهجري (11م)، واشتهرت خلال هذه المراحل عدة أسر مرابطية وطوائف وصلحاء مثل الماجريين المنسوبة للشيخ أبو محمد صالح الماجري، والهزميريين والركراكيين بين دكالة وحاحا والشعبيين نسبة إلى أبو شعيب أيوب الصنهاجي بأزمور من القرن 6 هـ (12م) وبني أمغار (المغاريين) نسبة إلى أبي عبد الله أمغار الصنهاجي⁽²⁾ أحد شيوخ محمد بن سليمان الجزولي، وأغلب هذه الطوائف والأسر الصوفية المرابطية استمدت تعاليمها من صوفية الجنيد عبر عبد السلام بم مشيش ثم الشاذلي، وستظهر الطائفة الجزولية مع محمد بن سليمان الجزولي (تو 870 هـ) في القرن التاسع الهجري التي ستعمل على إدخال عنصر الشرف إلى جانب التصوف مما سيغذي حركة الأشراف السعديين التي انطلقت من الجنوب المغربي بدعم من شبكة الزوايا الجزولية وصلحائها في القرن العاشر الهجري كما هو الشأن مع زاوية أقا وشيخها محمد بن مبارك الأقاوي⁽³⁾، فمع الجزولية ستبدأ المرحلة

(1) القبلي محمد، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، منشورات الفنك، البيضاء، 1998، صفحات من 20-26.

(2) انظر كتاب ابن قنفذ، 740 هـ. أنس الفقير وعز الحقير بخصوص الطوائف الصوفية.

(3) السوسي محمد المختار: المعسول، الجزء 18 حول شخصية الأقاوي ومدرسته وعلاقته بالسعديين.

الشريفية Le Cherifisme بعد أن تصدرت المرابطية Maraboutisme لحقبة طويلة مارست فيها سيادتها وتأثيرها من خلال صلحائها ومؤسساتهم الدينية من ربط وزوايا وجوامع حيث كانوا يقومون بأدوار متعددة تعليمية وجهادية في الثغور المستعمرة أو ضد الطوائف والنحل الدينية كالخوارج والبرغواطية والشيعة من أجل الأسلمة وترسيخ المذهب السني المالكي، كما أن بعضهم كان دعامة لتأسيس إمارات ودول تجاوزت محيطها القبلي، وقد كان هؤلاء الصلحاء محل اعتقاد وتبرك وتقديس تنسب لهم الكرامات ومارسوا دور التحكيم - أمام غياب الدولة - بين القبائل وإقرار السلم وتأمين الأسواق والطرق التجارية.. الخ

كما عبروا عن مواقف نقدية معارضة لسياسة السلاطين وتعسفهم ضد الرعية.. ومن ضمن هذه الأسر المرابطية بسوس التي تسلسل فيها الصلاح والعلم منذ بداية القرن السابع الهجري (11 م) نجد الأسرة الكرسيقية، وهي أسرة مرابطية سملالية من جزولة هاجر أحد أبنائها من توغزيقت ليستقر بتادارت بأملن (تافراوت)، وهو الشيخ عمرو بن نعمان مع ابنه محمد المدفون بأمار حسين وأبو بكر المعروف بأبي يحيا المدفون بتادارت إزاء والده... فمع أبي يحيا هذا وهو جد الكرسيقيين الذي يرفع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان، ستظهر هذه الأسرة على مسرح الصلاح بالمنطقة، وسيكون بالتالي هو المؤسس، فكيف إذن هو مسار هذه الأسرة المرابطية التي كانت لها أدوارها وإشعاعها في المنطقة ومحيطها بأملن وجبال لكست وقبائلها وفي أمانوز.. والأطلس الصغير عموما (جزولة)؟ وكيف جمعت بين الصلاح والتصوف والفقه والتعليم من خلال مدارسها وزاويتها المرتبطة بتعاليم الشاذلية والتصوف السني والمذهب المالكي؟ إن المصادر والوثائق التاريخية حول هذه الأسرة والزواوية قليلة جدا بحكم هامشيتها ومحليتها، لكن مع ذلك سنحاول رغم هذه الصعوبة رسم معالم هذه الزاوية ومراحلها وبعض شيوخها وأدوارها من خلال ما تتوفر عليه من هذه المصادر وذلك من التأسس إلى القرن 13 هـ.

1- أكرسيف والكرسيفيون في بعض المصادر التاريخية

من أقدم الوثائق والمصادر التاريخية التي ورد فيها ذكر أكرسيف والكرسيفيون، هناك الوثيقة المعروفة بـ "ديوان قبائل سوس" في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012 هـ) موافق (1578 - 1603 م) أي في القرن 16 م (10 هـ) وهذه الوثيقة قام بتحقيقها ذ. عمر أفا، وتضمنت معلومات عن سكان منطقة سوس وقبائلها في القرن 16 م، وكان الغرض منها حسب ما ذكر مؤلفها تقديم معلومات للسلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي عن قبائل سوس الأقصى وعددها، ومرابطيها وشرفائها... الخ إبان حملته سنة 988 هـ / 1580 م التي قام بها لسوس... وقد ذكر مؤلف هذا الديوان واسمه إبراهيم بن علي بن عبد الله الحساني، أهل أكرسيف بعبارة "أولاد أكرسيف" من ضمن الذين كانوا معفيين من الجبايات⁽⁴⁾. وهذا يفيد بأن الكرسيفيين كانوا يحظون بتقدير واحترام سلاطين الدولة السعدية، وهذا ما تؤكده وثيقة أخرى من القرن 16 م وهي فهرسة محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني المعروفة بدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر⁽⁵⁾، وقد ألف ابن عسكر هذه الفهرسة عام 985 هـ الموافق لـ 1577 م ذكر فيها شيوخه في التصوف وتوسع فيها فذكر كل من عرف من شيوخ التصوف والزهد في القرنين 10 و 11 الهجري والكتاب هذا -الذي حققه ذ. محمد حجي- "يقدم صورة واضحة لأعلام المغرب وفقهائه وشيوخ التصوف خاصة المنتمين للشاذلية والجزولية بالشمال المغربي".

وفي هذا السياق جاء ذكره للشيخ الصوفي خالد بن يحيى المصمودي الكرسيفي وبعض مناقبه حيث قال عنه : "الشيخ أبو البقاء خالد بن يحيى المصمودي، كان هذا الرجل ممن جدد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

(4) هذه وثيقة تاريخية مهمة حول قبائل سوس في القرن 16 م وقد جاء ذكر أولاد أكرسيف في ص: 26 منها وقد قام بتحقيقها الأستاذ عمر أفا.

(5) ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 104، تحقيق محمد حجي.

وافتحخر به الإسلام"، ومن معجزات هذا الولي/الشيخ كتابته بسببتيه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" على حجر⁽⁶⁾، وعن الاحترام والتقدير الذي يحظى به أولاد الشيخ (الكرسيقيون) من طرف السعديين، وسبب ذلك أورد ابن عسكر الحكاية أو الكرامة التالية: "قالوا: لما استفحل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ وتغلب على أقطار بلاد السوس وضع عليها الخراج وجعل الوظيف على رؤوس الناس وسماه بالنائبة وكان يضبط أزمة ذلك مع كتابه إلى أن مروا بذكر أولاد الشيخ خالد، قال لهم السلطان أرسموهم لي في النائبة فقال له الكاتب: أبو عبد الله محمد بن الحسن: يا مولاي لا تفعل إنهم أولاد الشيخ سيدي خالد، فقال لهم السلطان وإن كانوا، المسلمون كلهم سواء في هذا الأمر، فرسموهم، ثم بلغ ذلك لأولاده بعد أيام فجاءوا إلى قبر أبيهم وقالوا: يا سيدي إن السلطان جعلنا في زمام النائبة وكيف نعطيها وأنت عندنا؟ فرأى السلطان في تلك الليلة وكأن رجلا جعل رجله على بطنه وهو يقول له: لئن لم تننه عني لأخرجن فؤادك، فقال له ومن تكون؟ فقال: خالد، ثم إن السلطان استيقظ مرعوبا وقد انتفخ جسمه حتى عاد كالعدل، فبعث لحينه إلى الكاتب المذكور وقال له: اكتب للأولاد الشيخ خالد بأن لا يطوف أحد بساحتهم بمكروه أبدا ما دام الملك في عقبننا وأسقطهم من زمام الخراج وابعث من يحمل إليهم الكتاب، فقال له الكاتب: ألم أقل لك يا مولاي سيدي خالد يحمي حماه، فقال له عجل بما أمرتك به، فبعث الكاتب كتاب السلطان إلى أولاد الشيخ وقال لهم: اجتهدوا في الدعاء بالخير إلى السلطان عند قبر الشيخ ففعلوا فعوفي من ألمه، وعقب الشيخ إلى الآن في عز منيع وحرر رفيع⁽⁷⁾.

فإذا أضفنا ما قاله صاحب ديوان قبائل سوس وما نقله صاحب الدوحة بخصوص علاقة أهل أكرسيف بسلاطين الدولة السعدية منذ بدايتها مع أبو عبد الله محمد الشيخ الذي لقب بالمهدي وحتى فترة حكم السلطان أحمد المنصور

(6) المرجع نفسه.

(7) دوحة الناشر، ص: 105.

الذهبي نصل إلى أن المصدرين معا يؤكدان على المكانة المتميزة والمعاملة الخاصة التي كان مرابطي أكرسيف يحظون بها في العصر السعدي وترجع بعض المصادر أسباب هذا التميز والمعاملة الخاصة القائمة على التقدير والاحترام والإعفاء من الجبايات الخ.. إلى كون شيوخ وأساتذة السعديين كانوا من تلامذة الشيوخ الكرسيفيين.. حيث تشير هذه المصادر إلى أن الشيخ عبد الله بن مبارك الأقاوي (936هـ/1015هـ) التي كان وراء بيعة أبي عبد الله محمد السعدي (محمد الشيخ السعدي)، ودعا القبائل السوسية لدعمها للجهاد ضد البرتغاليين.. هو تلميذ الحسن بن عثمان الجزولي الكرسيفي التملي الأسكاوري (من القرن 10هـ).. وسيعمل سليمان الجزولي وهو من المتصوفة الذين أسسوا الطريقة الجزولية الشاذلية على دعم الحركة الجهادية التي قادها السعديون من سوس ضد الاحتلال الإيبيري للسواحل المغربية كأكاير والجديدة وغيرها.

والكرسيفيون هم أيضا جزوليون سملايون انحدروا من تغزيفت بسملالة. واستقرت أسرة منهم بأملن بتادارت في القرن السادس الهجري (12م) وتشير المصادر التاريخية في هذا الصدد إلى أن أحد صلحاء هذه الأسرة المرابطية وهو عمر بن النعمان الذي استوطن بتادارت، بينما انتقل أخوه سعيد بن النعمان إلى تهالة، وثالث إخوته يسيمور بن النعمان إلى أنمسا.

وستكون البداية الحقيقية لتأسيس الرباط والمدرسة مع أحد أبنائه الذي ستعرف معه الأسرة ذيوعا وانتشارا وإشعاعا في قبائل المنطقة في مجال التصوف والتربية وتدريس العلوم الشرعية وترسيخ الإسلام السني والمذهب المالكي وهو أبو بكر بن عمرو بن نعمان (ق7هـ) المعروف بأبي يحيى، قال عنه محمد بن أحمد الحضيكي في طبقاته: "أبو بكر بن عمرو بن نعمان شيخ بلادنا العالم الكبير والصوفي الشهير سيدي أبو يحيى جد الولي سيدي خالد بن يحيى الكرسيفي كان رضي الله عنه زاهدا ورعا وعارفا من أكبر العارفين وله كلام في المعرفة والطريقة وكان فقيها مقرئا فائقا بارعا في علم التفسير والحديث توفي رحمه الله سنة خمس

وثمانين وستمائة (685 هـ) وعقب ثلاث ذكور عبد الرحمان وعلياً ويحيى ولعله به
يكنى ووصاهم على الاعتناء بالعلم والعمل ونهاهم عن طلب الرياسة والدنيا،
وسادتنا أولاده يرفعون نسبهم إلى ذي النورين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه
ونفعنا بهم⁽⁸⁾ وهذا نفسه ما سبق أن قاله عنه الرسموكي في وفياته (وفيات
الرسموكي) من القرن (11 هـ)⁽⁹⁾.

وتشير مصادر أخرى إلى أن الشيخ أبو بكر بن عمرو والمعروف بأبي يحيا
الكرسيفي رحل طلباً للعلم إلى قرطبة بالأندلس، دون أن تتحدث هذه المصادر
عن تفاصيل هذه الرحلة وتاريخها والأساتذة أو الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو
يحيا، وإن كان هناك إشارة إلى قيام هذا الشيخ بالانكباب على التدريس والإرشاد
الديني في مسجده بتادارت مقر والده لينتقل بعد ذلك إلى أكرسيف بطلب من
قبائلها من أجل إقرار السلم وحفظ الأمن في مواجهة فوضى القبائل وصراعاتها
وقطاع الطرق حيث سيعمل هناك على التعليم وتحفيظ القرآن وتفسيره، متنقلاً
بين أكرسيف وتادارت إلى أن توفي ودفن بها قرب والده.

ويذكر محمد المختار السوسي في كتابه "سوس العالمة"، إلى أن الشيخ أبو
يحيا الكرسيفي المتخرج من الأندلس كان من أول المتصفيين بالبراعة في علم
التفسير⁽¹⁰⁾، وقد عاصر مولاي عبد السلام بن امشيش (625 هـ) وتلميذه أبي
الحسن الشاذلي (656 هـ).

وإجمالاً فإن بداية المرحلة الكرسيفية لهذه الأسرة السملالية المرباطية التي
توارثت الصلاح والعلم والتي يرفع مؤرخها محمد بن الحسن التوغزريفي
السملالي (توفي 1214 هـ) نسبها إلى عثمان بن عفان، كما جاء ذلك في مؤلف صغير

(8) الحضيكي أحمد، طبقات الحضيكي، الجزء الأول ج تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو ص: 145.

(9) الرسموكي، وفيات الرسموكي، تقديم وتحقيق مختار السوسي، ص: 37.

(10) السوسي محمد المختار، سوس العالمة، ص: 33.

له: "الرسالة التوغزيفية في نسب الأسرة الكرسيقية⁽¹¹⁾ يبدأ مع الشيخ أبو يحيا فهو المؤسس للرباط وللمدرسة والزاوية الكرسيقية.. وذلك منذ القرن السابع الهجري (11م) ليصبح بعدها أكرسيف حاضرا في دائرة الصلحاء والعلماء بهذه البلدة من قبيلة أمانوز وليشكل بذلك "مركزا ثقافيا ودينيا ليس فقط في أمانوز، ولكن في بوادي سوس والأطلس الصغير وجزولة عموما، حيث تحدث عن "أكرسيف والكرسيقيين" وإشعاعهم العلمي والروحي عدة مؤرخين وعلى رأسهم مؤرخ سوس محمد المختار السوسي سواء في كتابه المعسول الجزء 17 أو في كتابه "سوس العالمة" وعد الكرسيقيين من ضمن أهم الأسر العلمية بسوس، ومن ضمن ما قاله عنهم في "سوس العالمة"، "وكان هؤلاء - يقصد الكرسيقيين - من أسرة علمية عربية كانوا أولا يقطنون في قرية توغزيفت من سملالة ثم انتقل بعضهم إلى أكرسيف بقبيلة أمانوز فهناك فرعوا وعلموا وألفوا في القرن السابع عصر أبي يحيا المتوفى سنة 685 هـ⁽¹²⁾، وفي المعسول ج 17 يقول: "يجب أن نؤدي الحق لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها على حسب ما نعلم، وهذه الفروع كثيرة وقد تفرقوا بالسكنى في البلاد وأصلهم الأصيل من توغزيفت بسملالة ثم هناك إلى وادي أملن فأمانوز (أكرسيف) و(إيرغ) من قبيلته إذا كنضيف و"ألبن" و"تمكدشت" و"أمسرا" بإفران و"تغجيجت" و"أكلوا" و"إياسافن نايت هارون" و"حاحة"... (...). والله يوفقنا ويسدد خطانا حتى نؤدي ما علينا من الحق الأكيد لهذه الأسرة التي تسلسل فيها العلم والصلاح في سوس منذ القرن السادس إلى الآن".. ولم أعرف - يقول السوسي - أسرة تسلسل فيها العلم أبا عن جد في زهاء ألف سنة إلا هذه الأسرة والأسرة الفاسية بفاس⁽¹³⁾."

(11) وردت هذه الرسالة عن نسب الأسرة الكرسيقية في المعسول الجزء 17 صفحات من 43-50.

(12) م.س، سوس العالمة، سبق ذكره، ص: 115.

(13) م.س، المعسول، الجزء 17، ص: 43.

وإلى جانب محمد المختار السوسي مؤرخ سوس الذي أرخ لأكرسيف وعلمائها وصلحائها منذ القرن السادس الهجري هناك أيضا مؤرخون مغاربة وباحثون ممن اهتموا بالحياة الفكرية والدينية بالمغرب عامة وبسوس خاصة، وتوقفوا عند أكرسيف ودورها العلمي وإشعاعها الروحي والديني كما قام بذلك الباحث والمؤرخ الدكتور محمد حجي في كتابه "الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين" حيث قال عن اكرسيف بكونها "من المراكز العلمية القديمة بسوس حيث تبتدئ سلسلة فقهاء من القرن الهجري السابع، واشتهر الكرسيفيون في سوس بمزيد من إقبال على الفقه حتى يقال أن مقبرتهم تضم جناحا خاصا بالنساء اللائي يحفظن المدونة⁽¹⁴⁾" ومن علماء أكرسيف ومتصوفهم يذكر حجي "خالد بن يحيا الكرسيفي (توفي 9/514/920) له موشحات وقصائد في مدح الرسول ﷺ بعنوان: "نتيجة الإلهام في وصف دار السلام" والذي تختم جميع أبياتها بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والشيخ عبد الله بن محمد الكرسيفي (تو 1026هـ /1617) - والحسن بن عبد الله الكرسيفي (تو 1038-1628م) ابن من قبله ويعرف عند قومه ببوتزكارت أي صاحب السدرة، وتخرج على يد عبد الله بن يعقوب السملالي واشتغل مثله بالتدريس وإرشاد العامة على طريق الخير والصلاح (وكان من اصحاب الطريقة الجزولية الشاذلية) - محمد بن عبد الرحمان الكرسيفي (تو 1038هـ/1629م) من كبار فقهاء أكرسيف وعميد التدريس لها، قرأ بسوس ثم كانت له رحلة مشرقية أخذ أثناءها عن شيخ المالكية بمصر علي الأجهوري وأجازه - عبد العزيز بن محمد الكرسيفي (1077هـ/1666م) قام مقام أبيه في التدريس⁽¹⁵⁾. وإذا أردنا القيام بجرد لجل الصلحاء والعلماء الذين عرفتهم الأسرة الكرسيفية منذ بداية تأسيس مدرستها وزاويتها مع المؤسس الأول أبو يحيا الكرسيفي دفين تادارت.. فأنا سنجد أنفسنا أمام عدد كبير من الفقهاء

(14) حجي محمد، الحركة الفكرية في عهد السعديين، ج 2، ص: 609.

(15) حجي محمد، نفسه، ص: 610-611.

والصلحاء ترد أسماؤهم وتراجهم في عدة مصادر ومؤلفات محلية كوفيات الرسموكي- ومناقب البعقلي - وبشارة الزائرين للكرامي" وطبقات الحضيكي،... إضافة على دوحة الناشر لابن عسكر.. الخ.

وقد عمل مؤرخ سوس محمد المختار السوسي في جل مؤلفاته خاصة : سوس العالمة" وخلال جزولة - ومدارس سوس العتيقة، يبلغ قديما وحديث - المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية - رجالات العلم العربي في سوس (من القرن 5 إلى منتصف الرابع عشر) - المعسول في جزئه السابع عشر، الذي خصص جانبا مهما منه للكرسيفيين... عمل على التأريخ للأسرة الكرسيفية والتعريف بأهم فقهاء وصلحاءها ومساهماتهم في مختلف المجالات والعلوم التي يعتني بها السوسيون.. ويمكن في هذا السياق الوقوف عند نماذج من فقهاء وصلحاء أكرسيف ممن كان لهم حضور لافت ومساهمة متميزة في النهضة العلمية السوسية سواء في مجال تأسيس المدارس العلمية أو التدريس أو في مجال التأليف في شتى أنواع العلوم الدينية والشرعية... أو في مجال التصوف والصلاح والإرشاد الديني وترسيخ الإسلام السني والمذهب المالكي في أملن وأمانوز وتهالة والمساهمة في توسيع وأسلمة وتعريب القبائل الأمازيغية بالأطلس الصغير وجبل لكست وجزولة حيث كانت تتواجد تجمعات يهودية لازالت آثارها في أمانوز وتهالة. (مقابر وبقايا ملاحات).

2 - خصائص وميزات المدرسة والزاوية الكرسيفية ونماذج من أعلامها :

تميزت المدرسة والزاوية الكرسيفية بالجمع بين الجانب الصوفي والجانب العلمي الفقهي.. حيث برز فيها شخصيات ونماذج جمعت بين الصلاح والتصوف والفق والتدريس.. وكانوا من الناحية الصوفية في مرجعياتهم في الغالب شاذلية ثم جزولية.. ويتضح ذلك على الخصوص من خلال شخصيات كان لها ظهور بارز في مسار الأسرة الكرسيفية بعد مؤسسها الأول وهي شخصية خالد بن يحيى الكرسيفي من القرن (9هـ) ولحسن بن عبد الله الكرسيفي المعروف

محليا بسيدي لحسن أعبلا بوتزكارت من القرن 11هـ والعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي الذي اعتبر من أشهر فقهاء المغرب في القرن 13 هـ (بداية القرن 19م) وسكن بأرغ بأدا وكنز . ، ولهذا يعرف في بعض التأليف بعمر بن عبد العزيز الكرسيفي الإيرغي الأكنضيفي، وهو إضافة إلى اهتمامه بالفقه اهتم أيضا بالتأليف في النقود والأوزان وقد حقق له: ذ. عمر أفا رسالتين في النقود والأوزان، وعاصر عهد السلطان العلوي المولى سليمان..

هذا دون إغفالنا لباقي علماء وفقهاء وصلحاء هذه الأسرة الكرسيفية الذين تحفل بأسمائهم كتب التراجم والمناقب والتاريخ سواء كانوا من أبناء وحفدة ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي يحيا وهم المعروفون حاليا بالبوزيديين (آيت بوزيد) أو أبناء عثمان بن عبد الرحمان بن أبي يحيا أخوه وهو جد الغازيين (آيت الغازي) وهما معا أبناء عمومة يلتقيان في عبد الرحمان ابن أبي يحيا الكرسيفي دفين تادرات المؤسس الأول للأسرة وللمدرسة والزاوية الكرسيفية، ذلك أن عبد الرحمان ابن أبي يحيا كان له ولدان ابراهيم (هو جد البوزيديين) وعثمان (جد الغازيين)، ويطلق عليهم جميعا أولاد سيدي أبي يحيا مع اضافة المستقرين منهم بتادرات وأمرحسن وأكرضان وإيليك وتمكيدشت وأسكاور وتازلاخت وأكيوز وإيرغ وتالات إيزكاغن وحاحا...الخ

وإجمالا فإن زاوية ومدرسة أكرسيف كانت مع مؤسسها ومع مختلف أجيالها وفروعها زاوية مرابطية ومدرسة علمية جمعت بين علوم الظاهر (الفقه) والتصوف علم الباطن والعمل التربوي والإرشادي وسط قبائل المنطقة.. ولم تكن لها ميولات أو طموحات سياسية إلا في حالة واحدة كانت بمثابة استثناء وحصلت مع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الكرسيفي المعروف في بعض كتب التاريخ بالثائر الكرسيفي وذلك سنة 1148هـ (القرن 12 هـ / القرن 18 الميلادي) بعد موت السلطان مولاي اسماعيل، ذلك أن هذا الفقيه الذي بنى مدرسة في أوزليت إزاء أسكاور حاول تحويل الزاوية الكرسيفية إلى إمارة على غرار ما قام به أحفاد

أحمد بن موسى بزوايته بتازروالت، وقد نقل لنا المؤرخ الضعيف الرباطي في كتابه المعروف بتاريخ الضعيف الرباطي، جانبا من حركة الفقيه الكرسي في الوزليتي حيث قال: "وفي هذه السنة المذكورة ثار بأقصى سوس القائم أبو محمد عبد الله ومحمد الكرسي في من انتملت حرك لأهل أكادير ودخلها عنوة بالسيف⁽¹⁶⁾".

وأورد مؤرخ سوس محمد المختار السوسي تفاصيل أوفى عن ثورة هذا الفقيه الكرسي في الوزليتي وبعض الظواهر التي حرر بها أهله الكرسي فيين⁽¹⁷⁾. كما تحدث عن تمرد مؤرخ الدولة العلوية المرحوم ابن زيدان في تاريخه إتحاف أعلام الناس⁽¹⁸⁾. وعموما فإن هذا الفقيه الكرسي في هو الحالة الوحيدة ضمن هذه الأسرة الذي تطلع للإمارة مخالفا بذلك وصية جده الأول أبو يحيا الذي أوصى أبناءه بالاعتناء بالعلم والعمل ونهاهم عن طلب الرياسة والدنيا⁽¹⁹⁾. وتظل مع هذا الاستثناء السمة الغالبة على الكرسي فيين فقهاءهم وصلحائهم هو الاشتغال بالعلوم والتدريس والإرشاد والتربية الدينية والروحية وفق المذهب السني المالكي.

2 - بعض المدارس الكرسي فية وفروعها:

في إطار اشتغالهم بالتدريس أسس الكرسي فيون مدارس في أكرسي في وخارجها منها:

أ- مدرسة أنيكيو: بناها أحد الفقهاء الكرسي فيين البوزيديين بأنيكيو قرب داره وهو عبد الله بن بلقاسم بن علي بن عبد الرحمن بن حمد بن بلقاسم بن عبد الله في القرن 13هـ، وكانت تعينه على تمويل مدرسته عدة قبائل منها أهل تيزكي

(16) الضعيف الرباطي، ج 1، ص: 209.

(17) م.خ، ج: 17، ص: 76-87.

(18) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج: 4، ص: 406-407.

(19) وردت هذه الوصية في طبقات الحضيكي، سبق ذكره.

بتاهلة.. وإضافة إلى انكبابه على التعليم والتدريس كان يقوم أيضا بالقضاء وفض النوازل وقد اطلع المختار السوسي، كما كتب ذلك في ترجمته له في المعسول⁽²⁰⁾ على فتاويه وأحكامه التي تدل على رسوخ علمه وتوفي سنة 1270هـ.

ب- **المدرسة العالمية:** وهي مدرسة كرسيفية أسسها الفقيه والصوفي بلقاسم بن محمد بن الحسن جد آل العالم (أيت العالم) قال عنه الحضيكي أنه كان رجلا صالحا فقيها كريما صواما قواما بنى مدرسته إزاء داره وجعل يدرس فيها ويطعم الطعام ويصلح بين الناس (..) توفي رحمه الله سنة 1182هـ (القرن 13هـ/ القرن 19م) وخلفه أحد أحفاده وهو محمد بن أحمد بن بلقاسم وكان كما قال فيه الجشتي من صلحاء وقته "لا يفطر إلا في أيام العيد" توفي عام 1214هـ وله رسالة كتبها في طريقه إلى الحج وصف فيها ما وقع له مع ركوب البحر، ونص الرسالة أورده م. المختار السوسي في المعسول⁽²¹⁾. وهذه العائلة العالمية أسست ودرست في مدارس أخرى كالمدرسة الوفقاوية..

ت- **المدرسة الوزلية:** وهي مدرسة علمية بناها الفقيه عبد الله بن بلقاسم في اوزليت بأسكاور قرب داره وهو الثائر الكرسيفي الذي تطرقنا له، وذلك في القرن 12هـ (18م).

ث- **المدرسة الإيرغية:** وهناك أيضا المدرسة الإيرغية بإيدا وكنضيف، ازدهرت مع عبد العزيز الكرسيفي 13هـ.

إضافة إلى هذه المدارس هناك جامع أكرسيف الذي شارط فيه لمدة الحاج المحفوظ بن عبد الله بن الحسن الكرسيفي وقد تتلمذ كما نقل ذلك مؤرخ سوس العالمية محمد المختار السوسي على ابن عمه محمد بن علي في علم القراءات كما سبق أن درس عن الأستاذ مبارك البعقلي في مدرسة أوخريب . وقد تحول المسجد أو

(20) م.خ، المعسول، ج:17، سبق ذكره.

(21) م.خ، المعسول، ج:17، ص:197.

الجامع حاليا إلى مدرسة قرآنية وهو جامع قديم تم تجديده وتموله بعض القبائل الأمازيغية كعادة متوارثة، وهناك مسجد أيت بوزيد وهو مسجد بأيت بوزيد بناه والد الشيخ الحسن بن عبد الله في القرن 11 هـ.

ج- المدرسة التازلاغية: التي أسسها بتازالاغت عبد الله بن محمد الكرسيفي في القرن 13 هـ ومنها تخرج الشيخ أبو زيد الجشتيمي.

ح- المدرسة المارخسية التي ازدهرت مع يعقوب بن أحمد الكرسيفي (القرن 11 الهجري):

مما تقدم نستنتج أن هذه الأسرة الكرسيفية أسست عدة مدارس وساهمت في إغناء الثقافة العربية الإسلامية بسوس وكان لها إشعاعها الفكري والروحي الذي وإن تراجع وخفى مقارنة مع ما كان عليه في الماضي فإن هذا لا ينبغي أن ينسينا أسماء وشخصيات فكرية ودينية وصوفية وفقهية كان لها تأثيرها وأدوارها في الصلاح والتعليم من قبيل الشيخ أبي يحيا (الجد المؤسس) وخالد بن يحيا وعبد الله بن محمد الكرسيفي وابنه لحسن بن عبد الله وغيرهم ممن ظهوروا في العصور والقرون الماضية بدءا من القرن السادس الهجري، وكانت لهم شهرة ومكانة خاصة في العصر السعدي، وفي القرن العاشر الهجري (16م) حتى القرن 13 هـ (19م) مع العلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي الذي كتب عنه عمر. أفا في تقديم لمؤلفاته الكاملة التي صدرت ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أنه: "كان من العلماء الذين وسموا الحركة العلمية والفقهية بسوس خلال القرنين 12 وبداية 13 هـ بإسهاماته العلمية المختلفة واجتهاداته الفقهية وحضوره النشط في مجال التأليف، تدل على ذلك مؤلفاته العديدة والمتنوعة في العلوم الفقهية والفلكية والحساب والتصوف⁽²²⁾". وقد أحصى له الدكتور عمر

(22) أفا عمر، المؤلفات الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 14-18.

أفا - وهو أستاذ للتاريخ بكلية الآداب بالرباط - العديد من التأليف والرسائل والتقاييد في في مسائل فقهية دقيقة ومتشعبة سائرا على ذلك في مذهب مالك، حيث بلغت مؤلفاته ورسائله أزيد من تسعة وعشرين مؤلفا.

وقد عاش هذا الفقيه الكرسيفي في عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله (1171-1204 هـ / موافق 1757-1790م) وبداية العهد السليمانى.

عموما فهذه جوانب من تاريخ اكرسيف والكرسيفيين ودورهم الثقافى والروحى، وتعريف ببعض من إسهامات أكرسيف كإحدى المراكز الثقافية والدينية بالأطلس الصغير وفي بوادي سوس كرباط، وكزاوية مرابطية محلية، يسمى مؤسسها والقائمون عليها مرابطون ينتمون إلى حركة الصلحاء التي انطلقت في المغرب ضمن شبكة التصوف الشاذلي ثم الجزولي في القرنين 15 و16م، هذه الشبكة التي شكلت في بوادي المغرب وفي سوس تيارا لترسيخ المذهب السني المالكي والمساهمة بالتالي في إكمال وتوسيع أسلمة وتعريب القبائل الأمازيغية الشلحية، والجمع بين التصوف والتربية وتدرّس العلوم الشرعية مع تأثير للتصوف الأندلسي، لهذا ليس مستغربا أن يكون مؤسس الزاوية والمدرسة الكرسيفية رحل إلى الأندلس وإن كانت المصادر لا تسعفنا بتفاصيل هذه الرحلة والشيوخ الذين اخذ عنهم، إلا أن المرجح أن التأثير الأندلسي قد يكون حاضرا في منحاه الصوفي والفقهى، وقد ساهم التأثير الشاذلي والتصوف السني عامة في تحقيق التقارب بين عالمي الفقه والصلاح في شخصية المشايخ والصلحاء الكرسيفيين. وهذا ما يشكل إحدى مميزات المدرسة الكرسيفية التي نبغ فيها فقهاء ومتصوفة في آن واحد، أهل الصلاح وشيوخ العلم والتدرّس، مع الحرص على السنة والمذهب المالكي ولدينا كما أسلفت نماذج من هذه الأسرة العاملة الكرسيفية تؤكد هذا الرأي.. سنقف عند بعضها حيث نجد هذه الميزة في الجمع بين الفقه والعلم والصلاح واضحة ومع أول مؤسس للمدرسة والزاوية الكرسيفية أبو بكر بن عمرو بن نعمان المعروف بأبي يحيا من القرن 7هـ (11م) الذي

كان فقيها وعالما بارعا في علم القراءات والتفسير إلى جانب كونه من المرابطين والصلحاء المتبرك بهم، كما اشتغل بالتدريس سواء في تادارت أو بأكرسيف وكان كثيرا ما يقطع المسافة بين أكرسيف وتادارت مع طلبته مشيا على الأقدام. وكان أول من أحدث عادة إدرنان (الرقاق) تزامنا مع دخول السنة الفلاحية الجديدة بهدف التزاور والتقارب بين سكان المنطقة وقبائلها.

أما الشخصية الثانية فهو خالد بن يحيا صاحب تميمس البوردة وعدة قصائد أخرى في مدح الرسول ﷺ ومن القرن 9 هـ، ومطلع قصيدته "الخلدية" والتي لازالت تقرأ إلى الآن في المناسبات الدينية بأكرسيف هو:

الصلاة والسلام	والشنا طول الدوام
على شافع الأنام	خير مولد محمد
إلى آخر القصيدة حيث يقول:	
وأعوذ بالصلاة	على صاحب الآيات
فعسى عند الوفاة	أجد فضل محمد

إلى جانب قصيدة في وصف الجنة: "نتيجة الإلهام في وصف دار السلام" أو التوحيدية التي شرحها لحسين بن داوود الرسموكي.

أما الشخصية الثالثة فهو لحسن بن عبد الله (المعروف ببوتزكارت - صاحب السدرة والده هو عبد الله بن محمد توفي (1026هـ/1617م) عالم وصالح ترجم له الحضيكي في طبقاته - أما ابنه الحسن الذي ينطق بتاشلحيت (سيدي لحسن أعبلا) فهو الآخر عالم وصالح جمع بين العلم والصلاح ودرس على يد عبد الله بن يعقوب السملالي بمدرسة تازمرت بسملالة وهذا الأخير أخذ عن أبي عمر المراكشي وأصله من الأندلس وكان مشهورا بالعلم والصلاح ومن أصحاب الشيخ عبد الكريم الفلاح 933هـ (ق 10هـ) الذي أخذ بدوره عن الشيخ عبد العزيز

التباع بمراكش الآخذ عن محمد بن سليمان الجزولي، مما يفيد بأن لحسن بن عبد الله الكرسيفي ينتمي للتصوف الجزولي الشاذلي مثله في ذلك مثل سلفه خالد بن يحيى الذي نعتة ابن عسكر مؤرخ الطريقة الشاذلية بالشيخ آية الله في خلقه وأعجوبته في ملكوته" في كتابه دوحه الناشر - وذلك ما يظهر ن خلال سلسلة أساتذته وشيوخه وهي كالتالي: لحسن بن عبد الله الكرسيفي ← عبد الله بن يعقوب السملالي ← أبي عمرو الأندلسي المراكشي ← الشيخ عبد الكريم الفلاح المراكشي الشيخ عبد العزيز التابع المراكشي ← وهذا الأخير من أصحاب وتلامذة محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات ومؤسس الطريقة الجزولية وهو ينتسب بطريقته لأبي الحسن الشاذلي عن طريق سلسلة من مشايخ الشاذلية مع أبي عبد الله امغار والأمغارين⁽²³⁾.

وبهذا يلتقي الشيخ لحسن بن عبد الله مع الشيخ أحمد بن موسى / شيخ تازروالت في هذا السند الصوفي عند عبد العزيز التابع وهو شيخ أحمد بن موسى - ومعلوم أن التصوف الشاذلي والجزولي عموما يغلب عليه محبة آل البيت ومحبة الرسول ﷺ ومدحه وكثرة الصلاة عليه، واعتنائهم بدلائل الخيرات كورد من أورادهم وله أيضا أحزاب ودعوات منها الحزب المسمى بحزب سبحان الدائم، وحزب الفلاح، وهو مجموع آيات وأذكار يقرأها الجزوليون⁽²⁴⁾، كما أن الجزوليين كانوا ممن دعموا الدول السعدية في بداية نشأتها ولهذا حظي شيوخ الجزولية وزواياها بتقدير السعديين واحترام سلاطينهم وقد استفاد الكرسيفيون بحكم علاقة شيوخهم بالشاذلية والجزولية من هذا التقدير والاحترام. كما جاء ذلك في "ديوان قبائل سوس" ودوحه الناشر" وقد تطرقنا لذلك من خلال

(23) للمزيد من التفاصيل حول سند الجزولي ومريديه انظر كتاب ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع لمحمد المهدي الفاسي.

(24) جلاب حسن، محمد بن سليمان الجزولي، مقارنة تحليلية لكتابه الصوفية، مطبعة تيممل مراكش، 1993، ص: 48.

موقف السلطان السعدي ابو عبد الله محمد الشيخ (أمغار) وأحمد المنصور الذهبي، فتبين إذن ما تقدم أن الشيخ الفقيه محسن بن عبد الله جزولي شاذلي.. وكانت داره التي لا تزال قائمة بعد ترميمها والتي تعرف محليا (بتكمي نشيخ) محلا لإقامته وسكنه وللدراسة كما كان يستقبل فيها ضيوفه من القبائل التي كانت تقصده للتبرك أو للتعليم وفض النزاعات.. وقد قال فيه الكرامي في بشارة الزائرين: "المرباط الأفضل سيدي الحسن بن سيدي عبد الله ابن سيدي محمد - فتحا - بن أبي زيد الكرسي في توفي رحمه الله ببلده عام 1038هـ" ويرى المختار السوسي بأن وفاته كانت عام 1074 مفندا ما قاله الكرامي.

وقد خلف الشيخ من الأولاد خمسة هم: عبد العزيز - محمد - علي - بلقاسم - أحمد، ورثاه الشاعر والفقيه ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن الكرسي في بقصيدة مطلعها:

تسل عن الدنيا وإن راق حسنهما	وءائق زهرها وزان سناها
ولا تغترر يبرقها وشروقه	فما هو إلا خلب في سماها

إلى أن قال:

لقد أضرمت بنيرانها بكبودنا	وابدت لنا حريقها ولظاها
ثناء من الله الجليل بحكمه	علينا بموت شيخنا لا يضاهي
ملاذ الوري قطب الوري كشاف	بالحسن المحمود فوق ثراها

وقد نقل ذ. محمد المختار السوسي في معسوله نص القصيدة كاملة⁽²⁵⁾. ولهذا الشيخ أخوين هما علي وبلقاسم، فأما علي فأولاده وأحفاده بتازلاخت من قبيلة أيت عبلا، وأما بلقاسم فهم من استوطن اسكاور ومن حفدته الثائر المشهور بين

(25) م.خ، المعسول، ج: 17، ص: 96.

الكرسيفيين منذ 1148 والذي بنى مدرسته بأوزليت/ أسكاور (سبق ذكره) والبعض منهم بأنيكيو مثل عبد الله بن بلقاسم بن علي مؤسس مدرسة انيكيو (سبق ذكره). وقد جمع لحسن بن عبد الله على عادة مشايخ الأسرة الكرسيفية بين العلم والصلاح وكان مقصد القبائل المنطقة يتدخل لحل النزاعات بينها ويتم التبرك به، ولا زالت إلى الآن تأتي بعض هذه القبائل لزيارة أكرسيف في مناسبات محددة خلال كل سنة كما هو الحال بالنسبة لايركاك وأيت عبلا وأيد وسكا أما أيت توافوت وإيساكن فقد انقطعوا عن هذه الزيارة، أما بالنسبة للعلاقة مع المخزن فتشير بعض المصادر إلى أن أبناءه خاصة منهم عبد العزيز حظي بعناية خاصة من طرف اغناج قائد الخليفة عبد المالك الحاحي خليفة السلطان العلوي سليمان على تارودانت قاعدة سوس عام 1221 هـ (ق 13هـ) (19م) بنى له داره بأكرسيف مع قبائل المنطقة، وكان القائد اغناج هذا قد خرج في حركة لقبائل سوس لجمع الجبايات والأعشار للمخزن وهدم الكثير من الحصون كحصن أمكور نايت عبلا، وحصن تنزرت عام 1246 هـ .. مما يفسر المكانة التي كان يتمتع بها أبناء وحفدة الشيخ الفقيه لحسن بن عبد الله وتأثيره على قبائل المنطقة.

أما الشخصية الكرسيفية الأخرى والتي جمعت بين الفقه والصلاح والتي نود إضاءة جوانب من مسارها العلمي وعطاءاتها في مجال النوازل الفقهية في مختلف العلوم الشرعية والعربية، فهو الفقيه والفلكي والمؤقت والنحوي والمحدث والصوفي عمر بن عبد العزيز الكرسيفي الذي استقر بإيزغ بإيدا وكنضيف. وعاصر السلطان العلوي محمد بن عبد الله وبداية العهد السليمانى حيث توفي عام 1214 هـ الموافق 1800م (أي في القرن 13هـ/19م) نتيجة الوباء الذي ضرب المغرب وسوس في هذه الحقبة. وقد ترك الكرسيفي عددا مهما من المؤلفات في شتى العلوم كالفقه والحساب والسكك والأوزان والمكايل وعلم الفلك والتوقيت والتصوف والحديث والنحو وقد تتلمذ الكرسيفي في بدايته عن الشيخ المدرس صاحب كتاب الطبقات "محمد بن أحمد الحضيكي" وكان من

مشايخه وأجازته إجازة عامة، أوردتها بنصها في كتابه "الأجوبة الروضية" وقال فيه الجشيمي عبد الرحمان في كتابه "الحضيكيون" بأنه كان فقيها بارعا أديبا وعالما وحيسوبيا وفرضيا ونحويا له قصائد وأجوبة وفتاوى⁽²⁶⁾، وتؤكد باقي المصادر الأخرى على التكوين العلمي الموسوعي للكرسي في وكونه ألف في عدة فنون وعلوم ويقول عنه السوسي م بأنه "كان أنشط معاصريه في كل الميادين العلمية" فألف وذيّل وبين وشرح، وأفتى وأقضى، وهو من أصحاب الشيخ الحضيكي وقد بنيت عليه في إيرغ قبة تقام حوله حفلة سنوية⁽²⁷⁾، وقد قام الأستاذ عمر أفا بمجهود علمي بجمع جزء من مؤلفات وفتاوى هذا الفقيه الكرسي في الموسوعي وبقي جزء آخر منها مخطوطا⁽²⁸⁾.

وبالرجوع لأهم مؤلفاته نلاحظ أن عمر بن عبد العزيز الكرسي في كان ذا شخصية متميزة ضمن كوكبة الشخصيات العلمية والفقهية الكرسية بكثرة مؤلفاته ومنظوماته وتنوع مجالاتها من فقه وحديث ونحو وتصوف وفلك وشعر.. الخ مما يحق معه أن يوصف معها بالفقيه الموسوعي والكاتب الأديب والشاعر الصوفي.. وكما انتبه إلى ذلك د. عمر أفا في مقدمة تحقيقه لمؤلفات الكرسي في⁽²⁹⁾ فإن هذه المؤلفات المتعددة والمتنوعة تعبر عن الظرفية التاريخية التي عاشتها منطقة سوس وعصر المؤلف التي كان عصرا اضطرب فيه التعامل التجاري بالمغرب نتيجة التعامل مع البلدان الأوربية عن طريق الموانئ المغربية في عهد السلطانين العلويين محمد بن عبد الله وسليمان حيث دخل الأوربيون في علاقات اقتصادية وتجارية في مطلع القرن 19م مع المغرب عبر ميناء الصويرة مما نتج عنه ظهور قضايا ومشكلات على مستوى المعاملات والنقود والموازن

(26) نفسه، ص: 78.

(27) نفسه، ص: 80.

(28) أفا عمر، سبق ذكره.

(29) نفسه، ص: 11.

والمكايل وتحقيقها من منظور شرعي وهذا ما تصدى له الفقيه الكرسي في بعض كتاباته وبمنهجية تتميز - كما قال عنها د. عمر أفا - "بين معاصريه بالإبداع والتعمق والدراية بالأحكام الفقهية" من منظور فقهي نوازي اجتهادي⁽³⁰⁾ متحررا من قيود استعمال النصوص التقليدية وتكرارها في تأليفه على عكس ما كان عليه كثير من معاصريه من الفقهاء (...). جاعلا أسلوب المناظرة منهجا أيضا لمعالجة أعسر القضايا في عصره⁽³¹⁾. ومن اعتمدوا أيضا أسلوب المناظرة والمراسلة لمناقشة بعض القضايا الفقهية من الكرسيين، يحدثنا م. السوسي مؤرخ سوس العالمية عن شخصية عالمة من الأسرة الكرسيية التي تنقلت بين أكرسيف وأسكاور من أهل القرن 12هـ (18م) وقد وصفه السوسي بالعلامة الجليل المشهور في عصره - بالمفتي - وأهل المفتي يسمون آل القاضي، قال عنه الجشتي "الفقيه سيدي أحمد بن عبد الله المفتي - به عرف - التلي الكرسي في الاسكاوري دارا كان رحمه الله خاتمة المحققين في بلاده للفقه". والمفتي هذا لازالت دارهم بأكرسيف - كما في اسكاور - وإن كان الخراب قد أتى على جلها.. وقد أعجب السوسي بهذا الفقيه والأديب الكرسي حيث عثر له على مناظرة ومراسلة مع فقهاء فاسيين أظهر فيها الكرسي سعة علمه في مجال الفقه والفتوى وبراعته في مضمار الأدب والبلاغة⁽³²⁾. وهذه المناظرة أو المراسلة العلمية تكشف لنا إضافة إلى قدرة الكرسي على منافسة فقهاء فاس المركز الديني والعلمي للمغرب باسم فقهاء سوس دون عقدة نقص فهي تؤكد لنا على وجود تواصل وحوار ثقافي وعلمي بين علماء سوس وعلماء فاس بين حواضر المغرب وبواديه. وكان لفقهاء أكرسيف وأسرهم العلمية دور في ترسيخ هذا التواصل والحوار والربط بين أجزاء المغرب الواحد، ولم شمله عبر ترسيخ وحدته الروحية والمذهبية مع

(30) نفسه، ص: 18.

(31) نفسه، ص: 19.

(32) م.خ، المعسول، ج: 17.

المساهمة في بناء شخصيته وهويته الحضارية والروحية والثقافية في أبعادها العربية والإسلامية والأمازيغية..

وهذا الدور الذي قامت به الأسرة الكرسيفية في مختلف حقبة التاريخ وأجيالها، منذ القرن 7هـ.. شمل الجانب الصوفي والتربية الروحية والجانب الفقهي والعلمي، حيث تميزت أكرسيف بكونها زاوية ومدرسة في آن واحد، زاوية للتصوف والتربية على المستوى المحلي دون أن تكون طريقة حيث تجسدت فيها في البداية حركة الصلاح والصلحاء التي واكبت ظهور الشاذلية ثم الجزولية وكان لشيوخها أبناء وحفدة وتلامذة أسسوا مراكز وزوايا أخرى كالتمكدشتية والحضيكية والوزليزية والأمارخسنية، وعرفت الزاوية الكرسيفية بعد مؤسسها أبو يحيا أوجها مع الشيخ خالد بن يحيا من القرن 10هـ - ثم الشيخ لحسن بن عبد الله القرن 11هـ - وهي إضافة على ذلك مدرسة علمية عريقة تفرعت عنها عدة مدارس أخرى للتدريس وتعليم الفقه والتفسير والحديث ويعتبر مؤسسها أبو بكر بن نعمان (أبو يحيا) كما نقلت المصادر التاريخية لسوس بكونه أول من اهتم بتدريس علم التفسير بسوس بعد عودته وتخرجه من قرطبة بالأندلس.

3 - محطات ومراحل في مسار الزاوية: من التأسيس إلى القرن 13هـ

إجمالاً يمكن تحديد المراحل التاريخية للزاوية والمدرسة الكرسيفية ومميزاتها: اعتماداً على ما تسعفنا به المصادر التاريخية المتوفرة إلى المراحل التالية:

أولاً: مرحلة التأسيس في القرن السابع الهجري: مع الشيخ أبو بكر بن عمر بن نعمان المكنى بأبي يحيا الذي أسس رباطه ومدرسته بتادارت بعد عودته من رحلته العلمية والصوفية من قرطبة بالأندلس. ويعتبر رباط تادارت من أولى الرباطات التي عرفت منطقة أملن وتهالة وجبال لكست التي استقرت بها مجموعات يهودية بملاحات تاهلا وتمدرونت بأمانوز، إلى جانب مجموعات من القبائل العربية الهلالية (هيلانة أو يلالن)، وكان لرباط الشيخ ومدرسته دور في أسلمة بعض من هذه المجموعات اليهودية وإقرار السلم بين القبائل العربية

الهلالية والساكنة المحلية والتحكيم في المنازعات. إضافة إلى قيامه بالتربية والإرشاد والتعليم وقام بإرسال بعض أبنائه إلى عدة قبائل بالمنطقة للقيام بنفس الأدوار. وكانت له علاقة صعبة مع الركراكيين الذين اشترك معهم في التصوف الشاذلي ونقلت بعض المصادر المحلية أن الشيخ ابو يحيا والشيخ عاصم الركراكي كانا يتدخلان للصالح بين المتخاصمين من قبائل الجهة كقبيلة إيسي. ومعلوم أن التصوف الشاذلي ينتهي إلى عبد السلام بن مشيش (تو 625هـ) ثم أبي القاسم الجنيد وهو متصوف سني اختار عقيدة الأشعري وفقه الامام مالك. ولا تسعفنا المصادر التاريخية بخصوص اشياخ ابو بكر بن نعمان صاحب رباط تادارت ولكن يمكن استنتاج بناء على بعض الإشارات أنه كان مرتبطا بتعاليم مدرسة الحنيد والشاذلية التي كان لها تأثيرها على جل صلحاء ومرابطي القرن 7هـ كالركراكيين الذين كانت للشيخ الكرسيفي علاقة صعبة بهم خاصة عبد الرحمان بن عاصم الركراكي التلمي والشاذلية ستكون لاحقا في القرن 9 هـ مصدرا للطريقة الجزولية للشيخ محمد بن سليمان الجزولي (تو 870) وهو سملاي ومن قبيلة جزولة التي تنتمي إليها أسرة الشيخ الكرسيفي". حيث تشير بعض الوثائق التاريخية على انتقالها من توغزيفت "بسملالة مع عمرو بن نعمان المدفون في تادارت باملن وقد خلف الشيخ ابو يحيا الكرسيفي ثلاثة ابناء هم يحيى وعبد الرحمن وعلي.. سيعمل أبنائهم وأحفادهم على استمرارية الارث المرابطي والعلمي للشيخ المؤسس منذ القرن 7هـ حتى ق 13هـ.. مرورا بالقرنين 10هـ و11هـ التي عرفت ازدهارا للزاوية وللمدرسة الكرسيفية في بادية سوس وفي الأطلس الصغير ضمن شبكة التصوف الشاذلي ثم الجزولي..

ثانيا: مرحلة التصدر في أواخر القرن 9 وأوائل القرن 10هـ: مع الشيخ خالد بن يحيا حيث طغت على مسار الزاوية في هذه المرحلة التوجه الصوفي الشاذلي بما عرف به من تعظيم لآل البيت ومدح للرسول ﷺ وكثرة الصلاة عليه، كما برز لاحقا مع تلميذ الجزولي صاحب دلائل الخيرات وقد تأثر الشيخ خالد الكرسيفي بهذا التوجه حيث ألف بعض القصائد الشعرية في مدح الرسول والشوق إليه"

منها قصيدته "الخلدية" التي تتلى بأكرسيف بمناسبة عيد المولد النبوي الذي يحظى باهتمام متميز من طرف الكرسيفيين إلى الآن، كما ذكر له مؤرخ سوس العالمة محمد المختار السوسي قصائد وموشحات أخرى من ضمنها موشحة في وصف الجنة، قال بأنها "مشروحة ومتلوة عند الصوفيين السوسيين"⁽³³⁾ وتعرف بنتيجة الإلهام في وصف دار السلام أو التوحيدية⁽³⁴⁾، وقد تعدت شهرة هذا الشيخ محيطه القبلي والمحلي، ليصنف من طرف مؤلفي كتب مناقب التصوف بالمغرب ضمن المشايخ وكبار الصلحاء في القرن 10 هـ، حيث نعث على ذكره في عدة نصوص مناقبية كمناقب البعقلي من أوائل القرن 11 هـ، ووفيات الرسموكي من نفس القرن وطبقات الحضيكي من القرن 12 هـ.. وقد اعتبره محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني في كتابه "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن 10" وقد جمع فيه تراجم ومناقب متصوفة ينتمون للمدرسة الشاذلية - من كبار مشايخ القرن 10 بالمغرب وقال عنه أنه آية الله في خلقه في ملكوته وملكه⁽³⁵⁾، ورغم أن المصادر المتوفرة لا تتطرق بالتفصيل إلى مسار حياته وشيوخه، فإن المرجح أن شهرته في الزهد والتصوف والصلاح تجاوزت محيطه يدل على ذلك حضوره في النصوص والمصادر المناقبية المؤلفة بالمغرب بداية من القرن 10 هـ وقد ساهم انتماءه للمدرسة الشاذلية في إبراز الزاوية الكرسيفية وتصدرها للزوايا المحلية بسوس، حيث حظي أولاد الزاوية بالتقدير والاحترام والإعفاء من الجبايات والوظائف المخزنية على عهد السعديين، كما ذكر ذلك مؤلف "ديوان قبائل سوس"، خاصة في عهدي السلطانين أبو عبد الله محمد الشيخ وأحمد المنصور الذهبي، حيث خص أولاد الشيخ - كما نقل صاحب الدوحة - بظهير التوقير والاحترام وأوصى "بأن لا يطوف بساحتهم بمكروه أبدا ما دام الملك في عقبه"⁽³⁶⁾.

(33) م.خ، سوس العالمة، ص: 78.

(34) هذه القصيدة عثرنا عليها ضمن الشرح الذي قام به الحسين بن داود الرسموكي.

(35) ابن عسكر، الدوحة، ص: 104.

(36) نفسه، ص: 105.

وقد يفهم من هذا التقدير أن الزاوية الكرسيفية ساهمت آنذاك في دعم المشروع السياسي للأشراف السعديين وللحركة الجهادية التي قادها مؤسسو هذه الدولة انطلاقاً من سوس والجنوب المغربي ضد الاحتلال البرتغالي أسوة بباقي الزوايا والصلحاء والمنتمين للشاذلية ثم الجزولية. كما يفهم أيضاً من هذا الاهتمام التوجه السياسي للسعديين الذين عملوا على استقطاب ومصالحة العديد من الأسر المرابطية والصوفية ومنحها امتيازات وظهائر بهدف الحصول على دعمها وقد كانت الأسرة الكرسيفية ضمنها. وهذا يعني من جانب آخر أن هذه الأسرة وزاويتها كانت لها تأثير وشهرة في هذه الحقبة مما جعلها تحظى بامتيازات وظهائر التوقير من طرف السعديين.

وبهذا نستطيع القول أن الشيخ خالد بن يحيا كان له الدور الأساسي في هذه الشهرة كما يشير على ذلك صاحب الدوحة .. فإذا كان الشيخ أبو بكر بن نعمان هو المؤسس، فإن خالد بن يحيا هو الذي نقل الزاوية من مرحلة الرباط إلى التصدر وساهم بالتالي بالتمهيد لمشروع التصالح والتقارب بين الصلحاء والحركة السعدية بسوس. وسنعثر في بعض المصادر المحلية بأن شيوخ المدرسة الكرسيفية كانوا أساتذة لشيوخ السعديين.. كما هو الشأن بالنسبة لعبد الله بن مبارك الأقاوي (936هـ) الذي تتلمذ على يد الحسن بن عثمان الجزولي الكرسيفي.

ثالثاً: المرحلة الجزولية: في القرن الحادي عشر الهجري مع الشيخ لحسن بن عبد الله (تو 1052هـ)، وهو تلميذ عبد الله بن يعقوب حيث لازمه وأخذ عنه التصوف الجزولي بمسجد ومدرسة تازموت بسملالة، وعبد الله هذا أخذه عن أبي عمرو المراكشي الذي أخذ بدوره عن الشيخ عبد الكريم (933هـ) الفلاح المراكشي عن الشيخ عبد العزيز التباع أحد مريدي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي صاحب دلائل الخيرات.. والذي ينتهي سنده الصوفي حسب مؤرخيه إلى أبي القاسم الجنيد (تو 297هـ) وهي مدرسة صوفية تصنف ضمن التصوف السني تعتمد على مبادئ منها دوام ربط القلب بالشيخ - دوام الرضى بقضاء الله وترك

الاعتراض على الله والشيخ.. وعموما فإن تعاليم الجزولية الشاذلية مستمدة من مبادئ الجنيد وهي طريقة سنية أشعرية، وقد اشتهر الجزولي بأحزابه وأذكاره وصلواته وأدعيته ومن أحزابه حزب الفلاح وهو الحزب الصغير للشيخ والحزب الكبير أو سبحان الدائم ويبقى كتابه "دلائل الخيرات" اهم كتبه الذي يعتني به ويواظب على قراءته مريدي الطريقة الجزولية إذ جمع فيه المروي من ألفاظ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁷⁾.

وهكذا يمكن القول بأن الزاوية والمدرسة الكرسيقية أصبحت جزولية مع الشيخ لحسن بن عبد الله وهي بذلك لم تنحرف عن اتجاهها الأصلي الشاذلي كما كانت عليه مع من سبقه حيث حافظت على توجهها السني في التصوف إلى جانب المذهب المالكي في الفقه.. وقد عرفت الزاوية الكرسيقية مع الشيخ لحسن بن عبد الله مزيدا من الإشعاع والتصدر محليا وكانت له شهرة كأحد المرابطين الصالحاء في قبائل أيت عبلا وإيدوسكا وأيت توافوت وإيركاك وتاهلا.. تقدم له هذه القبائل الذبائح، و لازال ضريحه إلى الآن وزاويته مزارا لوفود من هذه القبائل، وفي عهده انتقل بعض أبنائه إلى أسكاور بأملن حيث ستصبح هذه القرية موطننا لأسر كرسيقية وجزءا مكملا للزاوية الكرسيقية في حوض أملن حيث ستنتقل منها حركة علمية وفقهية من خلال مدرسة إيوزليت التي أسسها الفقيه الكرسيقي (تو 1148هـ) عبد الله بن بلقاسم (في القرن 12هـ) - أحد أحفاد أخ الشيخ لحسن بن عبد الله وهو بلقاسم بن عبد الله - فمع هذا الفقيه الكرسيقي الأزوليتي ستنتقل الزاوية إلى مرحلة الإمارة.

رابعا: مرحلة الزاوية - الإمارة: مع عبد الله بن بلقاسم الكرسيقي في القرن 12هـ، وقد قال عنه مؤرخ سوس محمد المختار السوسي بأنه هو الثائر المشهور بين الكرسيقين في سنة 1188هـ في عهد أولاد مسقط رأسه بأسكاور فكان يدرس بها،

(37) جلاب، الجزولي، سبق ذكره.

ومعه اتخذت الزاوية الكرسيقية شكل إمارة مستغلا بذلك فترة الاضطرابات التي عرفها المغرب بعد وفاة السلطان مولاي اسماعيل.. حيث بويح سلطانا في أملن (وادي تيملت) عام 48.. هـ (ق12 هـ) وحرر ظهيرا لأهله أولاد سيدي أبي يحيا وهم حسب نص الظهير المؤرخ في 1150 هـ "آل كرسيف، أهل تادرات، أهل تمكيدشت، أهل أمرخيسن، أهل اكرضان، أهل إيليك وأهل أكوز، وإيرغ⁽³⁸⁾". وقد تحدث عن هذا الكرسيقي الذي أراد أن يحول الزاوية الكرسيقية من زاوية علمية إلى إمارة - على شاكلة ما قام به أحفاد الشيخ أحمد بن موسى بتازروالت - عدة مصادر تاريخية، حيث ذكره الضعيف في تاريخه ووصفه بالتائر والفتان⁽³⁹⁾، ونقل عنه عبد الرحمان وابن زيدان في كتابه "إتحاف أعلام الناس بجمال أخيار حاضرة مكناس" ما نصه "وفي عام ثمانية وأربعين ومائة وألف كانت فتنة عبد الله بم محمد الكرسيقي مدعي المهديونية بالسوس وارتفع صيته في تلك الأصقاع وملا أرجائها وفتح حصن أكادير عنوة⁽⁴⁰⁾".

وقد انتهت مغامرة الكرسيقي المهديونية بأن قتل في هوارنة سنة 1150 هـ، وبذلك تكون مدة إمارته ثلاث سنوات، وهذه هي المحاولة الأولى والأخيرة لحفدة الشيخ أبي يحيا للخروج بالزاوية الكرسيقية من زاوية علمية مرابطية على زاوية إمارة، تطمح لأن تلعب دورا سياسيا تتجاوز الإطار المحلي وهي محاولة تتعارض مع توجهات الشيخ المؤسس ووصاياه حيث نقل عنه الحضيكي في طبقاته أنه (أبو يحيا الكرسيقي) أوصى أبناءه "بالاعتناء بالعلم والعمل ونهاهم عن طلب الرئاسة والدنيا" وقد أدت هذه المحاولة الفاشلة التي اعتمد صاحبها فكرة المهديونية إلى تراجع للزاوية التي ظلت وفيه حتى هذه الحقبة للتعاليم

(38) ورد الظهير ضمن المعسول، ج 17، ص: 88.

(39) من جملة المصادر التي تكلمت عن حركة الكرسيقي التائر هناك تاريخ الضعيف الرباطي، نشر الثاني لمحمد بن الطيب القادري، إتحاف أعلام الناس لابن زيدان، المختار السوسي في ج 17 من معسوله.

(40) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس.

الجزولية، ومندرجة في شبكة زواياها ببادية سوس.. وعادت إلى وظيفتها ودورها التعبدية والعلمي مع عبد الله بن بلقاسم (تو 1270هـ) في القرن 13 هـ الذي بنى فيه مدرسته بأنيكيو بأكرسيف بعد أن أكمل دراسته بفاس ومع بلقاسم بن محمد بن الحسن (آل العالم) (تو 1240هـ).

فمع هؤلاء، ومع أبنائهم وأحفادهم سواء بأكرسيف أو في مناطق أخرى حيث استقر الكرسيفيون في تازلاخت وفي أمارخسين، وفي إيرغ بإيدا وكنضيف انتهت الزاوية إلى أن أصبحت مراكز وفروع للتعليم والتربية الصوفية حيث برزت أسماء من قبيل الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الكرسيفي الذي بنى مدرسته بتازالاغت وكان لا يفارقه "دلائل الخيرات" (تو 1214هـ) أو الشيخ يعقوب بن أحمد الكرسيفي بأمارخسين (تو 1012هـ)، أو العلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي صاحب المؤلفات والمناظرات الفقهية (تو 1214هـ) بإيرغ بإيدا وكنضيف، وآخرون ممن تحفل بتراجمهم العديدة كتب الطبقات والمناقب بسوس وقد خصهم مؤرخ سوس العالمة محمد المختار السوسي بالجزء 17 من معسوله..

ولقد كانت للزاوية الكرسيفية في مختلف مراحلها وفي تعاقب أجيال شيوخها وفقهائها زاوية علمية سنية في توجهها الصوفي مالكية في مذهبها الفقهي، ولم تستغني عن وظيفتها التربوية والعلمية إلا في حالة استثنائية في القرن 12هـ (18م) مع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان التي استهوته فكرة المهدوية.. لكن الغالب أن الزاوية كانت مركزا تعليميا وحكما في النزاعات بين المجموعات القبلية في محيطها مرتبطة بتيار الاعتدال كما جسده مدرسة الشاذلي ثم الجزولي، ورغم وجود فراغات بحكم قلة الوثائق والمصادر التاريخية فإن ما أتحفتنا به المراجع المتوفرة مكنتنا من رسم معالم الزاوية الكرسيفية عبر أهم مراحلها وشيوخها دون الادعاء بأننا أحطنا بجميع الجوانب، فهي إضاءات أردنا منها التعريف بإحدى أقدم الزوايا المحلية بسوس وفي البادية المغربية كزاوية

مرابطة من حيث بعض أدوارها ووظائفها وإشعاعها الديني والعلمي ومساهمتها في دمج هوامش المغرب وأطرافه في الثقافة العربية الإسلامية في إطار الخصوصية المغربية التي تعطي السيادة للمذهب المالكي بجانب تصوف الجنيد السني والأشعرية في العقائد.. وقد سار الفقه والتصوف جنبا إلى جنب في المدرسة والزاوية الكرسيقية ولهذا نجد أعلام وشيوخ هذه الزاوية - كما في تراجمهم - إلى جانب قراءتهم للأذكار واعتنائهم بدلائل الخيرات، فهم أيضا شارحون للمدونة وفقهاء مفتون على المذهب المالكي، وهذه إحدى الخصائص والمميزات التي تميزت بها الزاوية منذ تأسيسها كزاوية للصالح والعلوم الدينية، وكجامعة بين الإسلام الفقهي والإسلام الصوفي بين تصوف الفقهاء وتصوف الأخلاق.

II - تراجم الكرسيفيين في مؤلفات المختار السوسي

- نموذج لتاريخ الصلحاء وأسرههم بالبادية المغربية -

على غرار المؤلفين المغاربة منذ العصر الوسيط اهتم السوسيون بالترجمة لأعلامهم وفقهائهم ومتصوفهم وصلحائهم وذكر طبقاتهم ومناقبهم ووفياتهم وقد حظي المتصوفة والصلحاء أكثر من غيرهم بالترجمة والتعريف بمناقبهم وشيوخهم وأول كتاب في التراجم اعتنى بأولياء ومتصوفة سوس وشيوخهم هو كتاب "الفوائد الجمة" لعبد الرحمان التمنارتي (تو 1060هـ) من القرن 11 هـ، ثم كراسة أو كناشة حمد بن أحمد البعقلي المعروفة بـ "مناقب البعقلي" وقد حققها محمد المختار السوسي ضمن سلسلة مصادر المعسول، والبعقلي هو الآخر عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهناك أيضا "وفيات الرسموكي"، جمعها رسموكي مجهول وشملت نحو ثلاثمائة وفاة لمشاهير الزهد والتصوف بسوس ما بين 1075هـ حتى سنة 1098هـ، وقد اعتمد على هذه الكناشة أغلب من ألف في التراجم السوسية كالحضيكي في طباقته والكرامي في "بشارة الزائرين" ومحمد المختار السوسي في معسوله وما كتبه عن رجالات العلم والتصوف والصلاح في جل مؤلفاته عن سوس وجزولة.

وبهذا يكون م. السوسي بهذه المؤلفات: سوس العالمة - المعسول في 20 جزءا - خلال جزولة في 4 أجزاء - رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس إلى منتصف الرابع عشر - من أفواه الرجال - الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي - منية المنطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين..الخ). أحد الفقهاء والمثقفين السوسيين الذين حافظوا على استمرارية هذا النوع من الكتابة التقليدية (التراجم) التي هي جزء من الكتابة التاريخية وتعتبر من طرف المؤرخين مصدرا من مصادر التأريخ السياسي

والاجتماعي والفكري والديني بالمغرب، ويندرج اهتمام المختار السوسي بأدب التراجم للصلحاء والمتوصفة والفقهاء والأدباء السيوسيين ضمن مشروعه الهادف إلى الدفاع عن الثقافة العربية الإسلامية بمختلف تجلياتها الدينية والصوفية والفقهية والأدبية في سوس وجزولة وقبائلها ودور العلماء والصلحاء والأسر العلمية في ترسيخ ودعم هذه الثقافة كمكون أساسي لشخصية وهوية السيوسيين، منذ اعتناقهم للإسلام، "أي منذ أطل عليهم الإسلام - على حد قوله - من أيام عقبة ثم رسخ في أيام ابن نصير" (87هـ)⁽¹⁾.

وقد يكون لدفاع م. السوسي في مشروعه وكتاباته عن البعد العربي والإسلامي لسوس باعتبارها جزءا من الحضارة والثقافة المغربية العربية الإسلامية له سياقه التاريخي والسياسي بعدما حرك الاستعمار الفرنسي إبان احتلاله للمغرب نعة العنصرية والتفريق بين العرب والأمازيغ عبر ما سمي بالظهير البربري أو السياسة البربرية بدءا من سنة 1930م، وقد يكون أيضا بدافع إبراز مساهمة سوس وبواديها، وبالتأريخ لرجالاتها ومدارسها كرد فعل على التهميش لهذه البوادي من طرف مؤرخي الحواضر وقد يكون بدافع ذاتي أسري بحكم انتماء محمد المختار السوسي إلى أسرة مشهورة بسوس في مجال التصوف والعلم الديني حيث أن والده هو مؤسس الزاوية الدرقاوية بإلغ. وأيا كانت الدوافع فإن كتابات ومؤلفات المختار السوسي عن العلماء والصلحاء والأسر العلمية ببوادي سوس ساهم في تسليط الضوء على مناطق منسية ومهمشة من الثقافة المغربية ولا يمكن في هذا السياق إغفال ولع المختار السوسي بالتاريخ والتراجم والحفاظ على الذاكرة العلمية لسوس التي تتجسد عنده في الفقهاء والمتصوفة والأسر العلمية.

من هنا جاء اهتمامه بالعديد من الأسر العلمية والصوفية السوسية وهكذا استحق محمد المختار السوسي لقب مؤرخ سوس العالة الذي تصدى لمهمة

(1) م. مختار السوسي، سوس العالة، البيضاء، 1984، ص: 16

التأريخ للعلم العربي الإسلامي وأعلامه بسوس... ومن ضمن الأسر العلمية وأعلامها وشيوخها التي استأثرت باهتمام م. السوسي نجد الأسرة الكرسيقية التي اعتبرها من الأسر السوسية التي "تسلسل فيها العلم والصلاح في سوس منذ القرن السادس"⁽²⁾. وقد تطرق م. المختار السوسي لهذه الأسرة في جل مؤلفاته خاصة في كتابيه "سوس العالمة" و"المعسول". حيث قدم في معسوله "تراجم لعلماء ومتصوفة من هذه الأسرة وذلك في الجزء السابع عشر حين ترجم لإسماعيل الكرسيقي (من آل الغازي). وقد اعتمد في تراجمه للكرسيقيين على مؤلف أو كناشة لمحمد بن الحسن التوغزيقي (1214هـ) - الرسالة التوغزيقية في نسب الكرسيقيين - إضافة إلى ما نقله من روايات عن عبد الله بن محمد الملقب بالعثماني الذي وصفه السوسي بمؤرخ الأسرة الكرسيقية.. (ولد 1302هـ) ومصادر أخرى منها وفيات الرسموكي.. و"مناقب البعقلي" و"طبقات الحضيكي" و"الحضيكيون" (ق 11) لأبي زيد الجشيمي (ق 13) و"بشارة الزائرین" للكرامي (ق 12)، ولقد بذل المختار السوسي جهدا كبيرا في تتبع أعلام وشيوخ وصلحاء الأسرة الكرسيقية في ارتباط بتتبعه لأعلام أسرته بإلغ وزاوية والده وشيوخهم وتلامذتهم ومريديهم، والآخذين عن الشيخ الإلغي وهكذا يكون السياق الذي أرخ فيه السوسي للكرسيقيين يندرج في إطار سعيه للتأريخ لأسرته الإلغية ولإلغ كمركز للإشعاع العلمي والصوفي بسوس، حيث نجد - وكما سجل ذلك د. أحمد التوفيق - أن التراجم التي وردت في المعسول لرجال العلم والتصوف والأدب والصلاح وهي أربع مائة وثمانين ترجمة ممن تشدهم لأسرة السوسي وشيخ زاويتها الإلغية الدرقاوية روابط المشيخة أو التلمذة أو الصحبة في العلم أو التصوف بالأخذ مباشرة أو بالإجازة في الطريقة⁽³⁾.

(2) م. المختار السوسي، المعسول، ج 17، ص: 43.

(3) أحمد التوفيق، التاريخ في زمن المعسول، ضمن: المختار السوسي، الذاكرة المستعادة.

وهكذا حظي الكرسيفيون كغيرهم من أعلام التصوف والعلم والصلاح بسوس بالحضور في المعسول نظرا لما لهم من صلات وروابط بالإلغيين. إما بالمشيخة أو التلمذ. وقد كان الكرسيفيون الأوائل شيوخا أو أساتذة للإلغيين، لهذا اجتهد صاحب المعسول كما صرح بذلك على أن يؤدي الحق "لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها"، على حد قوله⁽⁴⁾ سواء على مستوى الترجمة لأفرادها أو على مستوى التعريف بمؤلفاتهم وكتاباتهم الفقهية والأدبية والشعرية.. الخ. حيث نقل لنا نماذج لمؤلفات ورسائل وفتاوى وقصائد شعرية لبعض الكرسيفيين (سنضمن جزءا منها في هذا الكتاب)، وهكذا ضم الجزء السابع عشر من المعسول 195 ترجمة لأفراد للأسرة الكرسيفية وفروعها الأخرى بأملن بأسكاور، وتادارت، وتازلاخت، وأمار خسين، وإيديكل، وتوغزيفت (وهي موطنهم الأصلي)، وإريغ، وتمكديشت وحاحا وتاحا كانت.. الخ. وقد بدأ هذه التراجع باسماعيل بن أحمد بن بلقاسم الكرسيفي (1306هـ) أحد الكرسيفيين الذين انخرطوا في الطريقة الدرقاوية الإلغية وكان - كما قال السوسي - هو السبب حتى ذكر باقي تراجع الكرسيفيين⁽⁵⁾ الذين صنفهم إلى البوبكرين وهم عثمانيون واستقروا بأكر سيف ولكنهم ليسوا من آل أبي يحيا - ثم البوزيديون وهم أبناء عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن يعقوب بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن أبي يحيا (أبو بكر بن عمر بن نعمان) - ثم الغازيين ويلتقون مع البوزيديين بني عموماتهم في عبد الرحمن بن أبي يحيا فلعبد الرحمن هذا ولدان إبراهيم (من القرن 9) وعثمان جد آل الغازي.. ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

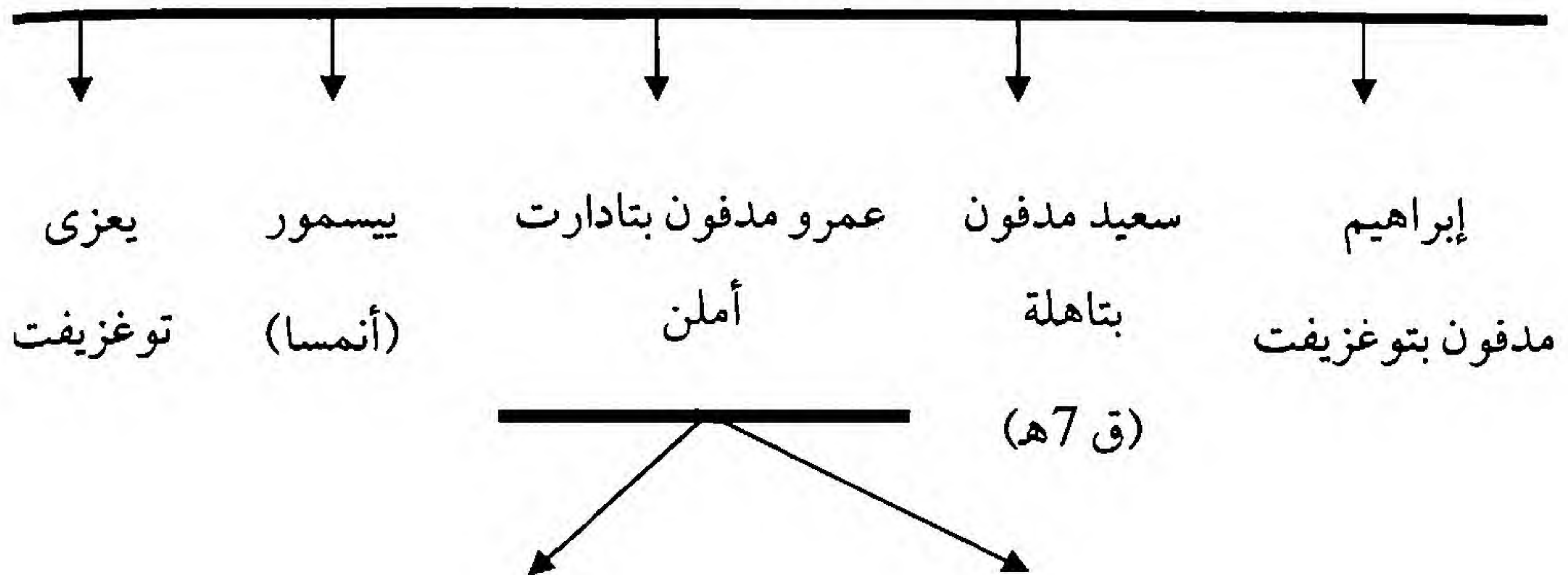
(4) م. المختار السوسي، المعسول، ج 17، ص: 43.

(5) م. س، نفسه، ص: 204.

شجرة نسب الكرسيين

نعمان بن فيطاسين بن مجليد

بتوغزيفت بسملاة من القرن (6 هـ)

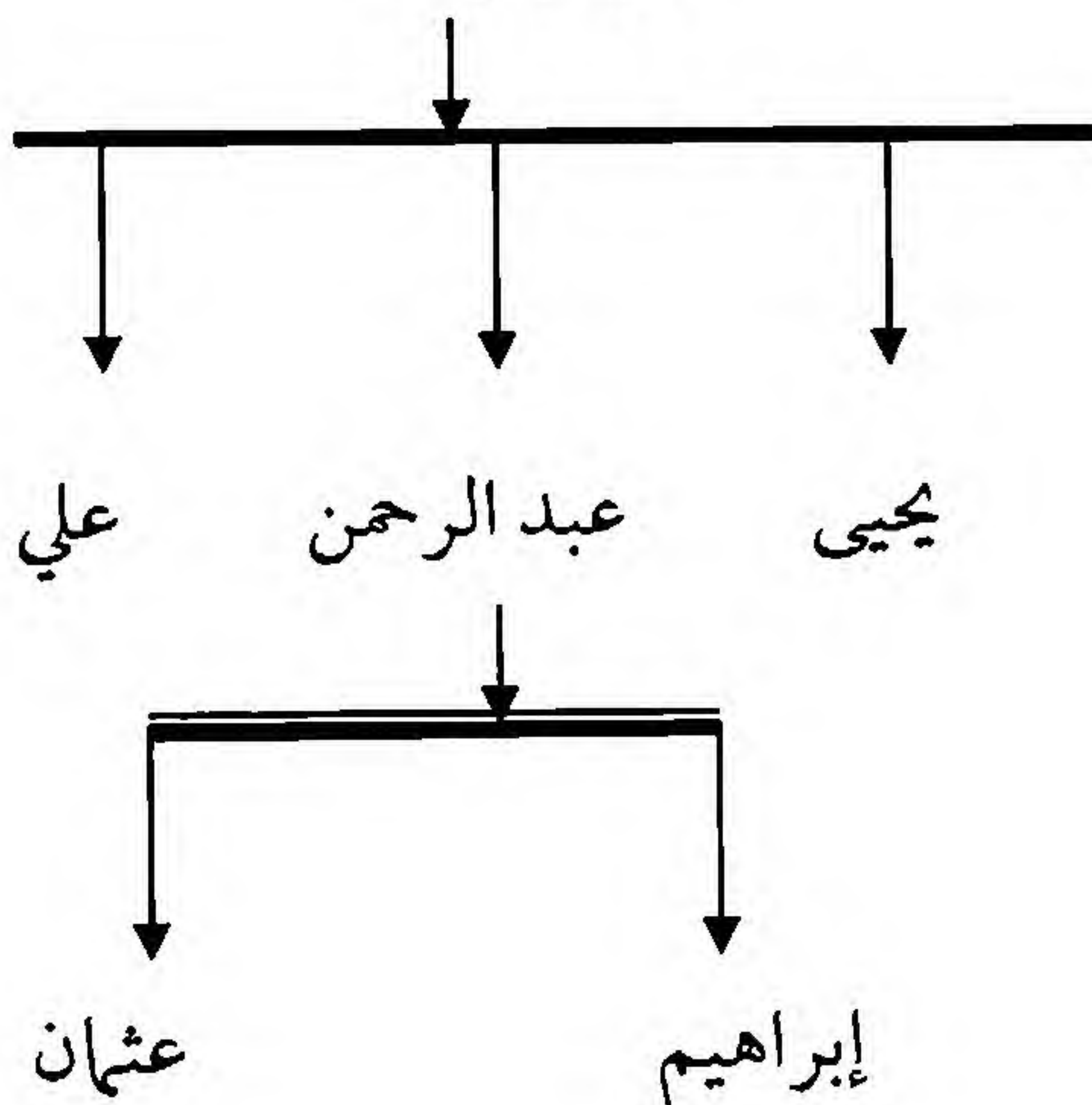


ابو بكر الملقب بأبي يحيى ق 7

محمد مدفون بأمار حسين

مدفون بتادارت إزاء والده (جد)

(الكرسيين)



جد الغازين

جد البوزيدين

وما يمكن ملاحظته بصدد المنهجية التي اعتمدها م. السوسي في تراجمه للكرسيفيين هو أنه حاول أن يذكر جميع حالات الأسرة الكرسيفية نسبا ومولدا وتلاميذ واثار ومؤلفات وكتابات إن وجدت.. لكنه غالبا ما اصطدم بقلّة وندرة المصادر والمعلومات التاريخية مما جعله أحيانا يميل على الإيجاز والاختصار الشديد في عدة تراجم وأحيانا يكتفي بالنسخ الحرفي لما جاء في بعض كتب التراجم المحلية كمناقب البعقلي والرسموكي والحضيكي والجشتيمي.. الخ كما أنه اعتمد كثيرا على روايات عبد الله بن محمد العثماني الكرسيفي الذي أضفى عليه لقب "مؤرخ الأسرة" حيث اعترف بأنه المرجع الذي أفاده بجميع ما كتبه عن رجالات الأسرة الكرسيفية وقد بالغ كثيرا في التعويل عليه وقال عنه أنه مؤرخ لا نظير له في جزولة وقد يكون وراء هذه الثقة في مرويات العثماني وإشادته به أنه من أصحاب الشيخ الإلغي ومريدي زاويته وقد خص أحد أبنائه محمد بن عبد الله العثماني بحيز مهم للتعريف بأدبه وشعره وقال عنه أنه: "أديب سوس وشاعره المفوه وهزاره الصдах وأول من انفتق لسانه بالشعر العالي الذي يرض عنه الذوق العالي.."⁽⁶⁾ وهكذا قد لا يخفى من خلال هذا الاهتمام تحيز المختار السوسي للكرسيفيين ممن أخذوا عن الإلغيين أو كانت لهم صحبة بشيخها الدرقاوي والد المختار السوسي،.. لكن عموما نجد بأن السوسي في مختلف ما كتبه من تراجم عن الكرسيفيين كان حريصا على التزام الدقة والموضوعية والتنقيب في الوثائق والمصادر وإبراز الجوانب الإيجابية من شخصية المترجم له مع اللجوء أحيانا للاستطراد والانتقاد بالتلميح، دون أن يخفى تقديره للأسرة الكرسيفية ولرجالاتها وصلحاتها وما قاموا به من إسهام في نشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في سوس وجبال جزولة منذ القرن 7 (السابع الهجري) مع مؤسس الزاوية والمدرسة الكرسيفية أبو يحيا الكرسيفي (أبو بكر بن عمرو) المتخرج من الأندلس والذي كان أول من درس التفسير بسوس، والمدرسة

(6) نفسه، ص: 166.

والأسرة الكرسيفية بقيامها بهذا الدور في التربية وتدريس العلوم العربية الإسلامية في محيطها القبلي الأمازيغي الذي لا يتقن العربية جامعة بين الفقه والتصوف السني والمذهب المالكي فهي بذلك تشكل نموذجا وتعبيرا عن الحركة المرابطية السملالية الجزولية التي اشتغلت بالعلم والصلاح في الجنوب المغربي وفي بوادي سوس والأطلس الصغير كالحركة الرجراجية.. التي ساهمت في أسلمة وتعريب هذه البوادي ودمجها في وحدة المذهب السني المالكي عن طريق تأسيس رباطات ومدارس وزوايا ومساجد للعبادة والتربية والتدريس، ذلك أن الجزوليون السملاليون وفقهائهم وصلحائهم والكرسيفيين منهم (سملاليون من توغزيفت) ينحدرون من مصامدة الجنوب ومن إحدى بطونها جزولة وهذه اشتهرت منذ القرن الخامس الهجري (11م) بفقهاءها وصلحائها ورباطاتها وتذكر المصادر التاريخية جزولة بكونها كانت موطنًا للفقهاء والمتصوفة والزهاد وكان هؤلاء أدوارا في تاريخ المغرب في العصر الوسيط مع الدولة المرابطية التي قات شرعيتها على ترسيخ المذهب السني المالكي كما جاء الجزوليون وراء قيام حركة الجهاد مع الأشراف السعديين وساهموا بالتالي في القرن 10هـ في تكوين شبكة الزوايا الجزولية، وكانوا وراء توطين ظاهرة المرابطية والصلاح والولاية في الجنوب المغربي وبواديه بسوس، وذلك قبل بروز النزعة الشريفة مع محمد بن سليمان الجزولي وطائفته الجزولية..

وإجمالا وبالرجوع إلى تراجم الكرسيفيين في الجزء السابع عشر من المعسول الغني بالمادة التاريخية يمكننا استخراج أربعة أنماط أو نماذج لشخصيات كرسيفية وهي: شخصية الفقيه النوازلي والمفتي - شخصية الفقيه المدرس والمؤسس لمدرسته - شخصية الصوفي الزاهد (والفقير) - شخصية الفقيه الأديب الذي ينظم الشعر وله كتابات في الترسل والمناظرة ويبقى العنصر المشترك بين هذه الأنماط أو الشخصيات هو حضور الفقه والتصوف في ثقافتها وتكوينها وسلوكها، كما يلاحظ أن هذه الأنماط الأربعة قد نجدها مجتمعة وحاضرة في

شخصية واحدة، إذ يمكننا العثور في تراجم الكرسيفيين عن بعض الأعلام الذين جمعوا بين التصوف والفقه والتدريس والتأليف والنوازل والفتوى ونظم الشعر والترسل والمناظرة مع معاصريهم كما يتضح ذلك في شخصية عمر بن عبد العزيز الكرسيفي من القرن 13 هـ (18م) الذي كان فقيها نوزاليا ومفتيا ومؤسسا لمدرسته بإرغ بإدا كنظيف، ومؤلفا لعدة رسائل وأجوبة في الفقه والسكك والأوزان والمكايل، وعلم الفلك والتوقيت والنحو والتصوف والحديث والسيرة النبوية.. الخ⁽⁷⁾. كما نظم الشعر وله قصائد تكشف عن براعته في هذا الميدان وكان على نهج تصوف الفقهاء على شاكلة ابن الحاج العبدري وهذا ما يفسر اهتمامه بكتابة "المدخل" الذي قام بتلخيصه وشرحه في مؤلفه "الكوثر الثجاج"⁽⁸⁾ وإلى جانب تصوف الفقهاء كان هناك في الأسرة والزاوية من يجسد تصوف الأخلاق والمحبة كالشيخ خالد بن يحيا الكرسيفي (920هـ) عموما فإن نمط شخصية الفقيه الصوفي هو النمط الغالب على تراجم الكرسيفيين وذلك راجع إلى أن مجتمعات بادية سوس كانت في حاجة أولا إلى الفقه وإلى الفقيه في معاملاتها وشؤونها وتشريعاتها وثانيا إلى التصوف والصالح والولاية كمصدر للبركة.. حيث كان للمرابط أو الأكرام أدوار يطلعون بها في بوادي سوس وإيكرامن هي صيغة الجمع لكلمة أكرام التي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته⁽⁹⁾ ويتحدد دور إيكرامن أو الصلحاء والمرابطين كما أشار إلى ذلك ذ. علي صدقي في "أمرين اثنين أحدهما هو ما يتكلفون به للناس من حماية لهم ولأبنائهم وأمواهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما

(7) انظر نماذج من هذه المؤلفات في الدراسة التي أنجزها د. عمر أفا عن عمر بن عبد العزيز ومؤلفاته تحت عنوان: "المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي" ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - 2006.

(8) نفس المرجع أعلاه، ص: 437 حيث نجد نموذجا من قصائده ذات النفس الصوفي.

(9) حول معنى إيكرامن، انظر ما كتبه ذ. علي صدقي أزايكو في كتابه: "نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية" ضمن منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2004 صفحات: 126-128.

يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان، وثانيهما ما يضطربون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنحية وكثيرا ما تكون مزارات تعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية⁽¹⁰⁾ ويمكن إضافة إلى هذه الأدوار - خاصة بعد توسع وانتشار ظاهرة الولاية والصلاح بالمغرب وبلوغها مرحلة الهيكلية والتنظيم في العصر الوسيط - القول بدور سياسي خاصة بعد النفوذ الذي وصلته المرابطية والصلحاء مع نهاية القرن السادس الهجري (12م) وأمام الفراغ الذي يحدث نتيجة ضعف أو تقلص دور الدولة المركزية في الهوامش والبادي، يتم الإجماع حول ولي أو صالح أو مرابط أو صاحب زاوية "حيث لم يعد ثمة مجال للإجماع حول الدولة أو من يمثلها"⁽¹¹⁾ إما بسبب من عسف هذه الأخيرة أو من يمثلها أو بهدف الجهاد واسترداد أراضي محتلة من طرف الأجنبي أو النصارى، أو للقيام بدور إصلاحي وتغيير المنكر من خلال عدة شخصيات عرفت بالصلاح والولاية والتصوف وقد كانت هذه الأدوار والأسباب غطاء لعدة حركات تمردية ومهدوية ضد الدول المركزية.

من هنا تكتسي ظاهرة الولاية والصلاح والمرابطية في البوادي أهميتها سواء تعلق الأمر بعلاقتها بالمجتمع أو بالدولة.

وبالنسبة لمرابطي أكرسيف وصلاحائهم فقد كان لهم كجزء من الظاهرة المرابطية والصلحاء التي عرفت بوادي سوس والمغرب عموما نفس الأدوار ومن خلال التراجم التي أنجزها د. محمد المختار السوسي في معسوله للأسرة الكرسيفية عبر أجيالها وحقبها التاريخية يمكن للباحث المختص في الدراسات

(10) أزايكو علي صدقي، نماذج من أسماء الأعلام، المرجع أعلاه، ص: 127.

(11) القبلي محمد، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، منشورات الفنك، البيضاء، 1998، ص: 30.

المونوغرافية وتاريخ البوادي والفكر الديني بها أن يجد فيها مادة تاريخية متنوعة ومفيدة سواء المادة المناقبية (أدب المناقب) أو التراجم، أو النوازل التي اجتهد مؤرخ سوس العالمة محمد المختار السوسي في البحث عنها وجمعها ونسخها ونقلها حرفيا أو مع قليل من التصرف والاختصار وهي في أغلبها نصوص ومخطوطات نادرة لولاه لضاعت محتوياتها وطالها النسيان، فهو وللإنصاف أنجز مهمة التجميع للمادة التاريخية ليس فقط بالنسبة للكرسيفيين ولأعلامهم وصلحائهم، ولكن لبادية سوس ولمساهماتها في الهوية والثقافة العربية الإسلامية للمغرب ومعها التاريخ لثقافة وذاكرة نخبة محلية مختصة في العلم الديني والصالح مما يسميه بالأسر العلمية في بيئة تغلب عليها الأمية والثقافة الشفاهية وليست معربة، فهي نخبة مالكة لسلطة علمية ودينية ورمزية عبرت عن مجتمع غير عربي اللسان بثقافة عربية وهذه إحدى خصوصيات هذه النخبة والمختار السوسي وبحكم انتمائه إلى هذه النخبة، وفي اتجاه المحافظة على استمرارها كان أحد أهدافه من مشروعه التاريخي هو التأريخ لهذه الذاكرة السوسية - "وذلك بتثبيتها بالتدوين الشامل لتراثها وأنسابها وأسرها وزواياها ومدارسها وأعلامها خصوصا" وكما قال ذ. علي أومليل - أن الرجل لاحظ أن تاريخ سوس لم يكتب حقيقة بعد ولاحظ أيضا أن إسهام سوس في الثقافة المغربية العربية الإسلامية لم يقدر القدر الحق".⁽¹²⁾ لذا نصب نفسه لإبراز نصيب سوس في هذه الثقافة، من هنا جاءت فرادة مشروعه التاريخي والثقافي كمشروع ذا بعد تركيبي دمجي، توحيدي، جهوي ومحلي ووطني وعربي وإسلامي، وكرد على تهميش هذه الأطراف والبوادي ونخبها وتجاهلها من طرف المركز.

(12) أومليل علي، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت، 1996، ط1، ص: 154-155.

القسم الثاني

نماذج لأعلام من الزاوية والمد رسة
الكرسيفية

I - خالد بن يحيى الكرسي في وكراماته:

صوفي الشوق والمحبة والتوحيد

تقديم:

تجمع أغلب المصادر على أن الغالب على التصوف المغربي هو الاتجاه السني المتصل بالغزالي فالجنيد وعنهما تبلورت القادرية والشاذلية⁽¹⁾ وفي كتاب له حول التصوف المغربي يصنف علال الفاسي هذا التصوف إلى شعب مختلفة، تصوف الفقهاء، وتصوف أهل الحقائق، وتصوف الأخلاق والرقائق كما يقسمه بحسب مراحل، وعصوره إلى أربعة:

1- من عهد الجنيد وأبي يزيد إلى عهد أبي مدين وعبد القادر الجيلالي

2- من عهد أبي مدين وعبد السلام بن مشيش إلى زمن الشاذلي في القرن السابع الهجري

3- من زمن الشاذلي إلى عهد الجزولي من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري

4- من عهد الجزولي إلى يومنا هذا من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري

وهذا التقسيم هو نفسه الذي اعتمده ميشو بلير Michaux Bellaire أحد المهتمين بدراسة الزوايا والطرق الصوفية بالمغرب في بداية العشرينات⁽²⁾. الذي يؤكد هو الآخر على أن تعاليم الجنيد تمكنت لوحدها من التأثير في التصوف المغربي وتوجيهه وذلك من القرن الخامس الهجري.

(1) الفاسي علال، التصوف الإسلامي في المغرب، مطبعة الرسالة، ص: 75

(2) انظر كتاباته حول التصوف والزوايا والطريقة بالمغرب مثل:

Essai sur l'histoire des confrères marocaines

وبالنسبة لبوادي سوس وجبال جزولة والأطلس الصغير فإنه وكباقي جهات المغرب عرف هو الآخر هيمنة وسيادة التصوف السني انطلاقاً من تعاليم المدرسة الشاذلية وفروعها المنبثقة عنها سواء مع الركراكين أو الكرسيين قبل الفترة الجزولية التي بدأها مؤسس الطريقة الجزولية محمد بن سليمان الجزولي (تو 870هـ) (ق 9) ففي القرن السابع الهجري ستظهر شخصية الصوفي الشيخ أبو بكر بن عمرو بن نعمان المكنى بأبي يحيا الذي أسس رباطه ومدرسته بتادارت بأملمن (قرب تافراوت) بعد عودته من رحلته من قرطبة بالأندلس وسيكون هذا الرباط بداية لتأسيس الزاوية الكرسيية كإحدى الزوايا المنبثقة من تعاليم الشاذلي المتصل بالتصوف السني للغزالي فالجنيد ويعتبر الشيخ خالد بن يحيا الكرسيي أكثر الشخصيات بروزاً في مسار هذه الزاوية وهو من معاصري أحمد بن سليمان الجزولي (تو 856هـ) وهما معاً سملايان شاذليان جزوليان ومدرستهما الصوفية المنبثقة من تعاليم الشاذلي اتباعها ومريدوها بالمواظبة على الذكر وكثرة الصلاة على النبي والتأكيد على مبدأ التوحيد، مع الاهتمام بالجانب السلوكي والأخلاقي، فهي أقرب إلى تصوف الأخلاق منها إلى تصوف الحقائق، وينعت خالد بن يحيا الكرسيي في كتب المناقب والتراجم "بالقطب الفاضل" والشيخ الكامل" كما في مناقب البعقلي⁽³⁾، أما مؤرخ الحركة الجزولية الشاذلية وشيوخها، ابن عسكر الشفشاوني (986هـ) فتحدث عن مناقبه في كتابه "دوحة الناشر" ووصفه "بآية الله في خلقه وأعجوبته في ملكوته وملكه"⁽⁴⁾ كما قال عنه الحضيكي في طبقاته أنه كان "من أهل الشوق والمحبة والقدم الراسخة في ذلك دلت عليه قصائده التوحيدية والمدحية وغيرها"⁽⁵⁾ فالشيخ خالد يستحق إذن لقب صوفي الشوق والمحبة

(3) محمد البعقلي، مناقب البعقلي، حققه م. المختار السوسي، ص: 23.

(4) ابن عسكر، دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، البيضاء، الطبعة الثالثة 2003، ص: 104.

(5) محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد بو مزكو، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الجزء الأول، ص: 221.

والتوحيد.. فما هي إذن معالم صوفية خالد بن يحيى الكرسي في وطابعها المميز؟ وما هي كراماته ومناقبه التي تحدثت عنها كتب المناقب والتراجم؟ وما هي دلالاتها؟ ثم ما هو تأثير الشيخ خالد ومن هم بعض مريديه وتلامذته؟

1 - تصوف الشوق والمحبة والتوحيد عند الكرسي في:

المحبة عند المتصوفة كما قال عنها الجنيد هي ميل القلوب، ومعناه أن يميل قلب السالك إلى الله، والطاعة له في فيما أمر والانتفاء عما زجر والطاعة بما حكم وقدر⁽⁶⁾.

أما الشوق فهو من مراتب المحبة ويعرفه الجرجاني بكونه "احتياج القلب إلى لقاء المحبوب"⁽⁷⁾، وقد عبر الشيخ خالد عن المحبة والشوق في أمداحه ومنظوماته مثل منظومته في وصف الجنة تعرف "بنتيجة الإلهام في وصف دار السلام أو بالتوحيدية لأن كل بيت فيها ينتهي بكلمة التوحيد لا إله إلا الله⁽⁸⁾.. وقصيدته "الخلدية" في مدح الرسول ﷺ التي ينتهي كل بيت فيها بالصلاة على محمد ﷺ.. وجل قصائد الشيخ الكرسي في ومترجمة إلى تاشلحيت ومتداولة بسوس..

وإذا قمنا بقراءة لقصيدتيه "الخلدية"، ونتيجة الإلهام في وصف دار السلام نجد هما طافحتين بالمحبة والشوق إلى لقاء المحبوب الذي هو الرسول ﷺ وكثرة الصلاة عليه وهو ما يميز الطريقة الشاذلية واتباعها كما يتضح ذلك عند الكرسي في والجزولي في مؤلفه المشهور: دلائل الخيرات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي أحزابه، كحزب الفلاح والحزب الكبير، سبحان الدائم وفي مختلف أذكاره وأدعيته، والشيخ خالد الكرسي في يشترك مع الجزولي في هذا

(6) أنور فؤاد أبي خزام، معجم المصطلحات الصوفية، مكتبة لبنان، بيروت 1993، ص: 157.

(7) الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص: 135.

(8) انظر نص القصيدتين ضمن ملاحق ونقص في هذا الكتاب.

النزوع إلى المواظبة على الذكر والصلاة على النبي ﷺ ومحبه والشوق إليه كما تعبر
عن ذلك بجلاء قصيدته "الخليدة" التي مطلعها:

الصلاة والسلام	والثنا طول الدوام
على شافع الأنام	خير مولد محمد
بسم الله ذي الجلال	أبتد بذى المقال
انسج مدح الرسول	سيد الخلق محمد
انسجه في أبيات	بالحروف المعجمات
فعسى عند الوفات	أجد فضل محمد

إلى أن يقول:

طال شوقي وانتحاي لمدينة الحبيب

يثرب زين الرحاب فيه من نهوى محمد.

ولا يتعلق الحب والشوق عند الكرسي في بالنبي ﷺ وحده بل أيضا بالذات
الإلهية من خلال كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" التي يختم بها الكرسي في جميع
أبيات قصيدته "نتيجة الإلهام في وصف دار السلام" التي يعني بها الجنة.. وهذه
القصيدة يكشف فيها الكرسي في عن شوقه وحبه للقاء الله في دار الخلود أو دار
السلام واصفا ما ينتظر المؤمنين في الجنة من ملذات وأطعمة وحوار عين حيث
قال:

في ظلال الأشجار واصفان وأبكارا تبشر الأبرار لا إله إلا الله

لا تحكي بالأخبار ومداد الأخبار بشارات الأبرار لا إله إلا الله

وكأنني بالكرسي في وهو يصف الجنة والتقاء الأحباب، بعد الغياب يعيش
ذلك مشاهدة كنوع من التجلي الصوفي، لهذا يشير في قصيدته إلى أن هذا التجلي

والمشاهدة هو بمثابة بشارات للأبرار وهي لا تحكى بالأخبار وتعجز اللغة عن نقلها أو التعبير عنها، مما يذكرنا ببيت شعري لأبي حامد الغزالي وهو يتحدث عن الكشف والمشاهدة الصوفية لدى من يسميهم بأرباب القلوب "المتصوفة" - ومعلوم أن الشاذلية تتلمذت على مدرسة الغزالي.

كان مما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فالإخبار عن حال المشاهدة والرؤية الصوفية تجربة تعجز اللغة عن التعبير عنها أو كما قال الكرسيفي "لا تحكى بالأخبار" وهي بمثابة "بشارات" وتأتي كنتيجة للإلهام ومن هنا جاءت تسمية الكرسيفي لقصيدته بنتيجة الإلهام في وصف دار السلام.. والإلهام عند الصوفية "يلقى في الروع بطريق الفيض" أو "ما وقع في القلب من علم (..) من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة"⁽⁹⁾.

فنحن إذن أمام منحى صوفي يؤكد على أولوية المعرفة القلبية والذوقية على ما عداها، فمصدر اليقين في هذه الحالة هو القلب والمشاهدة لكن بالنسبة للكرسيفي وبحكم تشبعه بالتصوف الشاذلي السني الذي ينتهي عند تعاليم الجنيد والغزالي، فالشهادة والإلهام عنده ككشف للحقائق لا تتم في إطار الفناء والشطح والقول بالحلول أو بوحدة الوجود كما هو عند أصحاب التصوف الحلوي (الحلاج والسهروري، وغيرهم) ولكن في إطار الإقرار بالتوحيد والفناء فيه في معناه السني وهذا ما نجده حاضرا في تصوف الكرسيفي في قصيدته نتيجة الإلهام حيث حرص على التصريح بذلك سواء بتكراره لكلمة التوحيد في نهاية كل بيت أو قوله في أحد أبياتها أن عمدة مقصوده في هذا الإسناد "تكررا التوحيد لا إله إلا الله" وهذا يحيلنا على مرتكز آخر من مرتكزات التصوف عند الكرسيفي وهو التوحيد... فإضافة إلى الشوق والمحبة الذي يطبع تجربته الصوفية وتمدها

(9) الجرجاني، تعريفات، نقلا عن معجم المصطلحات الصوفية، مقارنة تحليلية لكتابته الصوفية، مطبعة تنمل، مراكش، 1993، ص: 16.

بشحنات روحانية وعاطفية قوية تجعلها تقترب من أصحاب نظرية الحب الإلهي والإلهام الصوفي القائم على المشاهدة، هناك مبدأ التوحيد الذي يقيد هذه الاندفاع والزخم ويحول بينه وبين السقوط في نظريات الحلول والفناء والغلو، والتوحيد الذي عبر عنه الكرسيفي في قصيدته "نتيجة الإلهام" يتلخص في كلمة "لا إله إلا الله" وهذه العبارة كما قال ابن الخطيب تلخص مبادئ التصوف الشاذلي⁽¹⁰⁾.. والشاذلية التي تأثر بها الكرسيفي أخذت تعاليمها من تصوف الغزالي والجنيد.. وفي هذا الإطار نجد أن التوحيد عند الجنيد - وقد كان معارضا للتيار الحلولي للحلاج - " هو أن يكون العبد بسره ووجده وقلبه وكأنه قائم بين يدي الله عز وجل يجري عليه تصاريف تدبيره وتجري عليه أحكام قدرته⁽¹¹⁾.. "

كما أن الجنيد كان حريصا في تصوفه على الالتزام بالكتاب والسنة حيث نقل عنه قوله " إن مذهبنا مقيد بأصول الكتاب والسنة " وإن علمنا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹²⁾ من هنا نفهم أيضا محبة الكرسيفي للرسول ﷺ وإكثاره من الصلاة عليه في قصائده وأمداحه وتأكيداته على مبدأ التوحيد على منوال مدرسة التصوف السني بالمغرب الذي منبعها وسندها الجنيد (أبي القاسم الجنيد 297 هـ).

وإجمالا وإذا أردنا رسم تعاليم الفكر الصوفي للشيخ خالد بن يحيى الكرسيفي نجده يتمحور حول ثلاثية الشوق والمحبة والتوحيد، وهذه المحاور مترابطة تحيل على بعضها، ذلك لأن محبة الله ورسوله التي تطفح بها قصائده هي تعبير عن الشوق - وكما قال القشيري - على قدر المحبة يكون الشوق، فالشوق هو قرين المحبة ويتولد عنها، ومن عرف الله حق المعرفة ازداد شوقه إليه ويتصل

(10) انظر كتاب، د حسن جلاب، محمد بن سليمان الجزولي، مقارنة تحليلية لكتابه الصوفية، مطبعة تنمل، مراكش، 1993، ص: 16.

(11) عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967، ص: 192.

(12) نفسه، ص: 190.

الشوق بحال يسميه - الجنيد - حال الأنس ومعناه "الاعتماد على الله والسكون إليه والاستعانة به"، والإقرار بالوحدانية التي هي - عند المتصوفة السنة - عماد الشريعة، من هنا إلحاح الكرسيفي على التوحيد والتثبيت باسم الألوهية " لا إله إلا الله " وفي هذا السياق يقول الجنيد "اعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته وأصل معرفة الله توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه بالكيف والحيث والأين⁽¹³⁾". فالزهد والمحبة لا تستقيم في التصوف السني - كما يمثله الجنيد ومدرسته - إلا بالتأكيد على أسبقية التوحيد لدرجة الفناء فيه.. مما يسمح للمتصوف بإدراك عظمة الخالق فيه.. والشيخ الكرسيفي خالد بن يحيى كان من تصوفة الفناء في التوحيد الذي هو ثمرة الجمع بين الشريعة والحقيقة، وبذلك يكون تصوفه من ثمرات التصوف السني الذي يمتح من تعاليم الجنيد والشاذلي، هذا مع العلم أن القول بالتوحيد في مجتمع أمي بدوي تغلب عليه بعض بقايا الوثنية والتجسيم يحمل دعوة للإصلاح الديني والعقائدي ومحاربة بعض مظاهر الشرك النافية للتوحيد وهذا ما كان الكرسيفي يقوم به كمصلح صوفي.

هذه إذن بعض المعالم من تصوف الشيخ الكرسيفي خالد بن يحيى الذي يستحق لقب متصوف المحبة والشوق والتوحيد والذي تجاوزت شهرته محيطه القبلي لتمتد إلى حواضر المغرب وليجد له بالتالي مكانته في كتب المناقب والتراجم التي ألفت حول صلحاء ومشايخ القرن العاشر الهجري (16م). حيث تحدثت هذه الكتب عن كراماته ومناقبه كما في دوحة الناشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني وهو مؤرخ لصلحاء ومتصوفة المدرسة الشاذلية والجزولية..

إضافة إلى كتب المناقب والتراجم المحلية بسوس - التي ظهرت ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري ومناقب البعقلي ووفيات الرسموكي " وطبقات الحضيكي (1198هـ) وبشارة الزائرين للكرامي.. الخ وقد عملت هذه المؤلفات

(13) مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006، ص: 389.

والكراريس على التعريف بصلحاء ومتصوفة سوس وذكر كراماتهم، ومناقبتهم ومن ضمنهم، خالد بن يحيا الكرسيفي، الذي حكيت حوله عدة مناقب وكرامات، فما هي إذن هذه الكرامات؟ وما هي دلالاتها؟ ما دامت الكرامة جزء ومكون من مكونات الولاية بل هي إحدى المؤشرات على بلوغ المتصوف درجة الولاية أو القطبية حيث تصدر عنه أمور خارقة للعادة.

2- كرامات الكرسيفي من خلال بعض المصادر المناقبية:

الكرامة في إحدى تعاريفها - حسب الجرجاني⁽¹⁴⁾ -، ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص، وفي تعريف آخر أكثر تحديدا "هي ما يظهر على يد الأولياء من خرق العادة" (التهانوي)، فالكرامة أو المنقبة خرق للعادة يختص بها الأولياء بينما يحتفظ الأنبياء بالمعجزات..

ويمكن اعتبار الكرامات والخوارق مادة أساسية في إثبات الولاية والصلاح في مجتمع شفاهي تغلب عليه الأمية، ذلك لأن أغلب الكرامات تتم بالرواية والسماع ولم يتم البدء في تدوينها والعناية بإبرازها فيما عرف بالكتب المناقبية في المغرب إلا في العصر المرابطي وفي ارتباط بقضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي على عهد علي بن يوسف في القرن السادس الهجري ومعها اضطهاد رجال التصوف⁽¹⁵⁾.

فالكتب المناقبية إذن التي تهتم أساسا بتراجم الصلحاء والمتصوفة والأولياء وكراماتهم ارتبطت في ظهورها بانتشار حركة الولاية وفي مواجهة فئة الفقهاء التي كانت تدعم الدولة المرابطية ويعتبر كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزييات التادلي (تو 617) من أولى المؤلفات المناقبية الذي ضم العديد من الكرامات الخاصة بمتصوفة الجنوب وأوليائه ثم ابن عسكر في الدوحة التي خصه

(14) الجرجاني، سبق ذكره.

(15) القبلي محمد، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، منشورات الفنك، 1998، البيضاء، ص: 23.

لمتصوف المدرسة الشاذلية والجزولية في القرن العاشر الهجري.. وهناك من كتب المناقب من اهتم بصلحاء جهة معينة، كالريف، كما صنع عبد الحق البادسي " في المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف."

ومنهم من اقتصر على مدينة بعينها كمراكش أو فاس.. الخ على غرار كتاب "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس لمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" للكتاني، وهناك من اهتم بالأسر، وآخرون بالشيخ المؤسس للطريقة ومريديه، مثل "ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع" لمحمد المهدي الفاسي (تو 1109هـ) الخ. وعموما فإن هذه الكتب المناقبية ساهمت في تكوين ذاكرة التصوف بالمغرب وانتقل تأثيرها إلى البوادي المغربية وسوس حيث ستعرف بدورها ظهورا للكتابة المناقبية وتراجم الصوفية والصلحاء ومن أوائل المؤلفات في هذا الجنس هناك "الفوائد الجمة" للتمنارقي (تو 1060هـ) ثم كراسة البعقلي التي اشتهرت بمناقب البعقلي في القرن 11 هـ (وهو معاصر للتمنارقي) ثم وفيات الرسموكي (1095هـ) وطبقات الحضيكي ويعرف أيضا بمناقب الحضيكي (تو 1189) وهناك بشارة الزائرين لداود الكرامي (تو 1180هـ) و"الحضيكيون" لأبي زيد الجشتيمي (1269هـ)، وأخبار سيدي أحمد بن موسى، لأدفال (تو 1023هـ) الخ. إضافة إلى ما ألفه المختار السوسي ضمن أدب المناقب والتراجم كالترياق المداوي في الأحوال الحقيقية للشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي ومنية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من المنقطعين⁽¹⁶⁾. وهي حول والده وزاويته ومريديه، ويمكن إدراج كتابه المعسول هو الآخر ضمن كتب المناقب والتراجم والطبقات. وإذا أردنا معرفة بعض كرامات الشيخ خالد بن يحيا الكرسيفي من خلال هذه المصادر المناقبية.. سنجدتها تكاد تتكرر وهي تدور حول كرامتين الأولى رويت عنه وهو على قيد الحياة، والثانية رويت عنه بعد وفاته، فبالنسبة للكرامة الأولى وهي الأكثر تداولاً

(16) انظر حول مؤلفات السوسيين في أدب المناقب، سوس العالمة، لمحمد المختار السوسي.

وشهرة، وردت في أغلب الكتب والمناقبية التي ترجمت للشيخ الكرسيفي، كدوحة الناشر وكمناقب البعقلي وطبقات الحضيكي.. فهي كرامة تتعلق بكتابة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بأصبعه على صخرة صماء خراج بلدته - كما ينقل ذلك البعقلي في ترجمته له - وليست هذه هي الصخرة الوحيدة التي كتب فيها الكرسيفي هذه العبارة الشهادة بل يذكر محمد المختار السيوسي في كتبه خلال جزولة (ج3) أن خالد بن يحيى الكرسيفي في رحلته إلى تمنارت واثناء مروره بوادي نينت كتب "لا إله إلا الله" وذلك في مكانين والمكان الموجود فيه هذه الكتابة حقيقة هو المحل المجاور لأيمور، ويضيف السيوسي: "وتلك كرامة محققة للشيخ سدي خالد بن يحيى الكرسيفي" ومن تحدثوا بتفصيل وإطالة عن هذه الكرامة صاحب دوحة الناشر محمد بن عسكر الشفشاوني الذي قال ما نصه: "كان يحدثني يوما ونحن بمدينة مراكش في عام ثمانين إلى أن ذكر الشيخ خالد فقال: كفى بشرفه أنه ترك للإسلام فخرا وعزا لا يفنى، فقلت وكيف ذلك، فقال كان الشيخ ذاهبا مع جماعة من الفقهاء والفقراء، فتكلموا في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم وددنا لو كانت معجزة باقية إلى اليوم نشاهدها، فقال الشيخ وإن الله "يجدد على أوليائه في كل زمان معجزة الرسول، فقالوا وكيف ذلك؟ فقال انظروا إلى هذه الصفيحة، وكان بإزائهم قطعة جبل فيه حافة على الطريق وفي تلك الحافة من حجر أسود براق على قدر خمسين قامة، فنظروا إليها وليس فيها شيء، فأشار الشيخ إليها بسبابته كأنه يكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فارتسمت الشهادتان في الصفيحة مكتوبتين بخط أبيض، والحروف غليظة مبينة ولم يشكل منها حرف واحد وهي باقية إلى عقب الدهر، ولم تكن من فعل البشر لأنها مرسومة في بطن الصفيحة وظاهر الصفيحة كوجه المرأة لها وليس هي كتابة محفورة أو منقوشة فسبحان الفعال لما يشاء. وكان بسبب هذا الكلام مذاكرة ما هو مكتوب بحجر ترغة وحجر النكب في عدوته من ناحية جزيرة الأندلس

وهو لفظ الشهادتين بخط، ولما ذكر هذه الحكاية ووصف هذه الكيفية وأن الخط في الصفيحة أبين من الكل قلت له: يا سيدي يريد الصحة على هذا النقل، فقال نعم. فلما كان من الغد استدعى أزيد من أربعين من أخيار تلك النواحي، فقال لهم حدثوا سيدنا عن قصة سيدي خالد المذكورة فحدثوا بها، وقالوا هي باقية إلى عقب الدهر⁽¹⁷⁾.

ما هي إذن دلالة هذه الكرامة؟ ما هو موضوعه الأساسي؟ وما علاقتها بالمنحى الصوفي للشيخ الكرسيفي؟

يمكن تحديد وظائف هذه الكرامة في ثلاثة وظائف: تقييمية، وتعريفية، وتعليمية.

أولاً: الوظيفة التقييمية: تهدف الكرامة إلى إبراز القيمة والمكانة العالية للشيخ الكرسيفي بإبراز خوارقه كولي استطاع كتابة التوحيد والشهادتين بسبابه على صفحة صخرية بمجرد الإشارة وبقائها وخلودها أبد الدهر.

ثانياً: الوظيفة التعريفية: وذلك بكون الكرامة تعرف بمذهبه الصوفي القائم على التوحيد ومحبة الله ورسوله والشوق إلى لقاءها وكما جاء في الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال: "حبك الشيء يعمي ويصم" وأيضاً قوله "المرء مع من أحب" والشيخ خالد بن يحيى الكرسيفي أحب الله ورسوله وانشغل بذكرهما في كل منظوماته وأمداحه إذا كانت المحبة هي ميل القلب إلى الله وإلى رسله فإن المحب يكون مشتاقاً للقاء محبوبه واللهج باسمه والحرص على عدم نسيانه وليست ثمة من مكان لتخليده وبقائه، أبد الدهر، إلا بحفر أحرفه ونقشها على الصخر لأن الخط في الصخر أو الصفيحة - كم نقل ابن عسكر - "أبين من الكل". وهو بهذا يتوخى خلوده وبقائه أبد الدهر ووضوحه، فالمحب هنا يكشف عن قوة حبه وشوقه من خلال لفظ التوحيد والشهادتين، ولا يتوخى الإخفاء.. فهو يريد بهذا

(17) ابن عسكر، الدوحة، سبق ذكره، ص: 104-105.

أن يقرأ الكل شوقه وحبّه لأنه لا يختار كتابة التوحيد والشهادتين إلا على الأحجار والصخور والواقعة على حافة الطريق لتكون مقروءة وخالدة (كإسمه خالد) لا تمحوها الأمطار والحوادث. "وكيف تمحو الأمطار والحوادث ما كتب في الحجر⁽¹⁸⁾" كما في رواية البعقلي والنقش في الحجر كان دائما في الثقافة العربية وسيلة للبقاء وعدم النسيان⁽¹⁹⁾،... وهنا نصل إلى فهم ما كتبه الحضيكي في ترجمته للشيخ خالد بن يحيى الكرسي في حين قال عنه: "وكان رضي الله عنه - من أهل الشوق والمحبة والقدم الراسخة في ذلك دلت عليه قصائده التوحيدية والمدحجية وغيرها⁽²⁰⁾". فهذه الكرامة حول كتابته لا إله إلا الله محمد رسول الله تدل بدورها إضافة إلى قصائده - نجد أن كل قصائده تتضمن هذه العبارة - على مذهبه الصوفي وتعلن أنه من أهل الشوق والمحبة والتوحيد، والشوق والمحبة قد يكونان على مجرى التصوف الحلولي الذي يقول بوحدة الوجود والفناء وقد يكونا على مجرى التصوف السني الملتزم بمقتضيات الشريعة وبمبدأ التوحيد وهذا النوع الأخير هو الذي عبرت عنه مدرسة أبو القاسم الجنيد ومن ينتسبون إليها وعلى رأسهم الشاذلي، والكرسي في ممن تغذوا من تعاليم هذه المدرسة وشكلت ولادتهم الثانية.

أما الوظيفة التعليمية للكرامة فتتجلى في التركيز على التوحيد كمبدأ من مبادئ التصوف السني وهو إحدى مبادئ تصوف الجنيد والشاذلي والجزولي والغرض من الإلحاح عليه تنزيه الذات الإلهية ونفي الشرك وتنقية عقيدة الأتباع من بقايا الوثنية في الرائج في سلوك عامة الناس.

(18) وردت هذه العبارة في رواية البعقلي لهذه الكرامة.

(19) ينقل البوسعيدي أحمد الهشتوكي (970 هـ) أن كتابة "لا إله إلا الله" كتب إما في 889 أو في 898 هـ وقارن بينهما وبين آثار قدم عبد السلام بن مشيش (في الحجر أيضا) من حيث بقائها.

(20) م. الحضيكي، ج. 1، سبق ذكره، ص: 222.

أما الكرامة الثانية التي رواها أيضا صاحب دوحة الناشر ونقلها عنه الحضيكي في طبقاته، فهي كرامة تخص الشيخ الكرسي في بعد وفاته... ونصها كما جاءت في الدوحة: "حدثونا عنه أيضا بأجمعهم قالوا: لما استفحل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ وتغلب على أقطار بلاد السوس وضع عليها الخراج وجعل الوظيف على رؤوس الناس وسماه بالنائبة وكان يضبط أزمة ذلك مع كتابه إلى أن مروا في الأزمة بذكر أولاد الشيخ خالد، قال لهم السلطان أرسموهم لي في النائبة فقال له الكاتب: أبو عبد الله محمد بن الحسن: يا مولاي لا تفعل إنهم أولاد الشيخ سيدي خالد، فقال لهم السلطان وإن كانوا، المسلمون كلهم سواء في هذا الأمر، فرسموهم، ثم بلغ ذلك لأولاده بعد أيام فجاؤوا إلى قبر أبيهم وقالوا: يا سيدي إن السلطان جعلنا في زمام النائبة وكيف نعطيها وأنت عندنا؟ فرأى السلطان في تلك الليلة وكأن رجلا جعل رجله على بطنه وهو يقول له: لئن لم تننه عني لأخرجن فؤادك، فقال له ومن تكون؟ فقال: خالد، ثم إن السلطان استيقظ مرعوبا وقد انتفخ جسمه حتى عاد كالعدل، فبعث لحينه إلى الكاتب المذكور وقال له: اكتب للأولاد الشيخ خالد بأن لا يطوف أحد بساحتهم بمكروه أبدا ما دام الملك في عقبنا وأسقطهم من زمام الخراج وابعث من يحمل إليهم الكتاب، فقال له الكاتب: ألم أقل لك يا مولاي سيدي خالد يحمي حماه، فقال له عجل بما أمرتك به، فبعث الكاتب كتاب السلطان إلى أولاد الشيخ وقال لهم: اجتهدوا في الدعاء بالخير إلى السلطان عند قبر الشيخ ففعلوا فعوفي من ألمه، وعقب الشيخ إلى الآن في عز منيع وحرم رفيع⁽²¹⁾.

إذا كانت لكرامة كتابة لا إله إلا الله على الصخر ثلاثة وظائف تعريفية وتقييمية وتعليمية كما أوضحنا ذلك، فإن لكرامة رؤية السلطان للشيخ يجعل رجله على بطنه بعد إلزامه أبناء الشيخ الكرسي في أداء النائبة بدورها ثلاثة

(21) ابن عسكر، الدوحة، سبق ذكره، ص: 106/105.

وظائف تقييمة، تظهر قيمة الشيخ ومرتبته في الولاية والصلاح من خلال كراماته وخوارقه بحيث استطاع في هذه الكرامة أن يرغب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي على التراجع عن قراره - بعد أن وقف عليه في نومه وجعل رجله على بطنه - بفرض النائبة على أولاده فهو حتى بعد موته كانت له القدرة على حماية أولاده أبناء الزاوية الكرسيقية.. فسلطة الولي هنا أقوى من سلطة الحاكم (السلطان). والولي قادر على حماية أبنائه وحفدته حتى بعد موته.

أما الوظيفة الثانية فهي سياسية نقدية تبرز عدم الرضا على سياسة السلطان السعدي مع الزوايا وأبناء الأولياء والصلحاء خاصة المنتمون منهم للشاذلية والجزولية وإلزامهم بالنائبة.

والثالثة: إخبارية توثيقية تخبر بكون السلطان السعدي إبان تغلبه على سوس كتب لأولاد الشيخ خالد بن يحيى الكرسيقي كتابا وهو بمثابة ظهير للتوقيع والاحترام والإعفاء من الجبايات والمغارم والوظائف وأن "لا يطوف أحد باحتهم بمكروه أبدا ما دام الملك في عقبننا" (يقصد السعديين).

وإجمالا وإضافة إلى التحليل الوظيفي لكرامات الكرسيقي فإن المقصد من هذه الكرامات التي تحدثت عنها بعض كتب التراجم والمناقب هو التأكيد على ولاية الكرسيقي وعلو شأنه في مسالك التصوف ومقوماته لأن الكرامة كخرق للعادة هي للأولياء وقد قال بعضهم: "الآيات لله عز وجل والمعجزات للأنبياء صلوات الله عليه والإجابات للصديقين والكرامات للأولياء"⁽²²⁾.

ومن هنا نفهم تلك الألقاب التي يوصف بها الكرسيقي من طرف مترجميه حيث وصفه البعقلي في مناقبه: "بالسيد المبارك والشيخ الكامل والقطب الفاضل" ومعلوم في اصطلاح أهل التصوف أن القطبية مرتبة عالية في التصوف ويستعمل كمرادف لها مصطلح "الغوث" و"الشيخ الكامل" وسمى غوثا - كما

(22) نقلا عن درر الحجال في مناقب سبعة رجال، لمحمد الصغير الأفراني، تحقيق حسين جلاب، ص: 75.

في تعريفات الجرجاني - "باعتبار التجاء الملهوف إليه⁽²³⁾" أو بعبارة البعقلي: "تضرب إليه الرحلة للزيارة⁽²⁴⁾".

إن ما يهمنا من خلال هذه الدراسة ليس هو مدى واقعية الكرامات أو موقف الشرع منها وإنما التأريخ لعلم من أعلام التصوف الأخلاقي، تصوف الزهد والتربية كما يتجسد في شخصية الشيخ خالد بن يحيى الكرسيفي ومنحاه الصوفي المتسم بالشوق والمحبة، ودونها غلو كما عكست ذلك قصائده وأمداحه وعشقه وفنائه في التوحيد التي لم يكتف بنقشها في قلبه ووجدانه وقصائده بل رسمها بأصابعه - على حد قول الكرامة - على الصخر والحجر خوف ضياعها ونسيانها أو تلاشيها.. وذلك نموذج الصوفي والزاهد الذي استطاع أن يودع في الصخر والحجر - بما عرف به الصخر والحجر من صلابة - ما يجيش به قلبه من نفحات الشوق والمحبة للذات الإلهية والحقيقة المحمدية، فلقد أحب الله ورسوله - وكما قالت شهيدة الحب الإلهي ربيعة العدوية فإن المحب "لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه" ذلكم هو الشيخ خالد الذي يمكن اعتباره نموذج الصوفي السني للزاوية الكرسيفية كما أن عمر بن عبد العزيز هو النموذج الفقهي المالكي لها. وذلك ضمن مرجعية يحتل فيها الفقه المالكي، بجانب التصوف السني للجنيد والشاذلي موقع السيادة.. "هذا يؤكد أن التصوف والفقه المالكي في المدرسة والزاوية الكرسيفية تعايشا جنبا إلى جنب وهذا من خصوصيات التصوف المغربي عموما⁽²⁵⁾".

(23) الجرجاني، التعريفات، سبق ذكره، ص: 175.

(24) عبارة قالها البعقلي بصدد ترجمته للشيخ خالد بن يحيى، انظر مناقب البعقلي، ص: 23.

(25) انظر في هذه المسألة: "علال الفاسي، التصوف الإسلامي بالمغرب مرجع سبق ذكره، وعبد الله العروي في كتابه "مجمل تاريخ المغرب" الجزء الثالث حيث يقول بتميز حركة التصوف والزوايا بالمغرب ينبذها كل تطرف في العقيدة كما عرف في المشرق والأندلس." ص: 40.

II - الفقه ومجتمع البادية: النوازل والفتاوى الفقهية

لـ عبد العزيز الكرسيقي (ق 13 هـ)

من خلال كتاب: المؤلفات الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيقي (جمع وتحقيق عمر أفا)

يعتبر الفقه في سوس وجزولة من العلوم الشرعية الأساسية التي تحظى بالأولوية ويعتني بها السوسيون كثيرا تعليما وتأليفا وشرحا واختصارا ويذكر م. السوسي في كتابه: "سوس العالمة" أن سوس دخلت في غمار الاشتغال بهذا العلم من مفتح القرن الخامس الهجري⁽¹⁾ على عهد الفقيه المالكي وكاك بن زلو اللمطي الذي استقر في رباطه بأكلو ضاحية تزيت، وكان من طلبة أبي زيد القيرواني وأبي عمران الفاسي، وهما من كبار شيوخ المالكية بالقيروان، وقد راكم الفقهاء السوسيون منذ هذا التاريخ وضمن المذهب المالكي وفي مختلف الحقب تراثا فقهيا سواء على مستوى شروحهم واختصاراتهم لأمّهات الكتب والمؤلفات الفقهية المالكية أو على مستوى النوازل والفتاوى والأجوبة في مجال العبادات والمعاملات، وكان الفقيه السوسي يمتلك سلطة ومرجعية في التشريع والقضاء وتوزيع التركات والزواج والطلاق. الخ. وهي سلطة لا ينافسه فيها إلا الجماعة والنفاليس (مفرده أنفلوس وهم يتولون الفصل والحكم في المنازعات ووضعوا قواعد لذلك تسمى بالألواح⁽²⁾). بحيث يمكن القول أنه إلى جانب الفقهاء الذين يمثلون التشريع الإسلامي هناك النفاليس والجماعة القبلية التي تمثل الأعراف والألواح.

(1) م. المختار السوسي، سوس العالمة، ص: 45.

(2) انظر ما كتبه كل من علي صدقي أزايكو عن النفاليس والأعراف والألواح في كتابه "نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية ومحمد العثماني" في كتابه "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي".

هذه الأخيرة التي تدون فيها القوانين والعقوبات المالية التي تعتمد عليها القبيلة ونفاليستها للحكم في النزاعات وتنظيم حياة أفراد القبيلة في كل المجالات. وقد أدى هذين النوعين من التشريع، التشريع الفقهي الإسلامي الذي يتشبه به الفقهاء والتشريع المحلي العرفي الذي تعتمد عليه الجماعة والنفاليس إلى وجود سلطتين أو مرجعيتين في التشريع ببوادي سوس ومجتمعها القبلي يتنافسان ويتصارعان أحيانا وأحيانا أخرى يتقاربان حيث سجلت لنا فتاوى بعض فقهاء الجنوب المغربي جوانب من هذا التنافس في إطار إشكالية الشرع والعرف بين الفقهاء والنفاليس كما جاء في رسالة ليحيى بن عبد الله بن عبد المنعم الحاحي من القرن 11 هـ (16م) يستفتى فيها فقهاء عصره ويطلب جوابهم في ظاهرة انفلاس "جوابكم الله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية أهل الجبال منهم من أنهم يجتمعون عن آخره ويعملون منهم أهل الحل والعقد ويقولون لهم انفلاس ويسميه بعضهم الضمان⁽³⁾".

ومع ظاهرة النفاليس تطرح قضية الألواح والأعراف المحلية وهل ينبغي اعتمادها في التشريع؟ وهل هي منافية لأحكام الشرع؟.. الخ ودون الخوض في القرن 11 هـ (16م) بين مؤيد لها "إذا كانت جارية على وجه الشرع" ومنكر لها إذا كانت على خلافه⁽⁴⁾. يمكننا القول أن فقه النوازل في سوس كان وثيقة الصلة بالمجتمع البدوي وكما قال د. الحسن العبادي في دراسة له حول "فقه النوازل في سوس من القرن التاسع إلى نهاية القرن 14 هـ - فهو مجال تطبيق الفقه المالكي وتخلله إشارات إلى أحوال المجتمع وما فيه من عادات وتقاليد⁽⁵⁾ وسؤالنا إلى أي حد تعكس نوازل وفتاوى وأجوبة الكرسيفي عادات وتقاليد مجتمعه وعصره؟

(3) الرجوع إلى علي صدقي أزيكو، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص: 131.

(4) علي صدقي أزيكو، فتاوى علماء الجنوب المغربي بخصوص انفلاس ضمن كتابه: تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة.

(5) د. الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس من القرن التاسع إلى نهاية القرن 14 هـ.

وإلى أي مدى استطاع التوفيق بين الأعراف المحلية والتشريع الإسلامي والفقه المالكي؟ علما بأن فقهاء المالكية كثيرا ما يعتمدون العرف والعمل وترجيحه وفق مبدئهم في درء المفسدة وجلب المصلحة (المصالح المرسلة). ثم ماهي منهجيته في تأليفه المتنوعة؟ وكيف جمع بين الفقه والتصوف ومارس بالتالي تصوف الفقهاء؟ للإجابة عن جوانب من هذه الأسئلة قمنا بقراءة لكتاب ذ. عمر أفا المعنون ب: المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيقي.

وهو كتاب صدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 2006 - مع مقدمة من ذ. أحمد التوفيق الباحث وأستاذ التاريخ ووزير الأوقاف. أشار فيها إلى أهمية الكتاب وعلى تميز شخصية الكرسيقي عمر بن عبد العزيز بإسهاماته "عن العديد ممن "عاصره من العلماء باهتمامه بقضايا النوازل والمستجدات التي كان مجتمعه يعرفها- حيث لم يتوان في تقديم المعالجة الفقهية لبعضها إسهاما منه في حل المشاكل الطارئة⁽⁶⁾".

أقسام الكتاب وتصنيف مؤلفات الكرسيقي:

الكتاب إضافة إلى التقديم الذي هو من نوع المختصر المفيد حول الكرسيقي وإسهاماته يتوزع على مقدمة وثلاثة أقسام، وهذه الأقسام إضافة إلى أنها تصنيف لمؤلفات الكرسيقي ونصوصه. فهي تساعدنا على تحديد ملامح شخصية الفكرية والعلمية وتوجهاته.

وهذه الأقسام هي كالتالي:

أولا: فقه العبادات والآداب

ثانيا: فقه المعاملات

(6) عمر أفا، المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيقي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2006، ص: 6.

ثالثاً: مختلفات.

+ ففي القسم أو الصنف الأول يضع ذ. عمر أفا النصوص التالية:

الكوثر الشجاع في كف الظمى المحتاج: وهو من مختصرات الكرسي في كتاب المدخل لابن الحاج، وهو كتاب معروف في أدبيات محاربة البدع والتنبيه عليها، وعنوانه الكامل هو "المدخل إلى تنمية الأعمال والتنبيه إلى بعض البدع والعوائد التي انتحلت، وبيان شناعتها وقبحها" صاحبه محمد العبدري الفاسي (تو 737هـ/1336م) المعروف بابن الحاج قد يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: لماذا اهتم الكرسي بهذا الكتاب وقام باختصاره؟ وهل يعني هذا وجود نزعة إصلاحية لديه تسعى لمحاربة البدع كما عرفت في مجتمعه البدوي وهل تأثر بالمدرسة الصوفية الإصلاحية المناهضة للبدع كابن الحاج وأحمد زروق (تو 899هـ) كما يتضح ذلك من مقدمة مختصره حين أبدى اهتمامه وإعجابه بملازمته ومطالعه هذا الصنف من الكتب ككتاب المدخل لابن الحاج، أو كتاب تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان لمحمد علي الهوزالي (وله نص آخر بتأشليحت بعنوان نصيحت أي النصيحة) (تو 1162هـ/1750م). عموماً سنحتفظ بهذه التساؤلات إلى حين استكمال كل مؤلفاته:

- فتوى في مسائل عن إخراج زكاة الفطر

- فتوى حول ضرورة لبس الإحرام عند الدخول إلى مكة بغير نية الحج أو العمرة.

- مسألة الفداء

- الدرر في النظائر من مسائل المختصر: مخطوط يشير د. عمر أفا أنه لم يعثر عليه.

+ أما القسم الثاني المعنون بفقہ المعاملات فيضم نصوصاً في: فقه المعاملات

- مناظرات فقهية - السكك والأوزان والمكايل - علم الفلك والتوقيت وتفصيلها كالتالي:

الأجوبة الروضية في مسائل مرضية في البيع بالثنيا والوصية: وهذه فتوى وجواب حول مسألة تتعلق بنازلة بالبيع بالثنيا أو البيع الثنوي وهي من النوازل والمشاكل التي ترتبط بالمعاملات العقارية وبيعها بيعا مشروطا بالإقالة، حيث أن البائع يشترط استرجاع عقاره عند دفعه للقيمة التي باع بها وقد شاع هذا النوع من البيع الذي عرف بالبيع الثنوي في المغرب وبوادي سوس نتيجة التحولات التي عرفها المجتمع المغربي في القرنين 18م و19م ووصفت من طرف الفقهاء على أنها بلوى عمت بلاد المغرب "ونازلة من النوازل التي ينبغي إعطاء حكم شرعي بصدددها، وكان الكرسيقي من ضمن هؤلاء الفقهاء الذين اهتموا بهذه النازلة في أجوبته التي سماها "الأجوبة الروضية" وهي تطرح موقف الفقيه السوسي إزاء إشكالية العرف والمستجدات الطارئة في مجال المعاملات والتي عرفها المجتمع المغربي آنذاك.

- كفاية المؤونة في فهم المعونة: وهو مختصر كتاب معونة الإخوان في التركات كما أشار إلى ذلك في مستهله.

- أرجوزة في قسم التركات على الحبات والحبوب وشرحها لمنظومة عارض بها منظومة بلقاسم بن أحمد الدفلاوي التلمي في سبعة عشر بيتا.. أولها:

وللنبي أزكى الصلاة بالتوال	حمدا لربنا الكريم ذي النوال
في قسمة المتروك عمن قبرا	ستون حبة بها العرف جرى
ستين حبة وسواه غفروا	في كل حبة لديهم قدروا

مبينا فيها فساد المنظومة الدفلاوية، لما فيها - على حد قوله - في شرحه "من كثرة الحشو واختلال الإعراب وعدم الارتباط⁽⁷⁾.

(7) نفسه، ص: 272.

وهذا يكشف عن الفكر النقدي والمنهجي للفقهاء الكرسيقي الذي تميز كتاباته ومعالجته للقضايا الفقهية، وأيضاً حواراته وسجلاته ومناظراته مع فقهاء عصره.

- رسالة في قسمة التركة إذا كان فيها كد وسعاية حفاظاً على حقوق المرأة والكسبة. وهذه معروفة بين أصحاب النوازل بسوس بعدة عناوين منها: "السعاية عن حقوق المرأة في كسب الرجل" وحق الكد والسعاية للمرأة يكاد يكون خصوصية محلية لبوادي سوس حيث يعترف لها بنصيبها في كل ما يدخل إلى المنزل إذا شاركت فيه وكما أشار على ذلك ذ. أحمد العثماني في كتابه "ألواح جزولة"⁽⁸⁾ فإن كتب نوازل علماء جزولة زاخرة بأحكام السعاية وهناك عدة منظومات في السعاية مثل منظومة أبي زيد عبد الرحمان الحشتمي (تو 1269 هـ) في المهر والجهاز والسعاية..

- منظومة في الحبس علي صبي، دارت فيها المذاكرة بين الكرسيقي وبين أحد الفقهاء من معاصريه

- منظومة في المعاملات

وضمن المناظرات الفقهية نجد:

- عنوان الابانة والتبيان في نقض فتوى الريراكي التملي ابن ساسان

- منظومة فقهية لأبي زكرياء يحيى وجوابها من نظم عمر بن عبد العزيز الكرسيقي في 55 بيتاً.

وهذه المنظومة هي مساجلة بين الفقيه الإيديكلي والكرسيقي وهي عبارة عن أجوبة للفقهاء الكرسيقي عن أسئلة فقهية في العبادات وجهها إليه الفقيه الإيديكلي، وهذا النوع من التأليف والمناظرة والسجال الفقهي كان رائجا بين

(8) العثماني محمد، ألواح جزولة، سبق ذكره ص: 70.

فقهاء سوس. وهو إحدى التقاليد العلمية في الوسط الفقهي بسوس وبين نخبته
العامة ونلاحظ أن عددا منها من إنتاج الكرسي في الفقهي ثم في هذا الإطار.

أما بخصوص ميدان السكك والأوزان والمكاييل وعلم الفلك والتوقيت
فذكر له ذ. عمر أفا عدة رسائل وهي: رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون
الأخيرة، ورسالة في تحقيق أوزان النقود في سوس - رسالة في اقتناء الموازين
الكيلية الشرعية وتحقيقها - رسالة في تحقيق المد والصاع النبويين وصنعها من
النحاس - نظم في بيان منازل الشمس الفلكية وشرحه - رسالة في معرفة بداية
السنة الفلاحية الشمسية وما يوافقها من السنة القمرية.

وما يلاحظ بالنسبة لرسائله في السكة والنقود والموازين أنها كتابات
ونصوص وفتاوى جاءت أساسا استجابة للتحويلات التي عرفها المغرب وبواديه
منذ القرن 18 في مجال التبادل التجاري والنقدي مع أوروبا وانعكاساته على الوضع
النقدي والمالي الداخلي للمغرب وما خلقه من مشاكل تتعلق بقيمة النقود
وأوزانها ومبادلاتها ووجود الغش فيها، وكان الفقيه ملزما بالتدخل لمعرفة الحكم
الشرعي في هذه النوازل والمشاكل المستجدة خوفا من شبهة الربا ولفظ المنازعات
الناجمة عنها ولأن لها ارتباطا بمجال العبادات وإخراج الزكاة وقسم التركات
ودفع الديات والغرامات وجهاز المرأة عند زواجها وحقوقها عند طلاقها.. الخ

والكرسي في كان من الفقهاء القلائل الذين انكبوا على هذه النوازل المرتبطة
بمسألة النقود والسكك والموازين ومشاكلها من منظور شرعي وبمنهجية تتسم
بالإبداع والاجتهاد والجمع بين الشرع والعرف المحلي.

أما في القسم الثالث من الكتاب فتضمن مختلفات من التصوف والحديث
والسيرة النبوية والنحو ومراسلات الكرسي وإجازاته كالتالي:

في التصوف: توسلات وتوبة (شعر) - رجز في التوسل لبعض رجال
الرسالة القشيرية - في الحديث: شرح الأربعين النووية، في السيرة النبوية: السراج

المتوقد الأصفى في ذكر بعض أحوال المصطفى - دلالة الهائم الكتيب على أطلال ربوع الحبيب - في النحو: مسائل نحوية في المراسلات والاستجازات، استجازته الحضيكي ومراسلته للهلال، مراسلة إلى معاصره محمد بن عمر الاسنكريسي. كما تضمن الكتاب مجموعة من الصور لصفحات من مخطوطات الكرسيفي واستجازاته⁽⁹⁾.

شخصية المؤلف وعصره:

أما بالنسبة لحياة المؤلف وشخصيته وعصره فكتاب ذ. عمر أفا تحدث عنها باقتضاب في مقدمته حيث قال بأن العلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي السوسي (تو 1214 هـ/ 1800 م) من أشهر فقهاء المغرب في القرن الثالث عشر للهجرة الموافق لبداية القرن التاسع عشر الميلادي.. واسمه الكامل هو عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن بن داود بن يحيى بن يوسف الكرسيفي، نسبة على أكرسيف، الإرغي (إيرغ بلدة في إدا كنضيف - آيت باها) ينتهي نسبة إلى عثمان بن عفان.⁽¹⁰⁾

فهو كما يقول ذ. عمر أفا نقلا عن المختار السوسي "ولد من أسرة علمية عريقة وهي من الأسر العلمية المغربية التي عرفت استمرارا برجالاتها في مجال العلم دون انقطاع من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حيث لم يعرف المغرب من الأسر بهذا الاستمرار، على أسرة آل الفاسي بفاس والكرسيفيين بسوس⁽¹¹⁾... ونقل ذ. عمر أفا إشارات بعض مؤرخي الطبقات بشخصية الكرسيفي وعلو كعبه في مجال العلم والمعرفة كما ذكر ذلك عبد الرحمان الحيشتمي في - الحضيكيون - حيث قال عنه أنه: "من المحققين في فنون العلم

(9) افا عمر، مؤلفات كاملة.. ص: 455.

(10) انظر الرسالة التوغزيفية حول النسب العثماني للكرسيفي، وقد أوردناها في ملاحق هذا الكتاب.

(11) افا عمر، نفس المرجع.

فقهها ونحوها ولغة وحسابا وتفسيرا وحديثا وبيانا ومنطقا وتصريفا وكان مشاركا في شتى الفنون". ونعته بالمحقق والمشارك هي ألقاب علمية رفيعة في الوسط العلمي والفقهى التقليدي تبين مكانته العلمية العالية إضافة إلى تلقيه العلم بفاس ورحلته إليها وأخذه عن شيوخها وإجازاتهم له وفاس كحاضرة ومركز علمي تضيفي لمن درس بها قيمة مضافة إلى علمه. أما عن عصر المؤلف فقد ذكر. ذ. عمر أفا بأنه كان له أثر كبير في بعث اهتماماته العلمية "حيث عاش في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي (1171-1204 هـ / موافق ل 1757-1790م) وبداية العهد السليمانى في وقت اضطرب فيه التعامل التجاري (نهاية 18م وبداية ق 19) مع بعض البلدان الأوربية عن طريق الموانئ المغربية نتيجة بداية الضغوط الأجنبية، وشاهد الكرسيفي التطورات التي حدثت في الجنوب المغربي نتيجة التحول التجاري والانحسار الاقتصادي اللذين صاحبا فترة إنشاء السلطان سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة ومرساها سنة 1178 هـ / 1765م لتكون بديلا عن مرسى أكادير الذي أمر بإغلاقه (..) وعلى إثر إغلاق مرسى أكادير ورحيل التجارة عنه إلى مرسى الصويرة وتشجيع المخزن للأوربيين على إقامة علاقات اقتصادية مع هذا الميناء الجديد أصيب سوس باضطراب شديد ازدادت حدته مع وفاة السلطان محمد بن عبد الله وذلك قبل أن تستقر الأمور للسلطان سليمان كما زاد من حدته ما عرفه المغرب عموما في مطلع القرن 19م من انتشار وباء عظيم شمل جميع الجهات (..) وكان عمر بن عبد العزيز من بين عشرات العلماء الذين لقوا مصرعهم من جراء هذا الوباء سنة 1214 هـ / 1800م ثم خلاص د. أفا إلى القول لتحديد التحولات التي عرفها الجنوب المغربي وسوس وتأثير ذلك على اهتمامات الكرسيفي وإنتاجه العلمي والفقهى إلى القول بأن الانحسار الاقتصادي لمنطقة سوس بإغلاق ميناء الصويرة والتحولات التي عرفها مناطق المغرب على المستوى التجاري والاقتصادي والنقدي وتراجع دور الطرق التجارية التقليدية

الصحراوية التي كانت تعبر سوس كمنطقة وسيطة. كان له تأثيره وانعكاساته على حركة التأليف والاهتمام بالقضايا الاقتصادية والعقارية وبالخصوص "بيع الثنيا" وقيمة النقود وأوزانها وصرفها والاستدانة. وفي هذا السياق وضمن هذه الاهتمامات جاءت أهم مؤلفات الكرسيفي ونصوصه ورسائله وفتاويه مما يؤكد على العلاقة بين الفقه والمجتمع وكون أدب النوازل الفقهية والفتاوى تقدم مادة غنية للمؤرخ والباحث لمعرفة جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديني للمغرب في بواديه وحواضره واختيار دعم أفا لنوازل وفتاوى ومؤلفات الكرسيفي التي كانت صدى واستجابة لمشاكل وقضايا عصره ومجتمعه ترمي إضافة إلى التعريف بالإنتاج الفكري والفقهي لهذا الفقيه السوسي الموسوعي إستجلاء جوانب من تاريخ مجتمع البادية المغربية بسوس وتحولاته كمجتمع لم يكن معزولا أو بعيدا عن التحولات التي شهدتها المغرب عموما في القرنين 18 و19م بفعل الضغط الأوربي والانفتاح التجاري على أوروبا نتيجة المعاهدات التي أبرمت مع مختلف البلدان الأوربية آنذاك..

فالفقيه الكرسيفي كما يتضح ذلك من مؤلفاته كان شاهدا ومنصتا أو مراقبا لهذه التحولات ولما أفرزته من قضايا ونوازل وتصدى لها بالفتوى والاجتهاد الفقهي وسؤالنا بأي منهج وبأية طريقة؟

منهجية الكرسيفي في تأليفه:

في الكتاب يقول ذ. عمر أفا بأن الكرسيفي "كان يتميز من بين معاصريه بالإبداع في تناول الموضوعات الحديثة التي تتطلب معرفة علمية متخصصة وتعمقا ودراية بالأحكام الفقهية"⁽¹²⁾

(12) نفسه، ص: 18.

فأين تتجلى الروح الإبداعية والتعمق العلمي والدراية الفقهية في مؤلفات الكرسيفي ونصوصه؟

وبتعبير آخر ما هي المنهجية التي اعتمدها الكرسيفي والتي تميزه عن معاصريه ما دامت القضايا التي اشتغل بها تكاد تكون عامة بين فقهاء عصره؟

كجواب يقدم ذ. عمر أفا عناصر هذه المنهجية في العناوين التالية:

- تحرره من قيود استعمال النصوص التقليدية والإسراف في تكرارها

- التزامه بمنهجية علمية بالاعتماد على الوثائق وتوظيف المراجع لبناء موضوعاته جاعلا نصب عينيه نسبة الحقائق وضرورة دعمها بالحجج العقلية والمنطقية.

- اعتماده لذلك الأسلوب الجدلي واعتماده الفكر والتأمل والبحث والاجتهاد العقلي..

- جعله أسلوب المناظرة منهجا لمعالجة أعسر القضايا وكان هذا المنهج من أسباب شهرة مؤلفات الكرسيفي وتداولها واستنساخها

- استشهاده بالنصوص الشرعية واعتماده القواعد الأصولية إلى جانب إعماله للفكر والتأمل

وإذا أردنا من خلال هذه العناصر المكونة لمنهجيته بناء شخصية الكرسيفي العلمية نقول أنها شخصية فقيه موسوعي يتميز بروح الإبداع وإعمال الفكر والبحث والتأمل العقلي دونما إهمال للنصوص الشرعية ومرجعيات أصول الفقه المقررة لدى فقهاء المالكية، وهو ميال إلى اعتماد أسلوب المناظرة والمحادثة في القضايا الشائكة المتداولة في عصره منفتح على أقرانه ومعاصريه بالحوار والمساجلة.. طرق جل الموضوعات الفقهية المعروفة وألف فيها باعتماد أساليب الكتابة المتداولة في عصره من رسائل وشروح ومختصرات ومنظومات وفتاوى.. الخ.

وكان منصتا لتحولات ومستجدات مجتمعه آخذا بعين الاعتبار تقاليده وأعرافه المحلية دون التفريط في مهمته كفقيه عليه إبداء رأيه الشرعي، ثم إضافة إلى كل هذا هو صاحب فكر صوفي وإصلاحي تكشف عنه اهتمامه بالمؤلفات التي وضعت في محاربة البدع ونهج طريق السنة ككتاب ابن الحاج "المدخل"⁽¹³⁾ الذين أكدوا إعجابه به وملازمته لمطالعتة وممارسته إلى جانب كتب أخرى ككتاب تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان للهوزالي.. وقد استفاد من هذين الكتابين في مختصره "الكوثر الشجاع في كف الظمى المحتاج" الذي أبان فيه عن نزعة الصوفية الفقهية والإصلاحية ونقده لكثير من البدع في عصره ومجتمعه مما يقع منها في المساجد والأعياد والمناسبات ولدى النساء وسلوكهن ولباسهن وفي أمور مختلفة كثيرة⁽¹⁴⁾..

ويمثل الكرسي في هذه الشخصية الفكرية والإصلاحية نموذجا لتصوف الفقهاء، في المدرسة والزاوية الكرسية. ولقي الكتاب شهرة بسوس وثم نظمه من طرف الفقيه محمد بن مسعود المعذري (1330 هـ) في منظومة تعليمية تحت عنوان: "الكوثر الشجاع في كف الظمى عن المحتاج في نظم مختصر ابن الحاج".
أولها:

الحمد لله الذي قد	لنا الرحمة منه مدخلا
نبينا المحمود من أولاه	كوثره من فضله مولاه
والقصد نظم الكوثر	مختصرا المدخل لابن

(13) هو كتاب "المدخل" لابن الحاج العبدري (1336م) وهو فقيه صوفي رفع لواء الإصلاح وحارب البدع وكتابة المدخل مدرسة لنقد البدع

(14) أفا عمر، المؤلفات الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسي في.

وقد وردت هذه النظومة ضمن المنظومات التعليمية في سوس محمد المصباحي دراسة وبيلوغرافيا⁽¹⁵⁾.

وبهذا يستحق هذا الفقيه الكرسي في المزيّد من الدراسة لمؤلفاته ونصوصه المنشورة مع ضرورة البحث في اكتشاف نصوصه الأخرى التي لازالت مخطوطة وغير معروفة وقد قام ذ. عمر أفا بجهد علمي كبير في كتابه بجمع وتحقيق جزء مهم من مؤلفات الكرسي وأسدى بذلك خدمة للبحث في مجال التراث الفقهي ببوادي المغرب وأطرافه ممن لقيهم التجاهل من طرف الحواضر والمراكز.

(15) انظر نص المنظومة ضمن كتاب المنظومات التعليمية بسوس، دراسة وبيلوغرافيا، محمد المصباحي، مطبعة النجاح، البيضاء، ط1، 2004، ص: 138

III - مهدوية وحركة عبد الله الكرسي في القرن 12 هـ (18م)

من خلال بعض المصادر التاريخية: بين الهامش والمركز

تقديم:

ظهر في التاريخ السياسي والديني بالمغرب العديد من أدعياء المهدوية والإمامة، وفكرة المهدوية تسربت إلى المغرب عن طريق التشيع والفرق الشيعية منذ عصر الفاطميين والعباسيين ثم الموحدين مع المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في القرن السابع الهجري. وقد انطلقت دعوته من تنمل حيث مدرسته وجامعه بين قبائل مصمودة واقتبس من الشيعة فكرة المهدوية وعصمة الإمام، وتحدث عن ذلك في كتابه "أعز ما يطلب" وإلى جانب مهدي الموحدين هناك فقهاء ومتصوفة آخرون تشبعوا بفكرة المهدوية مثل حاميم الغماري شمال المغرب (في 315 هـ) وأبي عباس السجلماسي المعروف بأبي علي قتل سنة 1522 هـ، وترتبط ظاهرة المهدوية في التراث الشعبي الشفوي بفكرة الدجال، وبو حمارة، وبو عمامة وبو حلاسة.. الخ وقد عرف المغرب شخصيات لفقهاء ومتصوفة وأولياء لبعض الزوايا ممن استهوتهم المهدوية والإمامة وشقوا عصا الطاعة على السلطة المركزية مما جعل فكرة المهدوية لها صلة بالإمامة والولاية، حيث نثر على نماذج لمدارس وزوايا وطرق صوفية جعلت من مؤسسها الأول إماما ومهديا منتظرا أو قطبا أو غوثا حسب التعبير الصوفي كما هو الشأن مثلا بالنسبة لأبي الحسن الشاذلي تلميذ ومريد عبد السلام بن مشيش ومؤسس الطريقة الشاذلية في القرنين السابع الهجري قتل (625 هـ).. ومريده محمد بن سلميان الجزولي (تو 870 - بعد أن سمم) الذي شاع عنه مخاطبته للخضر والالتقاء به والنقل عنه ولقب بمهدي الأمة المنتظر أو الفاطمي الذي سيملا الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وقد لمح إلى هذا المنحى الفاطمي والنزعة نحو المهدوية لدى الجزولي بعض

معاصريه كأحمد زروق في كتابه عدة الفقير، وأبو عبد الله مرزوق الخطيب (تو 766) والشيخ أبي القاسم العبدوسي (837 هـ).

أما بخصوص بوادي سوس فقد عرفت بدورها حضوراً "لظاهرة مدعي المهدوية" ولزوايا تحولت إلى إمارات من أشهرها زاوية أحمد بن موسى وهي زاوية تندرج ضمن شبكة الزوايا الجزولية بسوس، حيث سيتصدي أحد أبناء الشيخ التازروالي للإمارة وهو إبراهيم بن محمد (تو 1018 هـ) مستغلاً الفراغ الذي خلفه موت السلطان السعدي المنصور الذهبي وصراع أبنائه حول الحكم - تزامن من هذا مع "قيام زاوية أخرى طامحة للسلطة وهي زاوية أبي محلي (1022 هـ) وزاوية يحيا الحاحي، وهو الآخر من أتباع الطريقة الجزولية، ودون الدخول في تفاصيل ومسار الزاوية الإيليغية بعد انتقالها إلى إمارة - ويمكن الرجوع للمزيد من المعلومات إلى كتاب مؤرخ سوس العالمة (محمد المختار السوسي) "إيليغ قديماً وحديثاً"⁽¹⁾.

فإننا نقول أن ظاهرة "المهدوية وتحول الزوايا الطرقية إلى إمارات كانت معروفة أيضاً ببوادي سوس ويوصف أصحاب هذه الطموحات السياسية أحياناً بالثوار وأحياناً أخرى بالمهدويين أو الفتانين أو الفاطمي كما هو حال ثائر عرف في تاريخ سوس بأبي أحلاس ثار عام 1207 هـ مستغلاً اسم يزيد ابن السلطان محمد بن عبد الله وقد جمع أخباره محمد بن أحمد الأدوزي (تو 1221 هـ) في كرايس عنوانها بـ "نزهة الجلاس في أخبار أبي أحلاس" ذكرها المختار السوسي مختصرة في ترجمته لإبراهيم الأدوزي في القسم الثالث من المعسول، وليس هذا هو الثائر أو المهدوي الوحيد الذي تحدثت عنه المصادر التاريخية بسوس حيث نجد أسماء أخرى كالطالب صالح بحاحا (1161 هـ) والشريف الكثيري الملقب ببوتكلا (1167 هـ) وهما معاً من القرن 18 م وذكرهما الضعيف الرباطي في تاريخه ومعهما أبي

(1) السوسي محمد المختار، إيليغ قديماً وحديثاً، المطبعة الملكية، الرباط، 2005 (ط4).

محمد عبد الله الكرسيفي ومحمد الكرسيفي وقد انتبه مؤرخ سوس العالمية إلى ظاهرة الثوار المهدويين بسوس فجمع أخبارهم في كتاب أو محاضرة له حول "الثوار السوسيون" وهي لا زالت مخطوطة لم تنشر وردت ضمن فهرس دليل مؤلفات ومخطوطات محمد المختار السوسي⁽²⁾، ولا شك سيرد اسم الفقيه الكرسيفي بن بلقاسم من القرن 12 هـ ضمن هؤلاء الثوار، هذا علما أنه ترجم له في كتابه المعسول في الجزء الخاص بالأسرة الكرسيفية⁽³⁾ وقال عنه أنه "الثائر المشهور بين الكرسيفيين سنة 1188 هـ بعد وفاة السلطان المولى اسماعيل، فمع عبد الله هذا انتقلت الزاوية الكرسيفية في إحدى فروعها بأسكاور إلى إمارة لكنها لم تعمر طويلا وانتهت بمقتل صاحبها سنة 1150 هـ أي أنها لم تستمر سوى ستين من 1148 هـ إلى 1150 هـ.. فماذا قالت المصادر التاريخية القليلة عن حركة الكرسيفي ومهدويته؟ وما هي دوافعها؟

I - المصادر التاريخية التي تحدثت عن حركة الكرسيفي:

من المصادر التاريخية عن حركة الكرسيفي ومهدويته هناك تاريخ الضعيف الرباطي من القرن 12 هـ⁽⁴⁾ ونشر المثاني لمحمد القادري⁽⁵⁾ وإتحاف أعلام الناس لابن زيدان⁽⁶⁾ أما على الصعيد المحلي فأهم مصدر هو ما كتبه محمد المختار السوسي في المعسول: ج 17 اعتمادا على ما استفاده من كراسة في نسب الكرسيفيين تعرف بكراسة التوغزيفتي من القرن 13 هـ⁽⁷⁾. أما الدراسات الحديثة التي تطرقت

(2) رضى الله عبد الوافي، فهرس دليل مؤلفات ومخطوطات محمد المختار السوسي، مجلة المناهل، عدد (76-75) أكتوبر 2007.

(3) محمد المختار السوسي، المعسول ج 17.

(4) محمد الضعيف، تاريخ الضعيف (تو 1165 هـ) وقد عده ليفي روفنصال في كتابه مؤرخو الشرفاء من ضمن مؤرخي الدول العلوية.

(5) محمد بن الطيب بن عبد السلام الحسني الفاسي، (تو 1187 هـ / 1773 م) والكتاب عنوانه: "نشر للمثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني".

(6) إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج 4، الطبعة الثالثة 1990

(7) توجد ضمن هذا الكتاب وفي القسم الأول منه.

لحركة الكرسي في ومحاولة تفسير دوافعها فهناك كتاب "المخزن وسوس" (1672-1822)⁽⁸⁾ للباحث محمد حنداين وهو في الأصل أطروحة جامعية نوقشت بالرباط لنيل الدكتوراه في التاريخ، ثم كتاب: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للباحث محمد الأمين⁽⁹⁾ البزاز، هذه هي المصادر على حد علمنا التي ورد فيها ذكر للكرسي وحركته وهي مصادر قليلة لا تسمح إلا بإضاءة بعض الجوانب من حركة هذا الكرسي الذي سعى إلى استغلال الإرث المراتبي لأسرته وشهرة الزاوية الكرسية وصلحاتها في منطقته ومحيطه القبلي لتحقيق طموحاته السياسية التي قام بتغطيتها برداء المهدوية لكنه انتهى إلى الإخفاق واغتيل بنواحي أكادير.

فماذا قالت إذن هذه المصادر عن هذه الحركة وصاحبها؟

أ - ما قاله الضعيف الرباطي عن مهدوية الكرسي:

في تاريخ الضعيف وتحت عنوان "ثورة القائم أبي محمد عبد الله ومحمد الكرسي" جاء ما يلي "وفي هذه السنة المذكورة [يقصد سنة 1147 هـ] ثار بأقصى سوس القائم أبو محمد عبد الله ومحمد الكرسي من (انتصت) [الصحيح كما في التحقيق هو انتملت] حرك لأهل أكادير ودخلها عنوة بالسيف وأكل أهلها وأوقع بهم وقعة هائلة فنزل على معانهم في فونتي تحت سيدي أبو القنادل حتى مات الجل منهم عطشا من نسائهم وصبيانهم وكانوا يدفنونهم في الديار والمساجد وقبائله وفي أهل الوطا من أيت وزنيف ويحث على الجهاد في أهل أكادير فقال: "أن ثلثهم نصارى وثلثهم يهود وثلثهم مسلمون عصاة حطب جهنم وأنه ركن من أركان جهنم، ثم أن أهل سوس الذين وفدوا معهم لم يروا البحر قط وتغشموا فيه، فمن جهلهم اخذوا يشربون منه ويخوضون الزميتة (نوع من

(8) حنداين محمد، المخزن وسوس (1672-1822)، مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة، دار أبي رقرق، ط. الأولى، 2005، تحدث عن ثورة الكرسي في صفحات من 373 حتى 377.

(9) البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب بالرباط 1992.

الطعام) بمائه فمات منهم خلق كثير من أجل ذلك ثم رجع الثائر المذكور لتارودانت وأراد أن يغزي هواره ففهموا ذلك منه وأرادوا غدره ثم أنه فر منهم وقال: "إني أردت زيارة سيدي عياد فأخذوا يلعبون بالبرود مع أصحابه فلم يقرأ فيهم أمان وفر بنفسه منهم، فتبعوه إلى أن وصلوا في صهريج أيت أيوب في تنزت فضربوه بالرصاص ففر أيضا ودخل دار الشيخ أحمد ويدر وما في داره فنهبوا (كذا) ماله أيت بيشو وذلك عام سبع وأربعين ومائة وألف 1147 هـ والذي قتله هو ابن دهمان الهواري وصاين الهواري ويعيش الزكيني المنبهي، وكان مولانا عبد الله على تارودانت واستولوا عليها وعلى جهاتها وعلى حصن أكادير⁽¹⁰⁾".

ب - ما قاله محمد بن الطيب القادري عن الكرسي في كتاب نشر المثاني:

تحت عنوان "طلوع مولاي عبد الله إلى تادلا وتنكيه بأهل فاس المقيمين بمراكش" كتب القادري ما يلي "وفي شوال خرج مولاي عبد الله من تافيلالت وذهب لتادلا ثم لقصة مزم بأيت عتاب، واجتمعت عليه قبائل تلك الناحية وأهدوا له، وجاء أهل تارودانت بعد أن قتل بها في تلك الناحية محمد بن عبد الله السوسي (يقصد الكرسي في) كان زعم أنه المهدي صاحب الأمر، قتل في حرب هواره من عرب سوس ثم أرسل مولاي عبد الله على مراكش فقبض أهل فاس الذين بها واستولى على أمتعتهم ونالتهم محنة ثم عفا عنهم وأطلقهم⁽¹¹⁾".

ج - ما نقله ابن زيدان في كتابه: إتحاف أعلام الناس

"وفي عام ثمانية وأربعين ومائة وألف كانت فتنة عبد الله بن محمد الكرسي مدعي المهديوية بالسوس وارتفع صيته في تلك الأصقاع وملاً أرجائها واقتحم حصن أكادير عنوة، وفعل بأهلها ما ينجل وجه المروءة وخيم بالمحل المعروف بفونت تحت أبي القناديل ومنعهم حتى مات جل تلك البلاد نساء ورجالا

(10) الضعيف محمد، تاريخ الضعيف، الجزء الأول، ص: 209-210.

(11) القادري محمد، نشر المثاني، الجزء الثالث، ص: 405.

وصبيانا عطشا وحيل بينهم وبين المقابر العامة فصاروا يدفنون موتاهم بالدور والمساجد وكان الفتان المذكور يحث أهل سوس على غزو أهل أكادير ويقول لهم أن ثلثهم نصارى وثلثهن يهود وثلثهم عصاة حطب جهنم، فأجابه لذلك خلق كبير من أهل سوس والحال أنهم لم يروا البحر قط، ولما نزلوا بساحته، أخذوا يشربون ماء البحر ويلثون به سويقهم فهلك منهم عدد عديد، ثم عاد الثائر لتارودانت مصمما على الإيقاع بهوارة ولما شعروا بمراده اتخذوا سائر الاحتياطات اللازمة وأجمعوا أمرهم على اغتياله فأوعز إليه بذلك بعض المعتقدين له فأشاع أنه يريد زيارة أبي حفص عمرو هرون برأس الوادي فتبعته هواراة إلى أن لحقوا به بثلاثاء تماصت بزاوية السيد عياد وأخذوا يلعبون بالبارود مع أصحابه مظهرين الفرح به والطاعة له فلم يأمن فيهم ونجا بنفسه فاقتفوا أثره إلى أن لحقوا به بصهريج أبي أيوب في تنزرت وأطلقوا عليه أفواه مكاحلهم بالرصاص ففر ودخل دار الشيخ أحمد ويدير ومات بداره ونهب أيت يش ماله، قاله الضعيف وقد وقع لصاحب الدار المنتخب في سوق هذه الحادثة تخليط واشتبه عليه أمرها واشتك وارتبك، وبموت هذا الفتان الأفاك اطمأنت نفوس أهل تلك البلاد وأمنت سلبهم وكان الذي قتله هو ايت همان وماين الهوريان ويعيش الزكني المنبهي".⁽¹²⁾

د - ما جاء في ترجمة الكرسي في الثائر في المعسول للمختار السوسي:

"عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الله بن محمد: هذا هو الثائر المشهور بين الكرسيين في سنة 1148 هـ في عهد أولاد مولاي اسماعيل وهو فقيه حسن المعلومات، بنى مدرسة في المحل المسمى (إيوزليت) إزاء مسقط رأسه أسكاور حول دار أسسها هناك، فكان يدرس فيها، ثم صدر منه ما صدر. قال فيه مؤرخ الأسرة سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد في كناشته: مات السلطان بابا

(12) ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس، ج. 4، ص: 406-407.

وسيدي عبد الله بن محمد قتل مظلوما ودفن في تاميزرت سوس عام 1150 هـ كما رأيت ذلك في بعض المؤلفات وقد انتصر بأكر سيف وبايعه فيها أهل الحل والعقد فذهب مع محله إلى الغرب، فقتل هناك بسوس فدفن فيه، وبنيت عليه قبة كبيرة وقد ذكر عمن بابا محمد بن محمد سكوك الأسكاوري أنه أصلح تلك القبة وجصصها بالجير، تقبل الله الإحسان من أهل الإحسان، وقد ذكر لنا أهل تلك البلدة التي دفن فيها، أن القواد من الشيوخ إذا خرجوا مع عساكرهم إلى البرود بينهم وبين القبائل أعدائهم، لا يسلكون فم القبة ولأقدامها، ومن سلك أمام القبة بتلك الحالة لا يرجع سالما رحمة الله عليه" .. (ثم ذكر المختار السوسي رواية ابن زيدان وملخص ما ذكره عن الكرسي في وما نقله عن الضعيف، إضافة إلى نص قال عنه السوسي بأنه ظهير حرره عبد الله بن محمد لأهله الكرسي فيين على نسق الظهائر المعلومة. كما أورد وثيقة تفيد معارضة آل الشيخ سيد عبد الجبار التمليون بأيلي للمرابط عبد الله بن محمد الكرسي في وموقف القبائل منهم⁽¹³⁾).

هـ - ثورة الكرسي في في كتاب: المخزن وسوس لمحمد حنداين

أما بالنسبة للمصادر والمرجع المعاصرة فنسوق نصا من كتاب بعنوان: "المخزن وسوس" (1672-1822): مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة، لمحمد حنداين ومما كتبه عن ثورة محمد الكرسي في نقرأ ما يلي⁽¹⁴⁾:

"أشرنا سابقا إلى أن المخزن المركزي لا يتحكم، تحكما مطلقا، في كل مناطق سوس. فإذا كان السلاطين العلويون يجدون في تارودانت ملجأ لهم ضد عبيد البخاري، فإن القبائل لا تشعر في حضورهم بسوس بثقل المخزن، وعناء الحركات المألوفة في العهد الاسماعيلي، وحتى الرسائل والظهائر التي ترسل إلى

(13) السوسي محمد المختار، المعسول ج 17، ص: 86-87-88-89.

(14) محمد حنداين، المزن وسوس (1672-1822)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، يوليو

2005، صفحات من 371 حتى 377.

المرابطين والفقهاء من طرف م. عبد الله، في هذه المرحلة الأولى، لا تشكل ممارسة للسلطة الفعلية للمخزن في الإقليم. وأن القبائل السوسية وخاصة سوس الأدنى قد بايعت - على ما يبدو - المولى عبد الله، وقدمت له المساعدات اللازمة طواعية من غير عنوة. فالسلطان في هذه الحالة يكون في موقع الالتجاء لدى القبائل، وليس في موقع التحرك ضدهم. لذلك فإن أغلب القبائل السوسية كانت مستقلة، وبالخصوص قبائل جزولة الجبلية. وأن الحديث عن انتصار السلطان على إحدى القبائل في هذه الفترة، لا يعدو أن يكون انتصار الجانب القبلي الذي انحاز إلى المخزن.

وفي ظل هذه الظروف، فإن القبائل السوسية والجبلية بالخصوص تعلن من حين إلى آخر عن استقلالها، في أشكال ثورات وتمردات. وأثناء خلع م. عبد الله عن العرش في المرة الأولى، والتجائه لسوس، قامت هنالك ثورة بزعامة الثائر المعروف بالكرسيفي سنة 1147/1734. وقد تمكن من السيطرة على أكادير.

ويقول عنه المختار السوسي: "إن هذا الثائر هو المشهور بين الكرسيفيين في سنة 1148 في عهد أولاد مولاي إسماعيل وهو فقيه حسن المعلومات، بنى أولا مدرسة في المحل المسمى (أبوزليت) إزاء مسقط رأسه (أسكاور) قال فيه مؤرخ الأسرة سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد التوغزيفتي في كراسته: "مات السلطان بابا وسيدي عبد الله بن محمد، قتل مظلوما ودفن في (تاينزرت) بسوس عام 1150" كما رأيت ذلك في بعض المؤلفات، وقد انتصر (بأكرسيف) وبايعه فيه أهل الحل والعقد فذهب مع محله إلى الغرب، فقتل هناك بسوس، فدفن فيه وبنيت عليه قبة كبيرة".

ونستفيد من هذه المعلومات أن الكرسيفي قد استغل الفراغ السياسي الذي أحدثته ضعف المخزن المركزي، فأعلن عن ثورته في جبل جزولة، معتمدا على قوة قبائل إيداوولتيت التي كانت تقف باستمرار ضد امتداد النفوذ المخزني إلى بلادهم. وقد سيطر الكرسيفي على جبل جزولة، وعلى ما يحتويه من ثروات طبيعية معدنية

وبشرية. ثم بعد ذلك مد نفوذه على ازغار بانتصاره على قبائله (أكرسيف وتزنيث وأيت جرار...) وهي في أغلبها تنتمي إلى حلف تحكات. وعندما بويغ من طرف أهل الحل والعقد اتجه إلى قبائل ماسة وأشتوكن التي غالبا ما تشايح السلطة المخزنية بتارودانت. ونظرا لضعفها استطاع الكرسيفي استمالتها إلى جانبه، مخترقا بذلك وادي سوس، متوجها على أكادير الذي كان يهدف من وراء السيطرة عليه التحكم في مينائه والتعامل مع الأوربيين تجاريا وسياسيا.

ويسود الغموض بعض جوانب هذه الثورة، حيث تشير النصوص إلى وصول المولى عبد الله إلى تارودانت، في نفس السنة التي وقعت فيها هذه الثورة، كما ان الكرسيفي انتقل من أكادير إلى رأس الواد مارا بقبائل هواره، الشيء الذي أدى على وقوع صراع بينه وبين هذه القبائل. ويشير الضعيف إلى أن م. عبد الله كان مستقرا بتارودانت في هذه الفترة، دون أن يخبرنا عن رد فعله تجاه الكرسيفي، ولا إلى طبيعة العلاقة بينه وبين الكرسيفي.

أما المصادر الأوربية فهي، على العكس من ذلك، تفيدنا بمعلومات دقيقة حول هذه الفترة، وعن هذه العلاقة، حيث وردت رسالة من عند مونطانيي (Montanié) من جبل طارق مؤرخة في 12 يوليو 1737 تقول: "في سان كروا ببلاد البربر، علمنا أن أحد الصلحاء الذي يوجد على بعد ميلين من هذا المكان، قد دخل بالقوة إلى سان كروا مع جيش قوي، وقام أولا باعتقال 9 من أعيان المدينة [...] وربطهم بالسلاسل، ووجههم إلى تارودانت في إشارة منه إلى م. عبد الله [الذي يحكم تارودانت] معرفة سبب مقتلهم قائده. وقد نشر هذا الصالح في سان كروا إن م. عبد الله هو السلطان الحقيقي، وأنه رخص له في التجارة وخاصة معالجة نحاس تانكولت والصمغ".

إن ما هو مؤكد، الآن، هو أن الكرسيفي احتل مرسى أكادير، في الوقت الذي كان فيه م. عبد الله بتارودانت. ويبدو أن العلاقة بينهما كانت في البداية طبيعية، حيث كان الثائر يعترف بسلطة السلطان - كما جاء في التقرير - طالما أنه

رخص له بالتبادل التجاري مع الأوربيين في مرسى أكادير. غير أنه لم يمر سوى - أقل من شهر حتى أعلن الكرسيفي نفسه سلطانا على المنطقة. وانتقل إلى تارودانت التي غادرها م. عبد الله، كما تشير إلى ذلك رسالة أخرى من مونطانيي مؤرخة في 25 غشت 1737 تقول: "إنه حسب رسالة من سان كروا علمنا أن الصالح والمسمى الم رابط، والذي دخل إلى هذا المكان نصب نفسه ملكا على مملكة سوس، التي تتبع له سان كروا. كما أنه أطلق سراح الأعيان التسعة الذين كان قد اعتقلهم، وأنه خفض الرسوم الجمركية إلى 3% مما شجع كثيرا التجارة هنا. وأن عاصمته هي تارودانت والتي كانت مقر المولى عبد الله الذي تحصن بها منذ هروبه من مكناس. ولم يعد يسمع عنه أي شيء، ولا نعرف أين ذهب".

ويبدو أن مولاي عبد الله لا يتوفر على قوة ضاربة لقهر الكرسيفي، ولذلك فضل الانسحاب من تارودانت على مواجهة عسكرية. ولا يستبعد أن يتوجه نحو الصحراء عند أخواله قبائل المغافرة. وحسب صاحب تذكرة النسيم فإن م. عبد الله انتقل إلى السودان حوالي سنوات 1734-1736 وحصل فيها على بعض المساعدات.

وبعد يومين من المراسلة الأولى تخبرنا مراسلة أخرى مؤرخة في 27 غشت 1737 بأن: "الصالح الذي ثار في السواحل الجنوبية، بدأ يتسع نفوذه، ولقد اعترف به في مراکش".

وفي مراسلة ثالثة من نفس الشخص، بعد شهر من المراسلة الثانية، مؤرخة في 27 سبتمبر 1737 تقول: إنه "وصلت من سان كروا سفينة انجليزية The Betty وحملت لنا أخبارا جديدة من ذلك المكان بواسطة قائدها Mordacay Wharton تفيد أن التجارة قد انتعشت بها، وأن الصالح أو الم رابط الذي نصب نفسه ملكا على مملكة سوس والمقيم في تارودانت يسمى محمد بن عبد الله، وأنه شجع كثيرا التجارة، ونتمنى أن يستمر في الحكم.

وقد استمر حكم هذا الثائر لسوس حوالي ثلاث سنوات، عرفت خلالها الحركة التجارية ازدهارا كبيرا بشهادة التجار الجانب أنفسهم. بل إن التقارير الأجنبية تفضله كحاكم لسوس، بحكم الامتيازات التي قدمها للأوروبيين. ومنها تزويدهم بالمواد السوسية كالنحاس واللوز والجلود، والمواد السودانية كالصمغ وريش النعام والذهب، مع تخفيض الرسوم الجمركية.

إن تشجيع الكرسيفي للتجار الأوروبيين جعلت منه شخصية ذائعة الصيت في أوروبا. فقد كتبت عنه جريدة Le journal de vedun في أكتوبر 1737 وصفته بأنه كان يتطلع على تكوين منطقة خاصة به. كما أن الأحداث التي صاحبته جعلت أغلب المصادر التاريخية المغربية تشير إليه.

ومع ذلك فإن حكمه لسوس لم يدم طويلا، إذ من الصعب بمكان التحكم في سوس بمعزل عن التمكّن في كل الخيوط المتشابكة لحلفي "تحكات" و"تاكوزولت". فقد استطاعت قبائل هوارا المتحالفة عادة مع حلف "تحكات" من وضع حد لهذا الثائر - حسب ما جاء عند الضعيف. غير أن النص الذي أورده، يكتنفه بعض الغموض والأخطاء. فالضعيف يشير إلى أن الكرسيفي قتل في نفس السنة التي ظهر فيها، في حين أن مؤرخ الأسرة الكرسيفية يشير على أن والده "مات السلطان بابا وسيدي عبد الله بن محمد. قتل مظلوما ودفن في (تاينزرت) بسوس عام 1150". أي بعد حوالي ثلاث سنوات من ظهوره. ولدينا فيما أشار إليه القادري ما يعزز، أكثر، خروج م. عبد الله من تارودانت نحو الجنوب، حيث أشار إلى "خروج مولاي عبد الله من تافيلالت في شوال 1150/يناير - فبراير 1738 ونزوله بتادلا وجاء أهل تارودانت بعد أن قتل بها القائد في تلك النواحي محمد بن عبد الله السوسي كان زعم أنه المهدي المنتظر صاحب الأمر قتل في حرب مع هوارا من عرب سوس".

وكيفما كانت طبيعة مقتله، فإنه كان مظهرا من ظاهر الصراع بين الحلفين المتصارعين. فالكرسيفي كان يعبر بالأساس عن تطلعات حلف تاكوزولت، على

اعتبار أن جذور ثورته ترجع على قبائل إيداولتيت، وبالتالي فإن الحلف الآخر المعارض، يحاول قدر الإمكان النيل من زعيمهم، كلما كانت الظروف مناسبة.. وكان الكرسي في يتصرف على عادة السلاطين والمخزن، كما أنه عين في المناطق التابعة له عمالا ينفذون أوامره، لكننا لم نعثر على ما يفيدنا عن نظريته في السلطة، هل كان يعتبر نفسه أميرا للمؤمنين، وبالتالي فإن تطلعاته ستتجاوز منطقة سوس، أم أنه كان يرغب فقط في التحكم في إقليم سوس، كما وصفته جريدة Le journal de Verdun.

وقد أرسل بدوره ظهيرا حرر به أهله وذويه من الكرسي في جاء فيه: "كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره واشرف في سماء العالي شمس المنيرة وبدره، بيد حملته التمسكين بالله تم به السادات الآجلة والدور الأهلة سادتنا المعظمون القدر المرابطون ءال (أكر سيف) وأهل (تادارت) وأهل (أمر خيس) وأهل (أكرضان) وأهل (إيليك) وأهل "إكيوز" وأهل "تيمكيدشت" وسيدي عبد المنعم وإخوانه من "إيرغ" وغيرهم من كافة أولاد سيدي أبي يحيا. ومن انضاف إليهم من سكانه وحيازتهم على يد عمنا البر سيدي علي بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الله الكرسي في. يتعرف من يقف عليه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته. أننا وقرناهم واحترمناهم وأسقطنا عنهم جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية والحركة ولوازمها. وغير ذلك فلا يقرب أحد ساحتهم بوجه ولا بحال رعا لوجه الله الكريم وضعفهم ومسكنتهم ونسبتهم لجانب الله وتدريس العلم. ووقوفهم على حدود الله وتمسكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واتباعهم لطريق أسلافهم. رحمه الله وقدس أرواحهم وأسكنهم في أعلى عليين (..). والوافق عليه من أحببنا ومن عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه ولا بد ومن قرب ساحتهم أو حام حول حماهم فلا يلومن ولا يضرن إلا رأسه والسلام. وكتب في الثاني والعشرين في شعبان عام 1150 (مع الطابع عليه بأعلاه) والأصل في تيمكيدشت)".

ونفهم من هذا الظهير أن الكرسيفي، رغم تبنيه فكرة المهدوية كمطية للوصول إلى السلطة، فإنه لم يخرج عن دائرة إعادة إنتاج كل مظاهر المخزن. وحتى المصطلحات المستعملة لا تخرج عن القاموس المتداول في ممارسة السلطة.

ويبدو أن مقتله لم يكن ناتجا عن معركة بين جيوشه وبين قبائل هوار، ولكنه ناتج عن ترصد واغتيال. ولربما يكون ذلك بإيعاز من م. عبد الله، أو بمبادرة من قبائل هوار نفسها بغية التصالح مع السلطان، بعد وقوفها أمام المخزن وانهزامها أمام ابن ريسون قائد م. عبد الله سنة 1734/1147.

وكيفما كان الأمر فقد نقل أهل تارودانت بشرى مقتل الكرسيفي إلى م. عبد الله وهو في تدلا في شوال من سنة 1150 (يناير/فبراير 1738).

وهكذا انتهت ثورة الكرسيفي في سوس، بعد سيطرته على الإقليم لمدة ثلاث سنوات. وتدخل حركته ضمن الحركات المهدية وثورات الفقهاء السوسيين، الذين يعتمدون على مقولتي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر. وقد طبقها الكرسيفي عند دخوله أكدير زاعما أنه المهدي صاحب الأمر. ولعل ظهور هذه الحركات المهدوية ترجع، كما ذهب إلى ذلك محمد الأمين البزاز، إلى الظروف الاجتماعية القاسية الناتجة عن انتشار الأوبئة والمجاعات في قوله: "إذا كان الجوع أو الطاعون علامة على الغضب الإلهي لانتشار الظلم وتفشي الفساد فهو أيضا حنين إلى المهدي المنتظر الذي سيخلص الناس من الشرور والآثام. ولم يكن من قبيل الصدفة بالفعل أن تتزامن المجاعة مع ظهور حركة مهدية بسوس عام 1738".

2- خلاصات واستنتاجات:

ما نستنتجه من النصوص والمصادر التاريخية التي تطرقت لحركة الثائر الكرسيفي خاصة ما جاء في تاريخ الضعيف الرباطي وتاريخ القادري نشر الثاني " وهما الأقرب للحدث زمانيا بحكم معاصرتها لقرن الكرسيفي وهو

القرن 12 هـ (18م)، هو أن حركة الكرسيفي وقيامه أو مهدويته كانت في ظرفية تاريخية، اتسمت بالاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار بالمغرب وذلك بعد موت السلطان مولاي اسماعيل وصراع أبنائه حول خلافته وتحكم جيش البخاري وقواده في السلطة مما أضعف المخزن أو الدولة المركزية. وساهم بالتالي في ظهور عدة حركات تمردية.. في عدة جهات من الغرب بما فيها سوس: كحركتي الطالب صالح (1161-1665)، والشريف الكثيري بو ت كلا (1167-1753).. وكانت حركة الكرسيفي قبلهما (1147-1150)، وقد اتجهت هذه الحركات التمردية كلها إلى السيطرة على ميناء أكادير باعتباره منفذا للتجارة الخارجية مع أوروبا آنذاك، وإلى مدينة تارودانت لكونها قاعدة السوس أي عاصمته، وقد عمل الكرسيفي كما تذكر ذلك المصادر إلى السيطرة أولا على ميناء أكادير (فونتي) لضمان الموارد المالية لحركته من خلال الرسوم الجمركية والتجارية مع الأجانب، وينقل لنا ذ. محمد حنداين اعتماد على وثائق أوربية أن الكرسيفي شجع التجارة مع الأوربيين وحظي بثقتهم لدرجة أن إحدى المراسلات الانجليزية المؤرخة في 27 شتنبر 1737 تمت أن يستمر هذا "الم رابط" في الحكم⁽¹⁵⁾.

كما أفادتنا هذه الوثائق الأوربية باتساع نفوذ الكرسيفي وعجز أحد أبناء مولاي اسماعيل الذي بويع في سوس (تارودانت) وهو م. عبد الله عن مواجهته وفضل الانسحاب من تارودانت⁽¹⁶⁾، ولم يتم القضاء عليه إلا بتدبير عملية لاغتياله من طرف عناصر من هواره بعد محاولات متكررة انتهت أخيرا بقتله عام 1150 هـ، وفي مكان يقال له تنزرت حيث دفن هناك، والملاحظ أن التواريخ المركزية لم تتعرض للكرسيفي وحركته أو قيامه إلا في سياق وقوفها عند أخبار حد أبناء مولاي اسماعيل وهو السلطان م. عبد الله الذي بويع بسوس وكان خليفة لوالده بتارودانت، ثم انتقل إلى مكناس. وهذا يعني أن الخبر عن حركة

(15) محمد حنداين، نفسه، ص: 374.

(16) محمد حنداين، نفسه، ص: 374.

الكرسي في وتمرده لم يكن سوى هامش في هذه التواريخ"، ولهذا نعتت حركته بالفتنة.. وقال عنه ابن زيدان بأنه "فتان افاك" أما مؤرخ الأسرة فقد لقبه بالسلطان وقال عنه أنه "قتل مظلوما"⁽¹⁷⁾ مما يجعلنا أمام روايتين متعارضتين إحداهما من المركز والأخرى من الأطراف لظاهرة أفرزتها بالأساس عدة عوامل أولها أزمة المغرب السياسية وضعف الدولة المركزية بعد موت السلطان مولاي اسماعيل (هذه الظاهرة غالبا ما تتكرر في تاريخ المغرب، حدث أيضا بعد موت السلطان المنصور الذهبي السعدي) الذي استمر حكمه من 1672م إلى 1727م حيث تحول جيش البخاري الذي أسسه من مصدر للاستقرار إلى مصدر للفوضى والتلاعب بأبنائه بعد وفاته. واستمرت هذه الفوضى قرابة ثلاثين سنة وكانت سوس هي الآخر مسرحا لفوضى التمردات أمام ضعف المخزن المركزي ساهم في ذاك أيضا الأزمة الاقتصادية وارتفاع الأسعار والنهب وعدم الاستقرار وتوالي الجفاف والأوبئة والمجاعات في سنوات 1737م و1738 و1747م وهذا - ما خلق - كما يقول د. محمد الأمين البزاز - جوا من القلق والاضطراب أوحى للمعاصرين بقرب نهاية العالم وبذلك تهيأت المقومات النفسية لظهور أمثال محمد بن عبد الله السوسي..⁽¹⁸⁾ فالمجاعات التي أصابت المغرب وسوس كانت قوية ومعها انتشرت اللصوصية والنهب وانقطعت الطرق وانعدم الأمن وهذا ولد التطلع إلى شخص منقذ أو مهدي منتظر يخلص الناس من الأوضاع المزرية ومن الفساد على أساس أن الثقافة الشعبية غالبا ما تفسر مثل هذه الجوائح والأوبئة والجفاف بالغضب الإلهي وهذا ما ساعد على التجاوب مع الحركات التي ترفع شعارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وللجهاد ومحاربة البدع والانحرافات في العقيدة من منطلق أنها هي السبب فيما يقع من عقاب إلهي.. بيد أن هذا التفسير

(17) م. المختار السوسي، المعسول، ج17، ص:86.

(18) محمد البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1992، صفحة: 67 و68.

لبروز حركة الكرسيقي - ولكل الحركات المهدوية والتمردية التي عرفها المغرب وسوس في غضون هذه الأزمات - التي اعتمدت شرعية الصلاح والجهاد وتغيير المنكر يمكن أن يعزز بتفسير خلدوني إضافي أشار إليه ذ. حنداين في كتابه "المخزن وسوس"⁽¹⁹⁾ حيث فسر ظهور الكرسيقي كمظهر من مظاهر الصراع بين الحلفين المتصارعين بسوس وهما حلف تاكازولت وحلف تاحوكات باعتبار حركة الكرسيقي وتمرده تعبر عن تطلعات حلف تاكازولت الذي يطلق على القبائل السوسية المنتمية إلى النحلة الجزولية "إيكوزالن" وهذه القبائل حسب الباحثين هي: ايت باعمران، ايت الساحل أيت المعذر وماست، إيداوسملال، إيلالن - تازروالت - إيمجاط - أيت رخا والأخصاص - إيداوزكري - إيداوكنسوس - أيت صواب - إيدا وكثير ومركزها هو إيلغ وتمنارت واكلميم وتيوت وكان جبل لكست هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم هذه القبائل المكونة لتاكازولت. ومن الناحية السياسية كانت نحلة تاكازولت وقبائلها حاضرة في مختلف المحطات والتحويلات السياسية بالجنوب المغربي حيث كانت وراء مساندة المرابطين، كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية ودعمها كما كانت وراء تأسيس إمارة إيلغ بتازروالت وكانت وراء ظهور الحركة المرابطية، والعديد من الزوايا والصلحاء بسوس وجزولة والكرسيقي وأسرته المرابطية تنتمي إلى النحلة الجزولية السملالية فأصلهم من توغزيقت بإيدا وسملال ومنها انتقلوا إلى تادارت وإلى أكرسيف وتفرعوا في جبل لكست وأملن.. الخ وأسسوا مدارس وزوايا سواء في إطار تعاليم الشاذلية أو الجزولية.. (انظر ما كتبناه عن هذه الزاوية وإشعاعها وأدوارها ونماذج من أعلامها ضمن هذا الكتاب).

كما لا ينبغي أن نهمل في هذا السياق - ومن أجل تفسير ظاهرة المهدوية هذه وجود ثقافة المهدوية والمنقذ - في المورث الإسلامي ليس فقط في تعاليم الشيعة

(19) م. حنداين، نفسه، ص: 375.

ولكن أيضا لدى العديد من الفقهاء وأصحاب المذاهب الفقهية السنية وقد وردت في كتب الحديث مثل الترمذي والطبري وابن ماجه وابو داود والبخاري ومسلم، وعند ابن تيمية أحاديث يحتج بها على خروج المهدي وقيامه ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، ويشكل ابن خلدون صاحب المقدمة استثناء في تحفظه من بعض هذه الروايات، ففي فصل بعنوان "فصل في أمر الفاطمي وما يذهب الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك" شكك ابن خلدون في صحة الأحاديث حول الفاطمي أو المهدي من جانب إسنادها معتمدا منهج الجرح معتبرا أن فيها غلوا خاصة الحديث المسند إلى مالك الذي يقول "من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كفر" وعده ابن خلدون من أغرب الأحاديث الواردة في المهدي⁽²⁰⁾.

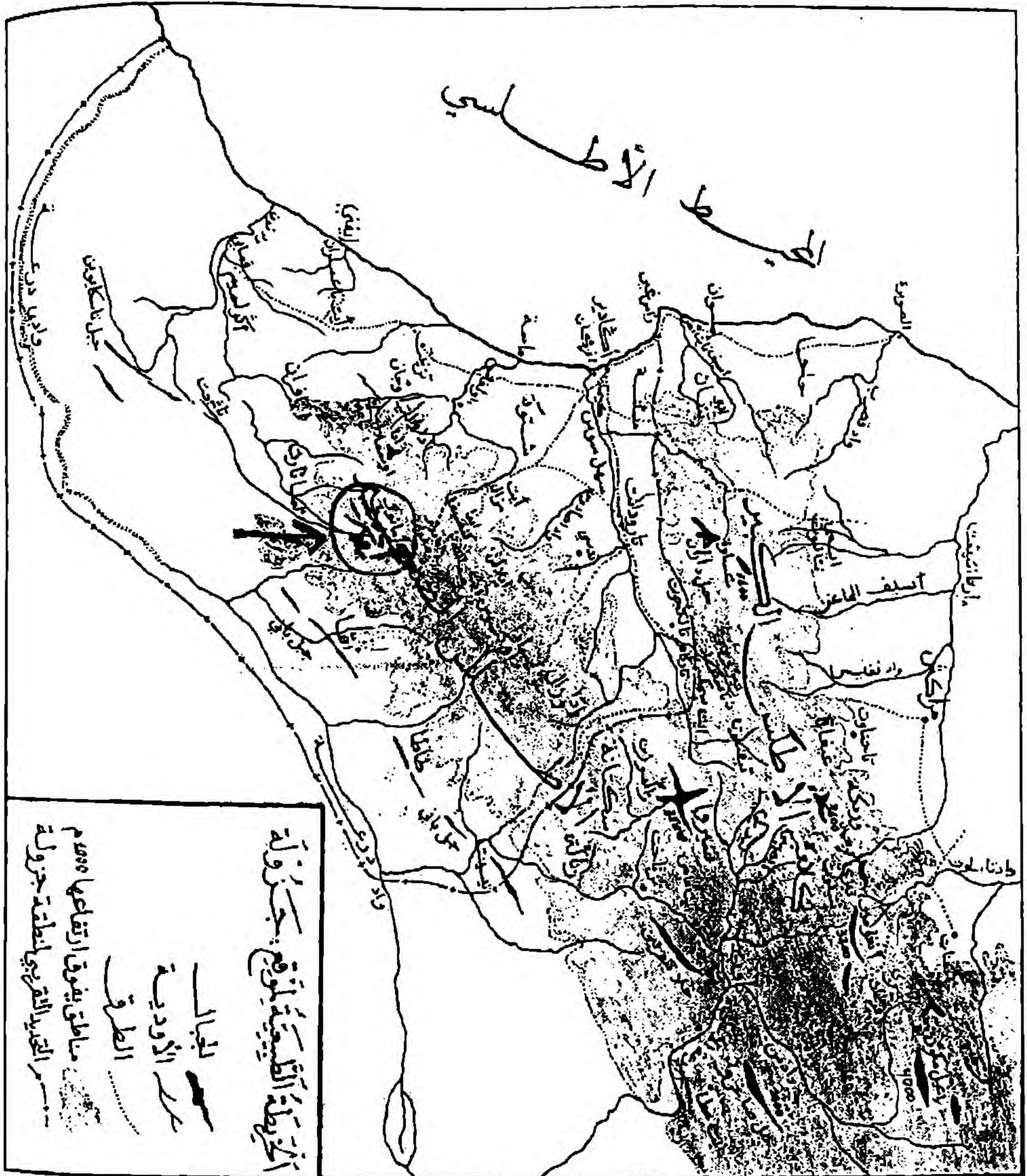
وإجمالا فإن فكرة المهدوية وإن كانت ألصق بالفكر الديني والسياسي الشيعي فقد وجدت لها موطنا بالمغرب السني المالكي من خلال عدة تجارب وشخصيات ركبت عليها واستغلتها بحثا عن الشرعية الدينية ومن أجل الوصول إلى السلطة، وإقامة إمارة أو دولة ومن هذه المحاولات من حالفها النجاح ومنها من فشل، ومن أبرز المحاولات التي عرفها تاريخ المغرب وأفرزت قيام دولة مركزية قوية تجربة المهدي بن تومرت الموحدية، وسوس لم يعدم هو الآخر عددا من مهدييه، ومنهم عبد الله الكرسيفي لكن مغامرته لم تدم سوى ثلاث سنوات وانتهت بمقتله وقد يكون الحلم الذي راوده هو إعادة استنساخ النموذج السعدي الذي انطلق من سوس في القرن 16م معتمدا على النسب الشريف ودعم الزوايا والمرابطين.. لكن مغرب القرن 18م ليس هو مغرب القرن 16م.. ولدعم الزوايا والمرابطية لم يعد كافيا مع ما وصلت إليه الزوايا من تراجع على مستوى نفوذها بفعل سياسة السلطان اسماعيل الذي عمل على اجتثاث الزوايا

(20) انظر مقدمة ابن خلدون بخصوص هذا الفصل.

وإضعافها، فالأمر كان يتطلب قوة عسكرية وموارد مالية قوية وهذا ما لم يكن متاحاً للكرسي في الذي كانت إمكانيته محدودة. وهذا ما جعل حركة الكرسي في وتمرده مجرد حركة محلية هامشية فيها شيء من الاحتجاج وتمرد الهوامش والبوادي والأطراف على المركز خاصة حين ترهق الدولة المركزية هذه الأطراف والبوادي بالضرائب والأكلاف والنوائب والمكوس وهذا ما كان حاصلًا من طرف الدولة المركزية والمخزن الإسماعيلي الذي عرف بالإكثار من الجبايات لتمويل الخزينة وبناء جيش قوي (البخاري) حيث وكما قال ع. العروي - لم يكتف بالأعشار والزكوات بل زاد عليها النوائب (ج. نائبة) ثم زاد على هذا المكوس والتي يعتبرها الفقهاء غير شرعية⁽²¹⁾، وهذا ما كان من شأنه أن يثير غضب "الرعية" وبشكل أكبر قبائل البوادي والأطراف التي كانت تجد في الزوايا والصلحاء معيناً ضد هذا الإجحاف أو الظلم "فيكتسب هؤلاء نفوذاً وتأثيراً غالباً ما كان يتم استثماره وتحويله إلى رأس مال سياسي. وهذا بالتحديد ما قام به الكرسي في وأخفق فيه، وبعد هذه "مجرد اجتهاد" في فهم دوافع حركة الكرسي في وتمرده ومعها محاولة فهم جوانب من الظاهرة المهدوية التي فهمت ودونت في التواريخ الرسمية والمركزية على أنها فتنة وذلك بحكم أن هذه التواريخ كتبت انطلاقاً من المركز ويبدو أن التاريخ الجديد بدأ يراجع هذه النظرة التقليدية الممركزة وأصبح يتجه إلى التأريخ للهوامش والأطراف بدل الاهتمام بالمراكز، والسلالات الحاكمة "ذلك لأنه وكما قال أحد ممثلي هذا التيار التاريخي الجديد لا يمكننا من المركز أن ننظر إلى المجتمع بأكمله ولا أن نكتب تاريخه⁽²²⁾".

(21) العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج. 3، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1999، ص: 83.

(22) هذه القولة وردت ضمن مؤلف جماعي "التاريخ الجديد" تحت إشراف جاك لوغوف، ضمن مقالة تاريخ الممشين، جاك كلود سميت، ص: 437، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2007.



الخريطة الطبيعية لجزولة ويظهر فيها موقع الزاوية الكرسيفية بالأطلس الصغير
بأمانوز

القسم الثالث

النخبية السوسية والإصلاح

I - النخبة السوسية بين المحلي والوطني:

تأسيس جمعية علماء سوس والمعهد الإسلامي بتارودانت

للتفكير في النخب والإصلاح بالمغرب وفي السياق الحضاري العربي الإسلامي ينبغي أن ننتبه إلى أن مفهوم النخبة بالمفرد Elite والنخب بالجمع (Elites) مفهوم حديث وحين نوظفه في هذا السياق فذلك بنوع من التجاوز لأن هناك مفاهيم أخرى سابقة عليه كمفهوم "الخاصة" الذي يوضع في تقابل مع "العامة" ومفهوم "الأعيان". وقد فطن عبد الله العروي لهذا الإشكال في دراسته لتركيب المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر ضمن مؤلفه بالفرنسية "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية (1830-1912) حيث ورد عنده مصطلح الخاصة "Khassa La" مرادفا للنخبة وتحديدًا النخبة الفاسية (المخزن من شرفاء وعلماء وتجار كبراء ورؤساء الزوايا). وهنا يتسع المفهوم عنده ليلتصق ويتقاطع مع مفهوم آخر هو "الأعيان" (Les Notables) (les Ayan).⁽¹⁾

ولأننا لسنا بصدد الخوض في نقاش مفاهيمي يتوخى تحديد مفهوم النخبة والتمييز بينه وبين المفاهيم السابقة الذكر (الخاصة، الأعيان) ومدى تطابقها أو تباعدها، نكتفي بالقول أن في السياق الحضاري العربي الإسلامي وإن كانت مرجعياته الدينية تنفي التفاوت بين المسلمين وتؤكد على مبدأ المساواة ولا تعترف بوجود طبقة دائرة مغلقة تحتكر الوساطة الدينية كما هو الشأن بالنسبة للكنيسة ورجال الدين في التجربة المسيحية... فإننا مع ذلك حين يتعلق الأمر بالتجربة التاريخية والمجتمعية المعاشة كانت دائما هناك طبقة وتراتبية ثقافية واجتماعية

(1) عبد الله العروي:

وكان هناك دائما تمييز بين الخاصة والعامة، وفي المجتمع المغربي كغيره من المجتمعات العربية الإسلامية الذي يندرج ضمن السياق الحضاري العربي الإسلامي مع بعض الخصوصيات الطفيفة والمحلية، عرف هو الآخر هذه التراتبية في المجال الثقافي والديني، حيث ظهرت فيه بدوره نخبة ثقافية دينية احتكرت العلم الديني وشؤونهم وما يرتبط به من وظائف كالإفتاء والقضاء والتعليم" ويعرف هؤلاء بالعلماء أو الفقهاء وهذه الفئة هي بمثابة نخبة متميزة لها سلطتها العلمية الدينية ولها نفوذها على باقي الفئات الأخرى كما لها مصالحها المشتركة وأدوارها وسواء في الحواضر والمدن الكبرى كفاس أو مراكش أو مكناس أو في البوادي وقد حافظ المغرب منذ دخول الإسلام إليه على تنشئة وتكوين الفقهاء على نفس التقليد المتوارث منذ القرون الأولى للإسلام، ويعتبر جامع القرويين بفاس ومدارسها بالإضافة إلى مراكز دينية وتعليمية أخرى في عدة مدن أخرى مؤسسات لها نظامها وأطرها ومناهجها لتخريج وتكوين نخبة العلماء وتجديدها والحفاظ على استمراريتها. ينحصر مفهوم العلم في هذه المراكز والمؤسسات في العلم الديني أو العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير إضافة إلى العلوم المساعدة من نحو وبيان، ويظل الفقه على المذهب المالكي ومختصراته هو العلم الغالب والمطلوب أكثر من غيره لفائدته. ولأن الطالب الفقيه يحتاجه لمزاولة وظيفة القضاء أو الإفتاء التي تدر على صاحبها الغنى والجاه (غالبا العلماء كما قال م. السوسي يمتازون باكتناز الأموال، ولا يتصورون إلا أغنياء) (سوس العالمة ص: 27).

وإذا كان أغلب الباحثين في الشأن الديني ونخبه بالمغرب يؤكدون على الدور الأساسي الذي قام به القرويين بفاس حتى فترة الحماية في تكوين وتخريج جيل من العلماء كان لهم دورهم في الحركة السلفية الوطنية أن هذا لا ينبغي أن يحجب عنا وجود مراكز أخرى خارج فاس والقرويين كمراكش ومسجدها اليوسفي وفي البوادي المغربية كبادية "سوس" بالـأطلس الصغير مما يعرف تاريخيا

بجزولة، وقد أنجز الفقيه والمؤرخ محمد المختار السوسي عن هذه الجهة عدة مؤلفات على رأسها كتابة "العسول" في عشرين جزءا وسوس العالمة أو "خلال جزولة"، و"إيلغ قديما وحديثا" و"المدارس العلمية بسوس" و"رجال العلم العربي بسوس" وإذا كانت النخبة العالمة بفاس والدين الحضرية بالمغرب عموما حظيت باهتمام الدارسين فإنه على العكس نجد أن النخبة السوسية كان حظها من الدراسة والاهتمام ضئيلا جدا، إذ نجد مؤرخا مثل عبد الله العروي في بحثه عن الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية هو يتحدث عن العلماء ودورهم ومكانتهم في مغرب القرن 19 يقتصر على إعطاء نماذج من القرويين وفاس وكأن الكل في فاس، فهل يندرج هذا التهميش لنخبة الأطراف والبوادي في إطار هيمنة المركز؟ أم أن السبب يرجع إلى عدم توفر الوثائق والمصادر؟

في نظرنا هناك من الوثائق والمراجع ما يكفي لاستجلاء عالم العلماء في البوادي المغربية وضمونها بوادي سوس، ذلك أن رجال العلم العربي بسوس وعبر حقب تاريخية راكموا العديد من النصوص والمؤلفات من رحلات وفهارس وكتب الفتاوي والنوازل والطبقات.. الخ تؤشر على وجود فئة أو نخبة مختصة في إنتاج العلم الديني وتعليمه ونقله عبر عدة مؤسسات ومدارس وزوايا منتشرة في القبائل، ورغم قلة عدد هذه النخبة، فلقد كان لها نفوذها وسلطتها وأدوارها في تلك المجتمعات القبلية التي كانت فيها سلطة الدولة ضعيفة أو منعدمة.. وقد استطاعت هذه النخبة أن تؤسس نظاما تربويا وتقاليدي علمية ومؤسسات من مدارس وزوايا، تم من خلالها نقل ثقافتها الدينية وقيمها وإعادة تجديد أعضائها وحفظ استمراريتها وبقائها في مجتمع قبلي لا يعرف أهاليه اللسان العربي. حيث يتم نقل وتعليم العلوم الدينية بالأمازيغية (تشلحيت)، هذا دون إغفال ضعف الاقتصاد القروي الجبلي وصعوبة العيش وما كان يسببه الجفاف والمجاعات المتتالية والحروب المحلية من بؤس وغلاء وعدم استقرارها مما يؤثر سلبا على عمارة المدارس واستمرارية التعليم بها مما يؤدي إلى ندرة المنتج العلمي

والديني وبالتالي إلى كون قلة قليلة هي التي تصل على امتلاك هذا العلم النادر الذي يفتح المنافذ أمام حامليه للترقي الاجتماعي وتولي مناصب القضاء والتدريس والإفتاء وقسمة التركة.. في وسط يغلب عليه الشفاهي ويفتقر لمظاهر العيش الحضري ومؤسساته وغالبا ما يتطلب الحصول على العلم الديني في مثل هذا الوسط المال والتنقل أو الرحلة إلى خارج مدارس القبيلة في اتجاه مراكش أو فاس والمدن الحضرية ليس فقط للمزيد من التحصيل ولكن لإضفاء قيمة أكبر على العلم المحصل، ومن هنا تشكل الرحلة العلمية شرطا ضروريا لاكتساب العلم الديني، وطالب العلم السوسي لا بد وأن يرحل باستمرار إما محليا عبر شبكة المدارس المنتشرة في القبائل أو إلى حواضر العلم ومراكزه بمراكش وفاس أو شرقا إلى مصر والأزهر.. وكانت مدرسة الصفارين بفاس قبل الحماية، كما ينقل لنا روجي لوترونو، تأوي نحو 60 طالبا من سوس وكانوا يعانون من ازدياد الطلبة الفاسيين⁽²⁾.

وعموما فإن بوادي سوس نشأت بها مدارس ومؤسسات تعليمية وهيأة من العلماء والمدرسين شكلت نخبة لها سلطتها الدينية والعلمية وكانت لها مكانتها وأدوارها في مجتمعها القبلي، كما تمتع أعضاؤها بالجاه والثروة وبالامتيازات والنفوذ بفضل امتلاكهم للعلم الديني الذي هو بمثابة رأس مال رمزي يتصف بالندرة في مجتمع تغلب عليه الثقافة الشفاهية والأمية، وهذه النخبة العاملة وإن لم تشكل طبقة مغلقة فهي مع ذلك كانت متميزة في مستوى عيشها ولباسها وثقافتها التي تضيف على أعضائها نوعا من التجانس وتؤهلهم للقيام بعدة أدوار كمصلحين وكحراس للشريعة ومقاومة "البدع" التي مصدرها الأعراف والثقافة المحلية وكذا القيام بدور التحكيم بين القبائل المتصارعة ويتدخلون للتشفع ورفع المغارم والمظالم لدى السلطة المحلية أو المركزية إضافة

(2) روجي لوترونو، فاس قبل الحماية ج.2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر غزال.

إلى وظائفهم الدينية والتعليمية كقضاة وعدول ومفتون ومدرسون. الخ. وكانوا يسدون للسلطة خدمات بالسعي لتهدة القبائل والقضاء على التمردات والفتن واستتباب السلم، فالعالم القبلي كان يسند في الغالب الدولة ويقوم بدورها في حالة ضعف سلطتها وأجهزتها في المجال القبلي، إذ يعتبر امتدادا لها على المستوى الرمزي لأنه لا يتوفر على أدواتها الإكراهية.

وهناك من علماء سوس من تجاوز حدود مجتعه القبلي بعد هجرته إلى مراكش أو فاس في القرن 18 م مثل محمد أكنسوس (من قبيلة إيداو كنسوس) الذي تلقى تعليمه أولا في مدارس قبيلته ثم رحل إلى فاس وبعده تخرجه ترقى في الوظائف المخزنية ليصبح مستشارا للسلطان العلوي محمد بن عبد الله، ثم وزيرا للسلطان سليمان وله تاريخه في الدولة العلوية كمنذ نشأتها حتى 1965 ميلادية سماه "الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي". وفي نفس الحقبة قام فقيه سوسي من تافراوت يمارس القضاء بتارودانت وهو الطيب ابن محمد التلمي بإدخال أول مطبعة إلى المغرب اشتراها من مصر وأهدى إلى السلطان محمد بن عبد الرحمان حيث نقلها على مكناس ثم إلى فاس، وكان تارودانت ليست في حاجة إليها!.

وفي بداية القرن 20 برز فقيه وسلفي من إيلخ، إحدى قرى سوس بالأطلس الصغير بضواحي تافراوت، وهو محمد المختار السوسي (1900-1963)، وارتبط مساره بعد أن استكمل تكوينه بالمدارس العتيقة وانتقل إلى القرويين بفاس، بالحركة السلفية والوطنية آنذاك لتأسيس المدارس الحرة، وكان في نفس الوقت يقوم بإلقاء دروسه الوطنية في مختلف مساجد المدينة إلى أن تم نفيه إلى مسقط رأسه من طرف الفرنسيين وقد قام في فترة إقامته بمراكش وممارسته للنشاط السياسي والتربوي الوطني بتكوين وتأطير جماعة من طلبته وتلامذته ممن تحلقوا حوله بالمدرسة التي أسسها بزاوية والده وكان جل طلبته من سوس ومن بوادي جنوب مراكش، وفي مرحلة الاستقلال تقلد عدة وظائف حيث عين وزيرا

للأوقاف ثم وزيرا للتاج. وفي كل فترات حياته انكب السوسي على التأليف والكتابة وتجميع الوثائق حول تاريخ سوس وعلمائه وصلحاته مدافعا عن مكانة "العالم السوسي"، وضرورة بقاءه واستمراريته وذلك بدعم وتجديد المدارس العتيقة بسوس والاعتناء بعلمائها وإحياء دورها وسيعمل في هذا الاتجاه على الدفع في اتجاه تأطير وتوحيد علماء سوس في جمعية أو هيئة خاصة بهم تدافع عن مصالحهم وتحافظ على مكانتهم وذلك في بداية الخمسينات. ففي سنة 1953 سيتم إنشاء "جمعية علماء سوس" ومن ضمن أهدافها كما هو مسطر في قانونها الداخلي "العمل على خلق نهضة علمية في مدن سوس وقراها ونشر التعليم واللغة العربية وبعث ثقافة عربية عصرية متينة خليقة سوس، والعمل على أن تتبوأ المكانة اللائقة بها في تطور الوطن وحركته وتشارك في جميع أشلؤون التي تجري في البلاد"⁽³⁾.

واضح من هذه الفقرة من القانون الداخلي للجمعية أن ما نطالب به النخبة المؤسسة للجمعية ليس فقط "خلق نهضة علمية بسوس" وإنما بالأساس إشراكها في جميع الشؤون التي تجري في البلاد، فهل هذا يعني أن تأسيس الجمعية جاء كرد فعل على تهميش النخبة السوسية العاملة وإقصائها من المشاركة في الشؤون التي تجري في البلاد؟ "يظل هذا الاحتمال واردا لأن أعضاء الجمعية سيعملون بعد التأسيس على تأكيد هذا الاحتمال وترجمته عمليا بعدة مبادرات، إذ في سنة 1956 سيتكون وفد من علماء سوس برئاسة محمد المختار السوسي ليتوجه على الرباط لتهنئة ملك البلاد محمد الخامس بعد عودته من المنفى وقدموا له بالمناسبة ملتمسا يتضمن مجموعة مطالب إصلاحية تنصب على إصلاح الدستور واستكمال الوحدة الترابية المغربية وإصلاح التعليم والقضاء."⁽⁴⁾

(3) المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت، ج. 1 دار النشر المغربية، البيضاء، ص: 34. ورد فيه القانون الداخلي لهذه الجمعية وهي أول جمعية من هذا النوع

(4) نفس المرجع ص 32 يرد فيه الملتمس بكامله.

وفي 12 يوليوز 1956 انعقد المؤتمر الأول لجمعية علماء سوس، انتخب فيه المجلس الإداري وأسندت الرئاسة الشرفية للمختار السوسي الذي كان آنذاك وزيرا للأوقاف وكان أهم قرار اتخذ في هذا المؤتمر هو بناء معهد محمد الخامس بتارودانت والاعتناء بالمدارس العتيقة بسوس.

وكان من ضمن علماء سوس الذين واكبوا تأسيس الجمعية وساهموا في تأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت والتدريس به وإحياء وإصلاح الدارس العتيقة بسوس علماء كرسيفيون كالأستاذ عبد الله شاعر الكرسيفي ود. محمد العثماني وأخوه ذ. أحمد العثماني، وقد ذكر ذ. المتوكل عمر الساحلي أن ذ. عبد الله شاعر الكرسيفي التحق بالمعهد مدرسا بعد أن تخرج بفاس سنة 1959 بإلحاح من الجمعية (المرجع ص: 166/165) كما التحق به .محمد العثماني في أكتوبر 1961 بعد حصوله من جامع القرويين بفاس على الشهادة العالمية وهؤلاء الكرسيفيون شاركوا أيضا ضمن الوفد الذي شكلته جمعية علماء سوس برئاسة محمد المختار السوسي للقاء الملك محمد الخامس وتهنئته بعد عودته من المنفى سنة 1955 وكان ذ. محمد العثماني هو الذي ألقى كلمة باسم الوفد أمام الملك (انظر نفس المرجع ص: 33) ومن شاركوا أيضا في الوفد هناك القاضي الحبيب الكرسيفي من آل العالم ووالد محمد وأحمد العثماني الفقيه عبد الله الكرسيفي الذي وصفه محمد المختار السوسي بمؤرخ السرة الكرسيفية في معسوله (انظر ترجمته في الجزء 17 من المعسول ص: 158/159).

وقد لعب علماء أكرسيف دوار أساسيا في المشروع الثقافي والديني والتعليمي كجمعية علماء سوس سواء على مستوى الالتحاق بالمعهد الإسلامي بتارودانت للتدريس به أو على مستوى تنشيط هياكل الجمعية ومبادراتها في تأطير علماء وفقهاء سوس وهم جميعا من حيث تكوينهم مروا بالمدارس العتيقة كطلبة ومدرسين كما التحقوا بالقرويين بفاس لاستكمال تعليمهم، ومنهم من مارس العمل الصحافي من خلال رئاسة التحرير كما هو الشأن بالنسبة لمحمد العثماني الذي كان رئيس تحرير لمجلة "الكلمة" الناطقة باسم الجمعية الإسلامية للثقافة

والإرشاد (ضمن جمعية علماء سوس) إلى جانب الحسين وكاك الذي كان مديرا لها.

وكانت مجلة الكلمة التي صدرت في بداية السبعينات كمجلة ثقافية إسلامية يراد منها نشر وترسيخ الثقافة والفكر الإسلامي مع الاهتمام بالجانب اللغوي والأدبي. وكما نلاحظ من خلال العدد الرابع، السنة الأولى 1972 فقد تضمنت المجلة موضوعا حول التبشير ودلالته للأمين العام آنذاك لرباطة علماء المغرب عبد الله كنون، ومقال للرحالي الفاروقي عميد كلية الدراسات العربية لمراكش حول "حملة التعقيم حملة عدائية استعمارية" كما كتب في المجلة د. محمد العثماني عدة مساهمات حول شخصية أستاذه وشيخه الحاج الحبيب أستاذ مدرسة تنالت، وإخوان الصفا وموقفهم من العقل والدين، واثار الدين في التربية..

وإجمالا فقد توزعت اهتمامات علماء سوس بين العمل والتنظيمي من خلال تأسيس جمعيتهم والعمل التعليمي والتربوي بتأسيس معهد تارودانت وفروعه وإحياء التعليم الديني بالمدارس العتيقة ببوادي سوس كما اهتموا بإصلاح القضاء والدفاع عن المحاكم الشرعية. والتساؤلات التي تطرح في هذا السياق هي: لماذا اهتمام هذه النخبة السوسية بإصلاح التعليم وتجديد المدارس العتيقة؟ ولماذا إنشاء معهد إسلامي بتارودانت؟ ولماذا الاهتمام بإصلاح القضاء والمطالبة بإلغاء المحاكم العرفية واستبدالها بالمحاكم الشرعية؟ واضح أن مطالب هذه النخبة تتجه إلى منفذين أساسيين للشغل والوظائف حيويين بالنسبة لأعضاء هذه النخبة وهما منصبي التعليم والقضاء. وإلقاء نظرة على لائحة الوفد (وفد 1955 إلى السلطان محمد الخامس) تكشف عن الأصول الثقافية والمهنية لهذه النخبة: 23 عضوا من مجموع أعضاء الوفد البالغ عددهم 44 عضوا هم مدرسون بالمدارس العتيقة ببوادي سوس وتسعة منهم قضاة أو عدول، اثنان منهم يمارسون التعليم بالمدارس الحرة بالإضافة إلى الأعضاء المؤسسين لجمعية علماء سوس.

إن الأولوية التي خص بها التعليم التقليدي الإسلامي والقضاء الشرعي سواء في الملتمس المشار إليه سالفاً أو من خلال البرنامج الذي أصدرته الجمعية ويتضمن إحدى عشر نقطة حول تنظيم التعليم التقليدي بالمدارس العتيقة وإصلاح القضاء بإعادة الاعتراف للمحاكم الشرعية، كل هذا يكشف عن الهوية الثقافية والاجتماعية لهذه النخبة وما أصبحت تعيشه من أزمة وتهديد مصدره الأساسي هو التعليم العصري وخريجو المدارس والمعاهد الفرنسية الذين أصبحوا يشكلون نخبة عصرية جديدة منافسة للنخب التقليدية ذات التكوين الديني العربي.. ذلك لأن التحول التحديثي الكولونيالي وما رافقه من تأسيس للتعليم والمدارس على النمط الأوربي (أنشأ الاستعمار الفرنسي أول مدرسة عصرية بسوس في تارودانت سنة 1931م). كان بداية لهذا التحول الذي بات يشكل تهديدا لذوي التكوين التقليدي حيث بادروا إلى توحيد صفوفهم وعملوا على تأطير أعضائهم داخل جمعية علماء سوس في وفود أو كتلة ثقافية للدفاع عن نفوذهم ومصالحهم وسيعمل هذا التكتل السوسي على التنسيق مع تكتلات أخرى جهوية لجماعات من العلماء ممن أحسوا بالخطر على مواقعهم سواء بتطوان أو فاس أو مكناس، شعورا منهم بالعزلة والغربة⁽⁵⁾ ودفاعاً عن الكيان المهدد⁽⁶⁾. هل يعني هذا أننا أمام إلغاء الهدنة الفكرية والثقافية التي كانت قائمة بين مكونات كتلة العمل الوطني إبان مواجهة المستعمر على أساس أن الأولوية آنذاك كانت للعمل السياسي ومواجهة المستعمر؟ فعلا سيعود الثقافي بعد إعلان الاستقلال ليحتل مكانته في الصراع بين التيارين الأساسيين داخل النخب المغربية، التيار التقليدي الذي يمثله العلماء من ذوي الثقافة التقليدية، وتيار المثقفين ثقافة غربية عصرية. لقد انتهى فعلا مع مرحلة الاستقلال زمن الكتلة أو النخبة الموحدة، وسيأتي المؤتمر العام لعلماء المغرب الذي انعقد بالرباط في شتنبر 1960 ليعلن هذا التباعد

(5) هذه العبارة وردت في رسالة من علماء تطوان إلى علماء سوس نقلا عن المرجع السابق.. ص: 201.

(6) نفس المرجع ونفس الصفحة.

بين النخبتين .. وكان لتوقيت انعقاد المؤتمر بمناسبة الذكرى المائة بعد الألف لتأسيس القرويين دلالة، وقد شارك علماء سوس بثلاثة أعضاء في اللجان المكلفة بنشر الدعوة للمؤتمر إلى جانب ثمانية من فاس واثنين من مراكش واثنين من تطوان واثنين من مكناس ونفس العدد من الرباط وسلا، وانعقد المؤتمر بعد ذلك في الرباط ما بين 18 و19 شتنبر 1960 بحضور أزيد من 300 عالم من مختلف جهات ومدن المغرب وصدر عن المؤتمر بيان وملتمسات تؤكد على المهام التقليدية للعلماء المسلمين في كونهم "حماة الأمة" و"المنار الوجيهة" وهم "أصحاب القيادة والتوجيه" الخ وقد أبانت الملتمسات والبيان الصادر عن المؤتمر عن تثبيت العلماء بسلطتهم العلمية أمام ما أصاب مكانتهم من تراجع ومؤسستهم من ضعف بانتشار ونمو المدارس والثانويات العصرية حيث أصبحت جل المناصب والوظائف من نصيب خريجي التعليم العصري الذين يحسنون الفرنسية ولم يجد خريجو التعليم التقليدي سوى مهنة القضاء والتعليم، فأصبحوا كما يقول محمد عابد الجابري "على هامش الحياة- السلطة"⁽⁷⁾ ولم يكن من المستغرب أن تعبر هذه النخبة التي أحست بالتهميش عن عدم رضاها واحتجاجها على ما آلت إليه مكانتها وما اعتبرته ميذا ضدها، حيث ورد في ملتمسات المؤتمر موقفها "ضد سياسة الميز الثقافي التي تفتح مجال الوظائف العامة في وجه حاملي الشهادات باللغة الفرنسية بينما تغلقها في وجه حاملها باللغة القومية للبلاد واحتقارا لأصحابها"⁽⁸⁾. كما عبروا عن وقوفهم ضد السياسة التعليمية الرسمية التي عبرت عنها الجهات الحكومية من التعليم الأصيل والمعاهد الإسلامية سنة (1964-1960) بما فيها القرويين. إذ صدرت آنذاك مجموعة قرارات تهم وضعية هذا التعليم من ضمنها قرار يحدد سن ولوج هذه المعاهد (لم يكن فيما قبل محددًا) وكان

(7) عابد الجابري، المغرب المعاصر السياسي والديني في المغرب. مؤسسة النشرة للطباعة والنشر الدار البيضاء 1988، ط1، ص: 59.

(8) المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت، ج.1، مرجع سبق ذكره، ص: 194.

المعهد الإسلامي بتارودانت الذي أسسته جمعية علماء سوس معنيا هو الآخر بهذا القرار مما جعل الجمعية تخوض معركة ضد هذه السياسة التعليمية بسوس وبغيرها من جهات المغرب وهذا ما زاد من شعور هذه النخبة عموما بالغبن وخيبة الأمل في مرحلة الاستقلال حيث كان العلماء يرون أن لهم الفضل في تحقيقه وتجسيمه بما قدموه من توضيحات.⁽⁹⁾

وهكذا نلاحظ كيف التقت مصالح علماء سوس وفاس وتطوان ومكناس وغيرها من المدن المغربية في تكوين إطار وحيد لعلماء الدين، مع أن هذه الجمعية أة الرابطة ظلت فيها الزعامة الثقافية للأرستقراطية المدنية وخارج جامعة القرويين. لكن قيام النخبة السوسية بمبادرة تأسيس جمعيتهم كان في حد ذاته "عملا جريئا لكسر حلقة العلماء التقليديين المنتمين إلى المراكز الحضرية على حد تعبير محمد عابد الجابري⁽¹⁰⁾.

غير أن جمعية علماء سوس وفي بداية الستينات ستعرض لمشاكل وصعوبات نتيجة للخلاف السياسي داخل مجلسها الإداري بعد مناقشة قضية المشاركة في الانتخابات البرلمانية لسنة 1963 وقد لعبت السلطة دورا أساسيا في تأجيج هذه الخلافات والدفع في اتجاه تجميد عمل الجمعية، ومن المفارقات أن الذي كان أداة في تنفيذ هذه العملية هو عالم وطني وسلفي هو الشيخ المكي الناصري الذي كان آنذاك عاملا على إقليم أكادير⁽¹¹⁾، أما رئيس الجمعية حينها الذي خاض الانتخابات البرلمانية وأثار غضب السلطة فهو الفقيه الوطني الحاج عمر الساحلي الذي مورس عليه الضغط، انتهى باستقالته. ويبدو أن هدف السلطة هو تحييد الجمعية وإبعادها عن العمل السياسي الوطني المعارض. وعموما فإن علماء سوس ممن انتظموا في هذه الجمعية كانت الاهتمامات الثقافية

(9) المتوكل عمر الساحلي، نفسه، ص: 191.

(10) محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص: 57.

(11) المرجع نفسه، ص: 189.

والدينية هي الغالبة لديهم، خاصة عنايتهم بمسألة التربية والتعليم العربي الإسلامي وكيفية الحفاظ على استمراريته وإحيائه وتجديد نخبه وبناء مؤسساته سواء تعلق الأمر بالأب الروحي للجمعية وجماعة علماء سوس، محمد المختار السوسي، أو بأحد مناضليها السياسيين التوكل الساحلي الذي انخرط في العمل السياسي وترشح للانتخابات وحصل على مقعد برلماني في الستينات، فإن هم إصلاح التعليم الإسلامي كان مشتركا بين الجميع وليس صدفة أن يكون من ثمار الجمعية تأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت وفروعه في تنزيت وماسة وسيدي بيبي وتالوين وايت باها لتكون روافد له. الخ. وكان المشروع الإصلاحي للجمعية في ميدان التعليم يطمح إلى توسيع التعليم العربي الإسلامي وفتح مراكز له في كل جهات سوس مع توفير مصادر لتمويله، إضافة إلى دعم الدولة، من جمع الأعشار والتبرعات من المحسنين والأعيان والقبائل السوسية، فالأولوية إذن بالنسبة للجمعية وعلمائها، كما يقول الساحلي⁽¹²⁾ هي أداء رسالتها التعليمية بنشر التعليم العربي الإسلامي بسوس وإعادة الحياة للمدارس الدينية العتيقة في البوادي التي - أقلق اندثارها العالم السوسي - وهي التي درس بها ورأى ما آلت إليه بعد أن كانت لامعة مزدهرة في القرون الماضية. وأدت كما يقول المختار السوسي الواجب للعلوم العربية وعلومها. ومن هذا المنطلق انكب العالم السوسي على التاريخ لهذه المدارس واستاذتها ونظامها التعليمي والعلوم المدرسة بها وكيفية تمويلها.. الخ وضمن هذا الاهتمام ألف المختار السوسي جل مؤلفاته، وكيفية تمويلها. الخ وضمن هذا الاهتمام ألف المختار السوسي جل مؤلفاته، مثل "سوس العالة" و"مدارس سوس العتيقة"⁽¹³⁾. وهو ما نجده أيضا عند المتوكل عمر

(12) انظر ما كتبه المتوكل الساحلي حول أسباب هذه الخلافات ونتائجها على الجمعية في كتابه المعهد الإسلامي بتارودانت، الجزء الثاني، مطبعة دار النشر المغربية 1986، ص: 143.

(13) هناك مؤلفات أخرى للمختار السوسي أهمها: المعسول في 20 جزءا - خلال جزولة - 4 أجزاء - اللغيات - سوس العالة... الخ.

الساحلي في كتابه "المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة العتيقة بسوس"، في أربعة أجزاء. فالعالم السوسي (إسوة بالعالم المغربي عموماً) من موقع الدفاع عن مكانته يدافع عن تعريب التعليم وأسلمته وإعادة الاعتبار لمؤسساته التقليدية القديمة وتأسيس أخرى لضمان بقائه واستمراريته، وإذا كان يقوم بهذه المهمة إبان الحماية وفي سياق مواجهة السياسة التعليمية والثقافية الاستعمارية، فإنه بعد الاستقلال استمر في القيام بنفس المهمة غير أن خصمه الجديد لم يبق هو الاستعمار وإنما هو "التيار المتفرنس" على حد تعبير ع. كنون⁽¹⁴⁾ فالخصم هم أولئك الذين يسعون إلى محاربة التعليم العربي الإسلامي داخل الجهاز الحكومي والنخبة الحاكمة.. من هنا انخرطت جماعة علماء سوس في كل المبادرات والمواقف التي أعلنتها رابطة علماء المغرب وعلماء القرويين عبر عدة مؤتمرات وبيانات صادرة عن هذه الهيئة كما في بيان مؤتمر باليما بالرباط في شتنبر 1960 الذي أعلن في بيانه احتجاج المؤتمر ضد السياسة الحكومية الخطيرة "التي تهدف إلى المحافظة على نفوذ اللغة الأجنبية في المغرب وجعلها اللغة الرسمية للدولة في جميع الوزارات والإدارات والمصالح والتعليم في سائر المراحل وأغلب المعاهد وإهمال اللغة العربية القومية وإبعاد أصحابها عن جميع الميادين"

وتستمر نفس المطالب حاضرة في مطالب العلماء المغاربة حيث صدر باسم مجموعة منهم بيان تحت عنوان "شهادة للتاريخ وإدانة للمسؤولين عن التعليم" سنة 1970 وقد تضمن البيان عدة انتقادات للسياسة التعليمية الحكومية "التي جعلت، كما يقول البيان، التعليم الثانوي تحت رحمة وتوجيه الأجانب وأدت إلى تدعيم وترسيخ اللغة الأجنبية على "التعريب الكامل العام في التعليم والإدارة والشارع"⁽¹⁵⁾.

(14) ع. الساحلي، سبق ذكره، ورد في حوار مع عبد الله كنون حول محاربة القرويين والتعليم الأصيل، 281.

(15) عمر الساحلي، نفسه، ص: 193.

فالفقيه السوسي تبنى نفس المطالب، ورأى هو الآخر أن السياسة التعليمية لفترة الاستقلال لم تحقق مطلبه في تأسيس "المدرسة الوطنية العربية الإسلامية"⁽¹⁶⁾ حيث تركت الحرية للتعليم الفرنسي والأجنبي يعمل عمله على فرنسية أجيال مغربية فرنسية كاملة إمعانا في تمزيق الفكر المغربي"⁽¹⁷⁾.

فلا فرق إذن بين خريجي القرويين بفاس وخريجي المدارس العتيقة بسوس فمدار خطابهم الإصلاحي هو الحفاظ على الإسلام ولغة القرآن العربية التي هي على حد قول علال الفاسي "أحد مقومات الأمة السياسية وميزاتها، وأن الأمة التي تتعلم كلها بلغة غير لغتها لا يمكن أن تفكر إلا بفكر أجنبي عنها". وفي المنحى نفسه يؤكد العالم السوسي إسوة بزميله الفاسي في الكفاح الوطني والفكر السلفي على هذين المقومين الأساسيين للهوية المغربية وهما الإسلام والعربية، وهذه الأخيرة كما قال المختار السوسي "هي شعار المغرب وكنزه الموروث" ومن هنا اتجه العالم السوسي بكل ثقله للتعليم والعمل الثقافي كوسيلة لترسيخ هذه الهوية والحفاظ عليها ولم تكن مهمته مقارنة مع فقهاء فاس والحوضر الأخرى مهمة سهلة بحكم أن مجتمعه البدوي تغلب عليه الأمية والعجمة. صحيح أن السلطة العلمية للفقهاء في مثل هذه المجتمعات تكون أقوى لتفردهم بامتلاك اللغة العربية والعلوم الدينية خاصة الفقه، لحاجة الناس إليه في ضبط معاملاتهم وإقامة شعائهم الدينية لكن العالم السوسي، وحفاظا على الذاكرة العلمية والتراث العربي الإسلامي سيكون واقعا تحت هاجس الخوف من فقدان هذه الذاكرة وزوالها في البوادي والجبال النائية ومن ثم وللحيلولة دون اضمحلالها سيعمل على تثبيتها بالتدوين والتأليف وإحياء المؤسسات التعليمية الدينية، كما حرص هؤلاء العلماء ضمن خطابهم الإصلاحي على الدعوة إلى أن تحكم الشريعة

(16) نفسه، ص: 222.

(17) Mohamed TOZY, Monarchie et Islam politique au Maroc, 2ème édition, Presses de sciences politiques, 1999, p:114 et 115

ويكون للفقهاء دور في ممارسة الرقابة على المجتمع وعلى السلطة السياسية. ولهذا حاول العلماء السوسيون من خلال جمعيتهم تقديم مجموعة من المطالب والتوصيات، كما نجد ذلك مثلاً في ملتقى إلى وزير التربية الوطنية عام 1995 حيث طالبت الجمعية ب:

- حماية التعليم الأصيل من الانهيار الذي أصيب به

- إحداث الكفاءة في العلوم الإسلامية في المدارس لصالح المدارس العتيقة

- الاهتمام بالكتاتيب القرآنية

كما شارك أعضاء من الجمعية في أعمال اللجنة الوطنية لإصلاح نظام التكوين والتربية. وتقدموا بمقترحات من ضمنها - دعم المواد الإسلامية في برامج التعليم برفع حصتها ومعاملها - مشاركة العلماء في الكتاب المدرسي - جعل العربية لغة التعليم في جميع مراحله - تقوية الهوية الدينية عن طريق البرامج والمقررات وضرورة قيام سياسة تعليمية تستمد مقوماتها من روح الشريعة الإسلامية، وهكذا سعى علماء سوس من خلال جمعيتهم إلى القيام بالإصلاح وفق مبدأ الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. غير أن قيامهم بهذا الدور أخذ يتم بالتدريج منذ الثمانينات في إطار رسمي، خاصة بعد تأسيس المجالس العلمية الإقليمية وقيام الدولة من خلالها بإعادة هيكلة الحقل الديني ومراقبته وبالتالي دمج علماء الأقاليم والجهات في هذه المجالس، كالمجلس العلمي لتزيت أو المجلس العلمي لأكاير وتارودانت، كما عملت الدولة بتلبية أحد مطالب هؤلاء العلماء الأساسية في إيجاد تعليم ديني عالي بسوس وذلك بإنشاء كلية للشريعة، وإسناد مناصب التدريس بها وتولي عمادتها لأعضاء الجمعية وتلامذة المختار السوسي، فهل كان الهدف إبعادهم عن السياسة والاقتصار على دورهم التربوي في الوعظ والإرشاد، أم احتوائهم من أجل ضبط ومراقبة الحقل الديني الذي هو هاجس أمني للدولة أم الهدف هو دعم وترسيخ التدين الرسمي في

مواجهة تدين التطرف من خلال المجالس العلمية؟ النتيجة - كما يقول الطوزي "هي مؤسسة (Institutionnalisation) العلماء ما يجعلهم غير قادرين على القيام بدور تنشيطي وأخذ المبادرة".

وهذا عرضهم للنقد من طرف جيل جديد من العلماء لم يأت بالضرورة من التعليم الديني التقليدي بل منهم من جاء من التعليم العصري ومن الكليات العلمية ولهم ارتباط بحركات وجماعات الإسلام السياسي ويحملون خطابا إسلاميا سياسيا أكثر جذرية. ويعيبون على العلماء الرسميين من الجيل القديم كونهم أصبحوا علماء للسلطة. لكن يبقى محمد المختار السوسي وتلامذته ممن تلقوا تعليمهم في مدارس سوس ثم هاجروا إلى المدينة (مراكش، فاس، تارودانت..الخ) هم الجيل الأول من علماء بوادي سوس الذين انخرطوا في العمل السياسي والثقافي الوطني في إطار السلفية الوطنية، وانتقلوا بذلك من المستوى المحلي إلى الوطني وعملوا على تنظيم وتأطير وجودهم ضمن جمعيتهم، وقد لعبت المدينة دورها في بلورة هذا الاتجاه حيث نجد عالما كمحمد المختار السوسي الأستاذ والمؤطر، ونتيجة انتقاله إلى المدينة (فاس ومراكش) سيكون ذلك سببا في اكتسابه فكرا جديدا خرج به من مجرد فقيه تقليدي وصوفي درقاوي، إلى رمز من رموز الفكر السلفي الوطني بالمغرب. ورسم بذلك معالم ونموذج لفقيه وعالم دين سوسي متشبع بالفكر العصري والوطني مندمج في مؤسسة الدولة.

II - المرأة والحقل الديني ببادية سوس

- نماذج لنساء متصوفات وفقهيات من جزولة -

1. مدخل:

في المجتمع المغربي وعبر حقبة وتطوراته التاريخية - ودون إنكار لهيمنة الرجال - كان للمرأة حضور نسبي في شتى المجالات الثقافية والدينية والسياسية، وقد احتفظ لنا التاريخ المغربي بأسماء نساء شهيرات عرفن كعالمات وفقهيات ودبلوماسيات⁽¹⁾ إلخ، غير أن ما يحكم هذا النوع من التاريخ هو غلبة نساء الحواضر وندرة في نساء الأطراف، وكأن البوادي المغربية لم تكن بها نساؤها الشهيرات، فهل يرجع ذلك إلى كون هذا التاريخ بحكم مركزيته يتجاهل ثقافة ونخب الهوامش والأطراف وبالتالي يتعامل مع النخب المحلية لهذه الأطراف، رجالها ونساءها، بالتجاهل والإقصاء والنسيان؟ قد تكون هذه الفرضية واردة بحكم الهيمنة الثقافية والفكرية للنخب الحضرية ومركزية الحواضر وتهميش البوادي، لكن للبوادي والأطراف نخبها التي عملت بدورها على مقاومة التهميش والنسيان من خلال كتابتها وإنتاجها لتأريخ محلي يستحضر الأطراف النائية وثقافتها المحلية ويأسس أسره العلمية رموزه الدينية التي حظيت بالشهرة والسلطة الرمزية، وبرزت المرأة العالمة والمتصوفة ضمن هذه النخب بأدوارها التي دونها التاريخ المحلي لهذه الجهات، والذي هو بمثابة ذاكرة جماعية تقاوم النسيان، إذ يعثر الباحث المنقب في هذا التاريخ، خاصة أدب الناقب وكتب الطبقات والتراجم على مادة غنية تساعد على إعادة الاعتبار لهذه الذاكرة المنسية ولمكانة المرأة التي تظل مع كل العوائق علامة من علامات هذه الذاكرة الثقافية

(1) يمكن الرجوع للمزيد من المعلومات إلى كتاب "التأري عبد الهادي" المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي،

ط، 1، 1992.

وقبل أن نتحدث عن دور ومكانة المرأة في هذه الثقافة، نتساءل أولاً عن خصائص النظام الثقافي وعناصره في هذه الجهة، وعن كيفية بناء هذه الثقافة العالمية التي تمت مراكمتها وإنتاجها كعلم عربي إسلامي في مجال طرفي بدوي لا يعرف أهاليه اللسان العربي الذي هو أساس ومدخل لهذا العلم، ويعاني بالتالي من سيطرة الشفا هي، وغياب مراكمة للمهارة الكتابية، دون إغفال صعوبة العيش وضعف الاقتصاد القروي الجبلي، وما كانت تسببه المجاعات والحروب القبلية من بؤس وغلاء، مما يؤثر سلباً في عمارة المدارس وتمويلها واستمرار التعليم بها⁽²⁾.

2. الثقافة العالمية بسوس: نظامها التربوي، خصائصها ومؤسساتها

إن التساؤل الأنف الذكر حول كيفية بناء وتأسيس العلم الديني وتقاليده في وسط بدوي يحيل إلى وجود فئة أو هيئة أنجزت عملية البناء والتأسيس للعلم في هذه الجهة، وهذه الفئة نعني بها العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين يعتبرون «رجالاً العلم العربي بسوس»، وقد خصهم المرحوم المختار السوسي بتأليفه التي حاول من خلالها رصد هذه النخبة وأدوارها سواء في «المعسول» أو في كتابه «سوس العالمية» و«رجالاً العلم العربي بسوس» و«ختلال جزولة»... إلخ، كما عمل على تتبع الأسر العلمية التي تسلسل فيها العلم، واشترط في الأسرة العلمية أن يتوالى العلم فيها ثلاثة أجيال على الأقل أو جيلين⁽³⁾.

فهذه الجماعة وبحكم امتلاكها للعلم الديني كرأس مال رمزي كانت قلة، ولها امتيازات ونفوذ هام داخل مجتمعها، وكانت تقوم بعدة وظائف أساسية كالقضاء والتعليم بالمدارس والمساجد والزوايا والتحكيم بين القبائل المتصارعة،

(2) حين كانت تأتي المجاعات في هذه الجهة تصبح أغلب المدارس فارغة من الطلبة إلا القليل منها التي تتوفر فيها المثونة لأن القبائل هي التي تتكفل بدفع هذه المثونة وأجرة الأسناد المدرس.

(3) السوسي محمد المختار، سوس العالمية الدار البيضاء، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، ط 2، ص 121-152 حيث ينكر مائة وسبع وخمسون أسرة علمية.

وارتبطت هذه الجماعة في بروزها واتساعها بتأسيس وبانتشار المدارس والزوايا والإقبال على طلب العلم، الذي يفتح الطريق أمام حامله للترقي الاجتماعي ولتولي مناصب تدر على صاحبها دخلا لا بأس به، وهكذا سيتأسس في هذه الجهة نظام ثقافي تربوي له تقاليد وأطره ومؤسساته التعليمية التي تمولها القبائل بالزكاة والأعشار، والذي يضاهي مثيله في المدن والحوضر كمراكش وفاس. وغني عن البيان أن العلم في سوس هو أساسا العلم الديني، حيث كان طلبة العلم في مدارس سوس يتلقون مجموعة من العلوم حددها صاحب سوس العالمة في «واحد وعشرين فنا» وهي: القرآن، البيان، الأصول، علم الكلام، الفقه، الفرائض، الحساب، الحياة، المنطق، العروض، الطب، الأسانيد، الجداول والأدب. وهذه العلوم تخضع في تصنيفها لتراتبية تقوم على التمييز بين: (1) العلوم الدينية، وهذه هي ما يطلبه طالب العلم لأنها الأساس، كالفقه والحديث والتفسير... إلخ (2) العلوم المساعدة، وهي كمدخل للعلوم الدينية وتشمل النحو واللغة والأدب والتصريف⁽⁴⁾ إلخ، وهذا التصنيف لا يختلف في جملته على ما كان يروج في المراكز الحضرية بمراكش وفاس (القرويين)، إلا أن الطالب السوسي يواجه في تعليمه مقارنة مع غيره من طلبة فاس ومراكش وغيرهما من الحواضر مشكلا لغويا يعوق عملية التحصيل لديه، نظرا لأنه لا يتكلم اللغة العربية، ويعاني بالتالي من غلبة العجمة عليه، وغالبا ما يلجأ المدرسون في سوس وعيا منهم بهذا العائق اللغوي إلى إلزام طلبتهم بتعلم اللغة والنحو والأدب في بداية أخذهم، وتروج في أوساط الطلبة بسوس أبيات شعرية تنسب لمحمد بن يحيى الأزاريقي تقول:

العلوم شيء حسن فكن له ذا طلب
بالنحو فابتداً وخذ من بعده بالأدب

(4) السوسي محمد المختار، سوس العالمة، سبق ذكره: ص 31.

وإن أردت بعد ذا جاهها ونيل المطلب
فافهم أصول مالك واحفظ فروع المذهب

وينقل صاحب المناقب (الحضيكى) في ترجمته لأحد شيوخ العلم بسوس أنه كان يقرئ لطلبته مقامات الحريري واللغة والأدب «لما رأى استيلاء العجمة على هذه البلاد ولأنها أصل (يقصد العربية) لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها»⁽⁵⁾.

وإذا تجاوزنا المشكل اللغوي، نجد صعوبة أخرى تفرضها طبيعة المعرفة والعلم الديني، ورغبة الطلبة لإضفاء قيمة زائدة على العلم الذي يحصلونه وذلك بالرحلة والهجرة إلى المراكز العلمية مراكز خاصة والقرويين بفاس، فطالب العلم ومراكزه بالمغرب وربما خارجه إلى الأندلس ومصر والحجاز، وكانت مدرسة الصفارين بفاس قبيل الحماية تأوي نحو ستين طالبا ينتمي جلهم إلى سوس ويعرفون عادة «بالآفاقيين»⁽⁶⁾.

لكن، ومع كل هذه الصعوبات والعوائق المعرفية والمادية فإن فئة الطلبة اتسعت وامتألت بهم المدارس، وكانت لهم مكانة خاصة، وكانوا محل تقدير واحترام، وأسسوا تقاليد وممارسات علمية جعلتهم مكونا أساسيا من مكونات النظام التربوي والتعليمي بسوس، حيث كان شائعا أن ما يصل إليه الطلبة من مستوى علمي يدل مستوى شيوخهم ومدرسيهم من العلماء وهذا ما جعل الحسن الأول حين زار سوس وأراد أن يعرف مستوى علمائها امتحن الطلبة ليعرف من خلالها درجة ومستوى ما وصل إليه العلماء والمدرسين في هذه الجهة.

(5) محمد أحمد الحضيكى، طبقات الحضيكى، مخطوط بالخزينة العامة بالرباط.

وقد تم تحقيقه مؤخرا من طرف أحمد بومزكو ونشر في جزأين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 2006م.

(6) السوسي محمد المختار، سوس العالمة، ص: 33 يرد فيه أسماء لبعض العلماء السوسيين رحلوا للمشرق والحجاز والأندلس طلبا للعلم ومنهم أبو يحيى الكرسيفي من القرن السابع الهجري وهو مؤسس رباط تادارت والزاوية الكرسيفية.

وكانت أيضا للطلبة مواسمهم يحضرونها مع أساتذتهم يتنافسون فيها باستعراض واستظهار محفوظاتهم من متون وأشعار⁽⁷⁾، كما كانوا يمارسون بعض المهن لتوفير بعض المال كالنساخة وتسفير الكتب، كما كانوا يستفيدون من الصدقات وذبائح الأولياء والمزارات، وهذا ما جعلهم في وضع اجتماعي يسمح لهم بمواصلة التعلم، وعادة ما يصنف الطلبة بحسب مستواهم التعليمي إلى طلبة مبتدئين، يدرسون المتون الابتدائية والطلبة «الشادين»، وهؤلاء يدرسون الألفية، والرسالة، والمختصر والتسهيل ومقامات الحريري⁽⁸⁾، وضمن هؤلاء نجد فئة يسمون «بالقواطع» وهم بعض الطلبة الغرباء الذين يأتون من أماكن بعيدة وتنقطع صلتهم بأهلهم وذويهم، وهؤلاء غالبا ما ينتمون إلى أسر فقيرة، ولكنهم يعاملون معاملة خاصة من الأسر الغنية التي كانت تبني هذه الفئة من الطلبة وتزودهم بالمؤونة اليومية وتسمى الرتبة، وفي بعض المناطق الغنية بزيت الزيتون، كان الطلبة يتلقون صاعا من الزيت المعصور للمطالعة⁽⁹⁾.

أما حين ينهي الطالب دراسته، أو يحصل لديه اقتناع بذلك، فغالبا ما يكون هذا الاقتناع بعد فترة زمنية طويلة قد تصل عند البعض إلى ثلاثة وعشرون سنة، ليندرج بعد هذه الفترة الطويلة في سلك التدريس بعد إذن الأستاذ والتمرن على يده، حيث كان من التقاليد العلمية أن ينب الأستاذ الطالب المتفوق في حالة غيابه أو مرضه، ويجعله خليفة له على الطلبة في أفق إعدادهم للانخراط في هيئة المدرسين، وعادة ما يترك الطالب المبادرة لأستاذه ليعلن له أنه قد اكتفى من الأخذ، ويميزه كتابة أو مشافهة، ويتوسط له في إيجاد مدرسة للمشاطرة بها، ويتم توديعه في جمع حافل من الطلبة⁽¹⁰⁾.

(7) من بين هذه المواسم موسم سيدي بيبي وتاعلات.

(8) كما هو معتاد مثلا المدرسة البومرانية وهي سملالية ذكرها السوسي في سوس العالمة، "مدارس سوس العتيقة".

(9) نقلا عن، محمد المختار السوسي، خلال جزولة ج3، ص: 186.

(10) لمعرفة مسار الطالب السوسي والمدة الزمنية التي يستغرقها في الدراسة انظر المعسول ج 1 ص 199.

أما المواد المدرسية والتي يعتني بها الطلبة السوسيون أكثر من غيرها فهي: اللغة والفقه، حيث يبدأ الطالب المتعلم أولاً بتحصيل مبادئ اللغة العربية حفظاً كالأجرومية واللامية، وغيرهما من المنظومات ثم يبدأ في تعلم الفقه بالمرشد المعين، أما الأدب فلم يكن الاعتناء به إلا في حدود، ونادراً ما نجد أديباً مختصاً في الأدب وحده، لأن الغلبة في هذا الوسط للفقه والعلم الديني، ولأن وظيفة كاتب الديوان والكاتب لم تعرف كمنصب متميز إلا في فترات تاريخية محدودة، مع ظهور إمارة أبا حسون السملالي بإيليج، وفي فترة خلافة محمد العالم بتارودانت لوالده مولاي إسماعيل، أما علم التاريخ فوضعه شبيه بوضع اللغة حيث لا يتعلم هو الآخر لذاته بل بهدف خدمة العلوم الدينية والشرعية، وفي هذا المعنى يقول صاحب الفوائد الجمة «أبو زيد التمنارقي» وهو يتحدث عن التاريخ وفضله «واعلم أن فضيلة التاريخ تظهر في شيئين: في حفظ الأفاضل وإعطاء كل ذي حق حقه، وفي حفظ أسانيد الرواية حتى لا تروى لغير أهلها (...) ومن شأن الفقيه والطالب النبيه الفحص عن ذلك حتى لا يقع في الخطأ ...»⁽¹¹⁾.

وحين يكون هناك من يهتم بالعلوم الأخرى كالتوقيت وعلم الهيئة فإن ذلك دائماً يكون بغرض ديني كتحديد القبلة ومعرفة أوقات الصلاة إلخ.⁽¹²⁾

وقد انعكس هذا المفهوم للعلم على وضعية العلوم الغير الدينية التي قل الاعتناء بها أو أهملت نهائياً كما هو الحال علم الطب مثلاً، فهذا عالم وفقه سوسي "محمد بن سعيد المرغيتي (1007-1089 هـ) الذي يقول عنه "الحضيكى" في مناقبه أنه مارس التطبيب ومعالجة الناس وتركه بسبب أن إنساناً دخل عليه المسجد بضرورة فيها بول مريض، ولهذا السبب أصبح هذا العالم مذموماً لدى هذا العلم وأمثاله.⁽¹³⁾

(11) التمنارقي أبو زيد، الفوائد الجمة، مخطوط.

(12) الحضيكى، طبقات الحضيكى، مخطوط.

(13) لمزيد من المعلومات حول هذا الرباط وعلاقته بالمرابطين انظر / كتاب الاستقصاء للناصرى، ج 2.

إن معرفة العلوم المتداولة بسوس وتلك التي كانت تدرس حتى بداية القرن 20 في المدارس العلمية، قد ساعدتنا بلا شك على تحديد خصائص النظام التربوي والتعليمي، وكذا توضيح مفهوم العلم، كما كان عند النخبة من العلماء والمدرسين الذين عملوا على نشر هذا العلم عبر مؤسساته مثل المدرسة والجامع والزاوية وقبلهما "الرباط الذي شكل البداية الأولى لمؤسسات العلم بسوس مع الفقيه محمد وكاك بن زلو اللمطي تلميذ أبي عمران الفاسي الفقيه المالكي، حيث أن وكاك هذا أسس رباطه بأكلو بضواحي تزنيث⁽¹⁴⁾، كان مصدرا لتكوين دعاة وأطر الدولة المرابطية، كما أن معرفة هذه العلوم وتحديد خصائص الثقافة السائدة والمتوارثة في هذه الجهة، سيقودنا بالتالي إلى التساؤل عن علاقة هذا النظام الثقافي بما كان سائدا في المراكز الحضرية، وما كان يدرس بها من علوم، كالقرويين بفاس مثلا، ذلك أنه بالرغم من وجود خصوصيات محلية وجهوية فإنه لا يمكن التقليل من التأثيرات المتبادلة بين المراكز والأطراف ذلك أن العلاقات الثقافية والعلمية بين بادية سوس وغيرها من الحواضر والمدن العلمية لم تنقطع في فترة ما، وقد ساهم العلماء والفقهاء والمتصوفة والطلبة في ربط هذه العلاقة، أولا: عبر الرحلة إلى هذه الحواضر والمدن العلمية لأخذ العلم، فعلى تعبير ابن خلدون فإن "العلوم والصنائع" إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة (...) وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع" و"من تشوف بظرفته إلى العلم ممن نشأ في القرى والأمصار الغير المتمدنة فلا بد له من الرحلة في طلبه"⁽¹⁵⁾، فمن ضمن علماء وفقهاء سوس في القرن 19 الذين رحلوا وأخذوا وتعلموا على أساتذة القرويين بفاس نجد مائتين وخمسون عالما سوسيا (من ضمنهم أكنسوس المؤرخ والوزير والكاتب الذي أصبح وزيرا للسلطان م سليمان. وثانيا: عبر المراسلات والمناقشات بين فقهاء سوسيين وفقهاء فاس حول

(14) ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، بيروت دار الكتاب العلمية ص 344، بدون تاريخ.

(15) السوسي محمد المختار، سوس العالة، ص 15.

بعض القضايا والمسائل الفقهية الشائكة، فيدلي كل فريق باجتهاداته، وثالثا: عبر أن سند العلم وسند التصوف "الذي كان متصلا عبر الإجازة" الكتابية أو الشفوية"، والرحلة العلمية ساهمت في الحوار بين النخبة العاملة السوسية والنخبة المدنية وعلماء وشيوخ التصوف بالمراكز الحضرية، وهذا يعني أن البوادي المغربية احتفظت دوما بعلائق وطيدة مع النظام الثقافي التقليدي المركزي، والحضارة والمعارف الإسلامية، وأن كل ما يجول في سوس على حد تعبير م السوسي - "هو كل ما يجول في غيرها من نواحي المغرب"⁽¹⁶⁾.

والآن ماذا عن تعليم المرأة ومكانتها داخل هذا النظام الثقافي التقليدي، الذي يحتكر فيه الرجل العلم والبركة بمفهوميهما الديني والصوفي، وباعتبارهما رأسالا رمزيا يعطيان لمن يحرزهما السلطة والجاه والشهرة؟ فهل نعثر داخل هذه الثقافة الدينية عن نساء شهيرات عالمات وفقهات ومتصوفات، كان لهن حضور فعال في إنتاج أو إعادة إنتاج هذه الثقافة ونشرها؟

3. شهيرات النساء بسوس : أدوارهن وحضورهن في الحقل الديني والصوفي

إذا كنا قد أكدنا في مدخل هذه الدراسة على أن لسوس نساء شهيرات يعتبرن علامة من علامات الذاكرة الثقافية المحلية التي تقاوم النسيان فلا نجاب الصواب، إذ بالرجوع إلى المصادر التي أرخت للنخب المحلية: ككتب الطبقات والمناقب نجد كوكبة من النساء اللواتي لا تقل شهرتهن على أمثالهن من نساء الحواضر، وكانت منهن العالمات والفقيهات والمتصوفات لهن مشاركة في الحقل الثقافي والديني والتربوي، ومنهن من بلغن درجة "الولاية" الصوفية، ومارسن التعليم والوعظ وكانت لهن تأليف باللسان المحلي (تشلحيت) في الفقه

(16) السوسي محمد المختار، رجالات العلم العربي بسوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف الرابع عشر، طنجة، مؤسسة التغليف للطباعة والنشر والتوزيع للشمال، الطبعة الأولى، 1987، ص: 130.

والتصوف، إذ بالرغم من الصعوبات والعوائق التي تواجه طلب "العلم" عامة في هذه الجهة، وما يعترض المرأة بصفة خاصة من مواقف ترفض تعليمها حين تصل إلى سن معينة، فإن هذا لم يمنع من التحاقها بالتعليم، ونبوغ نخبة من النساء كانت لهن مكانة علمية مرموقة، فنجد مثلاً فقيهة ومدرسة مثل عائشة الأكمارية (ت 1334) التي يقول عنها المختار السوسي أنها: "فقيه أتقنت مترجم المختصر للهوزالي فكانت تملي على زوجها الفقيه محمد بن عبد الله الوافي ما كان يتوقف عليه، وحفظت بعض القرآن، وتتصدر مجالس النساء وتملي عليهن وتعظهن ..."(17).

وينقل المختار السوسي أيضاً عند حديثه عن مدرسة الكرسفين في القرن السابع أن مقبرتهم "تضم جناحاً خاصاً بالنساء الحافظات للمدونة في ذلك العصر الذي كانت فيه المدونة هي الكتاب الوحيد في الفقه الإسلامي"(18).

ومن النساء السوسيات العالمات نجد: رحمة بنت الإمام محمد سعيد السوسي المرغيتي، ألفت مختصر فقهي وكانت على درجة عالية من العلم.

وفاطمة بنت محمد الهلالية من وعل (توعلان) (ت 1207) لها ترجمة في فهرس تلميذها محمد بن عمر السوسي اليبوركي يصفها فيه بالفقيهة العالمة السالكة، وذكر أخذها عن الشيخ أبي العباس بن ناصر، لها شهرة، ومنظومات شلاحية، وعائشة بنت الحاج مبارك المتوكي (1245)، وكانت نساخة خطت بيدها مصحفاً شريفاً ومؤلفين هما: (1) "مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات" (للجزولي، و2) "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" وهو تفسير القرآن لعبد الله النسفي(19).

(17) انظر الجزء 17 من المعسول من، م السوسي، حول الأسرة الكرسيفية.

(18) المنوني محمد، المؤسسات التعليمية الولي بسوس، مجلة المناهل عدد 34 السنة الثالثة عشرة، يوليو 1986 ص: 51.

(19) محمد المختار السوسي، رجالات العلم العربي بسوس، ص: 25، 54، 82.

وإلى جانب هذه النماذج من النساء الفقيهات نجد نماذج للمرأة الولية الصالحة مثلاً: رحمة بنت يوسف اغبالئية وهي "صالحة تؤثر عنها خوارق مع أحمد بن موسى، ولا تزال شهرتها مدوية" و"مماس بنت علي المنوزية"، "رابعة" عصرها، (ت 1130 هـ)، مريم بنت محمد السملالية (ت 1163 هـ)، التي ألف حول مناقبها وكراماتها مجلد ضخماً.

و"حكا" (حواء) بنت يحيى الرسموكية (ت 1155 هـ)، "صالحة، عابدة، يعهدها الناس، لها مشهد يقام عليه موسم نسائي"، وتعزى السملالية "ربيعة زمانها، ذات الشهرة الفائقة ولها أخبار"⁽²⁰⁾.

وفاطمة بنت سليمان وتعز بنت سليمان من تادرت وهما مرابطتان (ق 12 هـ).

ويلاحظ من هذا الجرد لبعض النساء الشهيرات بسوس غلبة نموذج الولية الصالحة وذلك راجع إلى سيادة التصوف والطريقة في هذه المنطقة وكثرة الزوايا، حيث كانت هناك كل من الطريقة الناصرية والتجانية والدرقاوية، وكان لكل طريقة أتباعها ومريديها وفقرائها وزواياها، وأصبح التصوف مكوناً أساسياً في ثقافة النخبة والعامة على السواء، وكانت المرأة حاضرة ومنخرطة في هذه التنظيمات الطرقية تعمل على استقطابهن في إطار المنافسة بين الطرق الصوفية، وهذا الدور التأطيري لنساء القبائل والقرى، لم يكن بإمكان الرجال القيام به، لمنع الاختلاط بين الجنسين، وينقل لنا المختار السوسي نموذجاً من هذا النوع من النساء المؤطرات والعاملات في صفوف الطريقة الدرقاوية في كتابه "من أفواه الرجال"، فيقول عن إحداهن: "كانت الفقيرة الصالحة عائشة التوننية مسنة لا أرب للرجال فيها وكانت لها القدم الثابتة في الطريقة (...). فكانت تجمع الفقيرات، وتعظمهن، وتعلمهن، لأن لها إماماً كبيراً بأمور الدين..."⁽²¹⁾، وكانت

(20) السوسي محمد المختار، من أقوال الرجال ص: 55.

(21) محمد المختار السوسي، من أفواه الرجال، ص: 56 و58.

هذه الفقيرة مقربة من الشيخ، ويستصحبها معه في بعض سياحاته لتعلم النساء، ولكنه كان يمتنعها من مخالطة أتباعه من الذكور، حيث كانت تمشي خلف الطائفة من بعيد، فإذا دخلوا قرية تذهب هي عند النساء، بهذه الطريقة كانت تنجز دورها التنظيمي بهدف توسيع ونشر تعاليم الطريقة الدرقاوية في وسط النساء والتأثير عليهن في تقديم الصدقات وإعداد الطعام لأفراد الطائفة، وبهذا يستطيع الشيخ أن يحل مشكلة التموين والتغذية إبان سياحته مع "الفقراء".

ويحكى لنا المختار السوسي عن امرأة أخرى يقول لها: "أنها عظيمة القدر كبيرة الشأن ممن أخذ عن الشيخ، فحصلت لها مقامات وخوارق، وعن كيفية دخولها في الطريقة، يقول أنها: "كانت تسترق السمع للحديث الذي كان يدور بين الشيخ وزوجها في محاولة لضمه لصفوفه، فتأثرت بكلام الشيخ فما أصبح الصباح "حتى انقشعت الضبابة ورفعت الغشاوة وزال الحجاب"، وتقول واصفة حالتها: "فإذا أنا قد نسيت كل الأولاد والأهل والزواج والدنيا جميعا وأدركت قول مادم الرسول من قصيد بتشليحيت: "تفثل المال، تروا دالوالدين النبي محمد لحرمنن إدن منغي" أي ما ترجمته: "أنت أغلى عندي من المال والأولاد والوالدين أيها النبي محمد، فبحرمتك اقبلني أن أرافقك" (22).

وكانت هذه بداية الطريق عندها، حيث غلب عليها الوجد الصوفي حتى حال بينها وبين إرضاع وليدها، واستولت عليها حالة من الصمت، وما زالت تترقى حتى بلغت درجة الولاية، ونسجت حولها كرامات وخوارق منها: أن الأرض كانت تطوى لها طيا، وتجالس الشيوخ الكبار واكتسبت بذبك مشروعية الولاية بالرغم من أن ولاية المرأة كانت موضوع خلاف بين فقهاء ومشايخ تلك الجهة، بين اتجاهين: اتجاه معارض كما عبر عنه أحدهم حين سئل عن امرأة تأخذ

(22) الحضيكي، طبقات الحضيكي، عرض فيه لخلاف الفقهاء حول ولاية المرأة حيث ترجم لعمته حواء (حك) بنت أحمد الحضيكي.

الكتاب وتقرؤه على النساء ويجتمعن عليها ويشيخنها، فقال: "النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة (...)" .

وقال أيضا: "إنهن ناقصات عقل ودين، فلا يجوز للمرأة أن تكون إماما ولا شياخة، أما ما يفعله النساء اليوم من اجتماعهن عند امرأة ويشيخنها فمنكر، وفساد وجرام لا يحل لجوه منها أنهن يسرقن من أموال أزواجهن، وأنهن يتنظفن، ويلبسن أحسن ثيابهن ويخرجن للطريق من غير إذن الأزواج ورضاهم، وقد يكون ذلك سببا في التباغض والفراق، وذلك كله حرام، والمفاسد المتوقعة باجتماعهن كثيرة..." .

فهذا الاتجاه المعارض يستند على مبدأ الفقهي: "درأ المفاسد سابق على جلب المنفعة" وهو من باب سد الذريعة في الفقه المالكي .

أما الاتجاه المؤيد فيمثله "الحضيكي" الذي يدافع في "طبقاته" عن ولاية المرأة ويقدم ولاية ونبوة مريم كدليل من القرآن، كما أنه أورد في طبقاته مناقب وكرامات لنساء بلغن مرتبة الولاية "كمهاس بنت علي" التي اعتبرها "رابعة العدوية زمانها في المعارف والمجاهدات ... وعمته حواء بنت أحمد" الحضيكي .

لكن وبالرغم من وجود الاتجاه المعارض ومع كل العوائق الأخرى العامة والخاصة في هذه الجهة والتي تحول دون تحصيل العلم الديني وتجعله أكثر صعوبة، فإن المرأة استطاعت أن تتغلب على هذه العوائق والموانع والصعوبات لتصل إلى مراتب عليا في العقل العلمي الديني والصوفي، لتمتلك رأسملا رمزيا وسلطة دينية جعلتها تفرض نفسها على التاريخ المحلي، ولتبرهن بالتالي أن العلم والولاية ليس مجالا يحتكره الذكور بل يمكن للنساء أيضا ولوجه، والتواجد فيه واختراقه رغم السياج الأرثوذكسي المعارض لكل ما هو نسائي، والذي يحاول إقصاء المرأة، وتهميشها تحت مبررات دينية. وبهذا تكونت في هذه الأطراف نخبة من النساء الشهيرات لعبن أدوارا فاعلة في إنتاج وإعادة إنتاج الثقافة العالمية

كعالمات وفقيهات ومتصوفات، وكن بذلك علامة من علامات الذاكرة الثقافية للبوادي والأطراف التي تقاوم التهميش والنسيان.

ولم تكن أكرسيف والأسرة الكرسيقية التي اشتهرت بالصالح والتصوف والفقه لتخلوا من نساؤها الفقيهات والشهيرات بالورع والزهد على مر العصور، وقد تحدثت المصادر التاريخية المحلية كما أسلفنا عن وجود جناح خاص في المقبرة الكرسيقية لحافظات المدونة وهي الكتاب المشهور والأساسي في الفقه المالكي، والمدونة كما هو معروف تضم المسائل التي جمعها تلامذة مالك بن أنس الذين سمعوا عنه الموطأ (أسد بن الفرات) وأخذها عنه سحنون الفقيه المغربي ورتبها مما يفيد أولاً سنية ومالكية المدرسة والزاوية الكرسيقية، وثانياً بأن الشيوخ والفقهاء الكرسيقيين لم يكونوا ممن يعارضون تعليم بناتهم، وستكون حتماً هناك داخل هذه الأسرة نساء فقيهات وصالحات، لكن تعرضن للنسيان، ولم تسعفنا المصادر والوثائق التاريخية على الحصول على تراجمهن، ما هو مؤكد أن الجزوليين السملاليين والكرسيقيين منهم، كانت لهم إزاء المرأة، مواقف إيجابية، حيث كانوا يعترفون لها بحقوقها في الكد والسعاية حيث تحصل على نصيبها فيما يدخل المنزل، وكتب نوازل فقهاء جزولة تزخر بأحكام السعاية.

القسم الرابع
ملاحق ونصوص

الرسالة التوغزيفية في نسب الكرسفين:

تقديم:

هذه رسالة أو كراسة للفقير محمد بن الحسن التوغزيفي تكلم فيها عن أنساب فروع أسرة أبو نعمان التوغزيفي الجد الأعلى للكرسفين. وهي من الوثائق و المراجع النادرة اعتمدها مؤرخ سوس محمد المختار السوسي في تراجمه للكرسفين و صاحبها محمد بن الحسن توفي في حدود 1214هـ وكان فقيها وصوفيا ناصريا مارس التدريس في العديد من مدارس سوس وكراسة التوغزيفي ترفع نسب الكرسيفين إلى الخليفة عثمان بن عفان وهي وثيقة مفيدة للباحثين لظاهرة الصلاح والصلحاء والتصوف بسوس وبالأطلس الصغير وقد انتهى المؤلف من رسالته كما هو مسجل في آخرها عام 1198 هـ (ق 12 هـ).

نص الرسالة :

وقد كنت قبل هذا الزمان سائلا عن نسبنا وبحثت عن فرعنا وأصلنا حتى وجدته بفضل الله متصلا بأحد الخلفاء الأربعة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن جميع الصحابة. فكاد قلبي يطيش فرحا. وجسمي يسيل حبا له ومدحا. فقلت :

الحمد لله المنفرد بالتجميد والتبجيل. المنزه عن صفات التغير والتبديل والصلاة والسلام على رسوله الكريم. القائم في الدين بالعدل والإنصاف والتميم. وعلى آله وأصحابه الكرام. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من جميع الأعلام. وبعد فإن الانتساب إلى جانب الأفاضل محمود والتمثل بالرجال الكرام مقصود. إذ بذلك بفضل الله ومشيبته ينتمي متعاطيه إليهم وبالنسبة إلى أعلى مناصبهم قد ينضم الشمل لهم. فيفوز بوصلهم من الدرجات. وإلى مرغوبه في الآخرة من الصفات.

هذا وإن مولانا وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. أمر رضي الله عنه بذلك ليحفظ ويعلم الرحم بالكتب والفهم فيوصل. لما في صلته من الوعد والخير الدنيوي والأخروي ما لا يحصى. وفي قطعه من الوعيد والشر ما لا يخفى. فحين أتى رضي الله عنه بصيفة الأمر المؤذنة بالوجوب. فقد يجب على من عنده علم من ذلك أن يبثه ويضعه. ويدعو إليه بالرقم والتعليم. خوف اندراسه بطول الزمان وجهل أهل أواخره وغلبة غوائل الدنيا عليهم. حتى لا تجد أحدا يصل أقرب قرابته وأرحامه بعد معرفته الأقرب والقريب والأجنبي والبعيد. فما ظنك بمن كان جاهلا بجده الداني. وبجده النائي أخرى. وقد شاهدنا من الناس من كان كذلك. فلا يعرف إلا أباه أو جده الداني فقط. فالله تعالى يعلمنا علما نافعا. ويفقنا على استعمال ما عملنا بجاه النبي واله.

ثم أني رتبت نسبنا. مبتدئا من نفسي إلى آخر أجدادنا في الإسلام. سيدنا أبي عمر وعثمان بن عفان رضي الله عنه. الذي قال فيه رسول الله صلى عليه وسلم ألا أستحيي ممن استحييت منه الملائكة. (أو كما قال) وشهد له بالجنة. فإذا رتبته كذلك يسهل فهم كل واحد من إخواننا وأعمامنا جده الذي التقينا فيه أولا وآخرا. فيصل كل قرابته. ويترجم عليهم. أو يتوسل بهم. أو غير ذلك إن شاء الله. فأقول أنا محمد - فتحا - بن الحسن بن سعيد بن إبراهيم بن علي بن يحيى بن عمرو بن محمد بن يوسف بن علي بن عثمان بن سيدي سعيد بن سيدي فطاسين بن مجليدان بن يلول بن تازموت ابن عبد الله بن يفود بن عمرو بن إسحاق بن عبد المالك بن إبان بن عثمان بن عفان ذي النورين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وهذا الذي التقى فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكذا مع بن أبي طالب رضي الله عنه. والتقى مع أبي بكر رضي الله عنه ومع طلحة رضي الله عنه في مرة. والتقى في لؤى مع عمر. ومع سعيد بن عمر رضي الله عنهما. والتقى في قصي مع الزبير بن العوام رضي الله عنه

والتقى في كلاب مع سعيد بن أبي وقاص. ومع عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنهما. والتقى في فهر مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وقد فهم وعلم ذلك كله قبل في أنسابهم مع النبي صلى الله عليه وسلم. وسبب ذكر النسب ورفع فوق الجد الصحابي المذكور معرفة متلقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أصحابه العشرة الذكورين رضي الله عنهم أجمعين. وها أنا أذكر مواضع قبور بعض من عرف من أجدادنا وأولادهم وإخوانهم وأعمامهم. وما عرف لدينا من بعض مناقبهم. رحمهم الله ونفعنا ببركاتهم ءامين. أما جدنا (فيطاسين) بن يجليدان فهو أول من عرفناه ببلدنا ب (الطويلة) بسملالة مدفون ب (هوت ايجراش) معروف بالبركة مزوز له روضة ومسجد قديم حوله - قد أندرس إلا حول محرابه يصلحونه ويقرؤ ويזור ويدعو فيه من ساقته القدرة إليه - ولكن صحفوه وبدلوا فيه السين بالشين المعجمة. لغة العجمة عليهم. وأما ابنه سيدي عثمان ابن فيطاسين فهو جدنا نحن بني سعيد بن النعمان. وجد بني عمرو بن النعمان. وهم أهل (ألكرسيف) ومن تفرع منهم من أهل (تيمكيدشت) وأهل (تادارت) بتملت وأهل (أسكاور) وأهل (أمارخس) وأهل (أولبن) وغيرهم من خرج فرعه من سيدي عمرو بن نعمان وهو أيضا جد بني يسييمور بن نعمان. وهم أهل (أنمسا) ببلد (حامدة) وهم بنو موسى بن إسحاق بن عبد المالك بن يسمور بن نعمان. وكذا شيخ العلوم صاحب المسباج على شرح الرسالة المعروف بالجزولي. واسمه عبد الحمان بن عفان بن يسييمور بن نعمان ولم تعرف ذرية ل (يسييمور) ببلدنا الطويلة. وإنما عرفت خربة قديمة للجزولي فيها مسجد قديم لا أثر له اليوم بموضع يسمى عندنا ب (تامرطالت) ويזור فيه الناس قديما. ويتبركون بذلك المسجد وبتلك الخربة. وقد يجيء رجل فيتمرغ فيها. ويلبس ثيابه. فيذهب على ما قال لي والجي عن والده. وكيف لا يتبرك بمواضع الصالحين والعلماء وأهل الفضل ممن رجا خيره. فأما جدنا سيدي نعمان المذكور فمدفون ومعلوم بيمين ديارنا بأعلى (شعبة اللوح) ب (الطويلة) بسملالة وله روضة وبركة يزار ويندر له

الندور على قضاء الحوائج. وتخرج خرقة القراءان عنده كل عام. وأنفسنا وأولادنا وأموالنا وديارنا وديننا في حرمة. وتحت لوائه. وأما ابنه سيدي سعيد بن نعمان وهو جدنا أيضا معروف بالبركة والندور كأبيها أو أكثر. مدفون بشفاء (تاهلة) مزور وله مسجد هناك وله مسجد حوله يقرأ فيه القرآن. ويعملون فيه اللقاء كل عام مرة أو مرتين. وجعلنا أنفسنا وديننا وأموالنا وكل ما أعطاه الله لنا في حرمة وتحت كنفه. يذب ويذود عنا في الدنيا والآخرة. وأما أخوه سيدي يعزى بن نعمان فهو مدفون بمقبرة كانت بشرق الخربة المنسوبة للجزولي. المذكورة قبل. مدور له بحائط يزار هناك. وبركته كأخيه. وأما أخوهما سيدي إبراهيم بن نعمان فهو مدفون مزور معلوم بوسط (شعبة اللوح) وله حانوت عند قبره يدعون ويزورون فيه. ولم تعرف ذرية للأخوين عندنا. فلا ندري أكانت لهما فانتقلت أو جهلت أم لا. وأما أخوهم يسييمور بن نعمان فلم يعرف قبره. وأما ذريته فهم أهل (أنمسا) والشيخ الجزولي كما تقدم. وأما أخوهم سيدي عمرو بن نعمان فهو مدفون ب(تادارت) بوادي (تيملت) فلا ندري ما سبب انتقاله من سملالة عن أجداده وإخوانه المذكورين. وهو معلوم بروضته هناك. مزور يتبرك به قديما وحديثا. عرفنا له ابنين سيدي محمد بن عمر ومدفون ب (أمارخسين) مزور هناك.

ولكن قيل لي خفا قبره. ويزورون حول ما يضمنونه فيه. والثاني من ابنه هو الفقيه العالم العلامة فريد عصره. حامل راية العلم في زمانه. وهو سيدي أبو بكر بن عمر بن نعمان مدفون حول أبيه ب(تادارت) مزور هناك. معلوم بركة وعلم. وله مسجد كبير له صومعة. يؤذن ذلك المسجد بعظم قدره. وكثرة علمه وعمله لمن تأمل ذلك وتفكر فيه. وفضلها ومناقبها لا يفي بها لسان جسمي. ولا يأتي به فهم قلبي. فالله تعالى يغثنا بهما يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ويكنى هذا الشيخ الأخير أبا يحيا. قيل لإحياء علمه هذه البلاد. والله تعالى أعلم. فإذا فهمت هذا كله علمت أن جميع من ذكروا هم ذرية سيدي نعمان. فنحن ذرية سيدي سعيد بن نعمان. وأهل (أنمسا) والشيخ الجزولي شارح الرسالة

والمدونة ذرية ييسيمور بن نعمان وأهل (ألكرسيف) ومن تفرع منهم ذرية سيدي عمرو بن نعمان. وسيدي يعزى بن نعمان. وسيدي إبراهيم بن نعمان لم تعرف ذريتهما كما تقدم. وزاد بعضهم شيئا آخر. قيل هو ابن سيدي نعمان. لم يعرف اسمه ولا ذريته أيضا. مدفون بشرق مسجد ب(فلي) بالطويلة وله حانوت يزار هناك. انتهى ما لخصناه وفهمناه من عقد نسبنا المنسوب لخط أعمامنا الكرسيين سيدي داود بن بكر. وسيدي خالد بن يحيا. وسيدي عمر بن الحسن المؤرخ بعام اثنين وستين وثمانمائة وتركنا ما بقي من عقد النسب لما فيه من البياض والتصحيف. حتى لا يمكن نسخه. وفيما بقي أفخاذ كثيرة مختلطة. وبعضهم التقينا معهم في يفود بن عمرو المذكور في ترتيب الأجداد كأحراش. فانه قال هم بنو الغازي بن يفود بن عمرو. وكبني يعقوب فانه قال فيه جد هم يحيا بان زكرياء بن يدير ابن أبي بكر بن ياسين بن عبد المالك بن ليلتن بن يفود ابن عمرو. فأما أحراش فهم ببلدنا ب (الطويلة) وأما بنو يعقوب فلم نعرفهم في بلدنا. وقد كان فيه قوم يقال لهم بنو يعقوب. ولكن لم نسمع من أسلافنا وثقات أهل بلدنا من يقول أنهم من أهل نسبنا. إما لطول الزمان وعدم الاهتمام بهذا الأمر عند الأوائل. أو غير ذلك. والله أعلم. وذكر في عقد النسب بنو الحاج إدريس. وبنو عبد العزيز وبنو عيسى بن يوسف وبنو عمران بن موسى. فهؤلاء لم نعرف منهم أحدا. فان قلت ما ذكرته لم يوجد بعضه في عقد النسب الأصلي فمن أين أخذته؟ قلت أخذته بالسماع الفاشي عن ثقات. وغيرهم من أهل بلدنا. وبالخير اليقين من الطلبة والفقراء الذين أخذوا ذلك عن الأسلاف خلفا عن سلف. إلى دواوين الفقه في شهادة السماع الفاشي والله أعلم.

(تنبيهات)

الأول: فنحن بني سعيد بن نعمان عرفنا اليوم ببني يحيا بن عمرو. نسبة إلى واحد من أجدادنا كما ذكر في ترتيب أجدادنا وله ثلاثة ذكور: محمد بن يحيا. وعلي بن يحيا. وإبراهيم بن يحيا. أما ذرية محمد فلم يبق فيها إلا واحد. سكن بن الفيضة

في الفحص وهو عبد الله ابن عبد المالك بن بلقاسم بن محمد بن يحيى بن عمرو بن يحيى بن عمرو المذكور. وأما ذريته إبراهيم بن يحيى فبقي منهم ذكور ثلاثة: سيدي إبراهيم وعبد الله وسعيد من بني سيدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان ابن إبراهيم بن يحيى بن عمرو المذكور. وأما ذرية علي بن يحيى فبقيت ذرية ابنه إبراهيم بن علي. فذرية إبراهيم هذا الكاتب محمد ابن الحسن بن سعيد. وابن عمه سعيد بن إبراهيم بن سعيد. المذكور ابن إبراهيم بن علي بن يحيى المذكور. وابن عمنا علي بن محمد بن محمد ابن إبراهيم المذكور. وابن أخيه محمد بن ييبورك بن إبراهيم بن محمد ابن علي بن محمد سليمان المذكور. فأولاده اليوم: سيدي أحمد. وسيدي الحسن. وسيدي عبد القادر. وسيدي عبد المالك وسيدي محمد والطالب إبراهيم. والطالب علي. والطالب عبد الله. وكذا ابن أخي الطالب محمد بن بلعيد بن الحسن المذكور. هكذا درجائنا في هذا الوقت بحسب الارث بها لمن احتاج إليه في بني يحيى بن عمرو.

الثاني: اعلم أن الجزولي المذكور مدفون بمدينة فاس حرسها الله مات فيها سنة ست وأربعين وسبعمائة على ما ذكره القسطنطيني الذي ألف تأليفا على وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين. وذكره من العلماء ونسب إليه شروحات الرسالة وهو في مختصر ذيل (الذبياج) لابن فرحون في أعيان المذهب عبد الرحمان بن عفان الجزولي هو الفقيه الحافظ شارح الرسالة والمدونة. علامة في المذهب خرج للقاء أبي الحسن يرحب به من طريق كذا. فسقط عن فرسه فمرض. فمات إحدى وأربعين وسبعمائة. أخذ عنه الشيخ يوسف بن عمرو من خط العالم سيدي ييبورك بن عبد الله بن يعقوب. نفعا الله به آمين.

الثالث: اعلم أن الله تعالى قد أصلح ذرية جدنا سيدي نعمان. وجعل جلهم أولياء علماء فقراء. كالسادات المذكورين. وكسيدي خالد بن يحيى وسيدي محمد بن الحسن العالم. وأولاده. وكسيدي عبد الرحمان بن أبي قاسم وأولاده. وكسيدي عبد الله بن محمد القائم بالأمانة العظمى في زمانه وكسيدي محمد بن يعقوب

المارخسني وغيرهم من أهل (ألثرسيف) وكجدي الفقير سعيد. كان يسمع كلام الموتى على ما أخبرني به ابنه والذي رحمه الله. قائلاً مريوما بمقبرة. ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بطريق شعر العجم على عاداتهم. فيسمع الموتى يجابونه من تحت الأرض. ومريوما على مقبرة أخرى فيدعو لهم ويسمع الزغاريد تحت الأرض. وابنه والذي هو رجل صالح من أهل الكشف. ملازم لدينه في وقته الاختياري فما رأيناه يؤخره عنه لا عمداً ولا سهواً. حافظاً للقرآن حفظاً جيداً. ملازم لأولاده وللحزب الراتب. مجتهد في التعليم. قارئ ل(دلائل الخيرات) مؤكداً على طريق المسكنة. صابر للبلايا. له نصيب من العلم والفهم. مجتنب للمعاصي. ومؤكد على طاعة الله. هارب من الدنيا. قانع بعمل يده. لا يطمع في مال أحد. ويذم سؤال الناس فيقول فيمن لا بد أن يقول يا ابن آدم أعطني. فليقل يارب أعطني. فالله تعالى يرحمه ويرضى عنه ويرضيه عنا. وجميع ذوي التبعات. ويغفر لنا ويلطف بنا. ويختتم علينا بالإيمان الجازم. والإسلام التام. بجاه النبي وآله وصحبه. انه جواد كريم. ومما وجدته منسوباً بخط المرحوم بالله الفقيه العالم سيدي احمد بن عبد الله الـلثرسيفي في هذا النسب. نظمه ببحر الرجز على خلل واختلاف في بعض الأسماء آخره (ما نصه) قال راقبه اسعد هاهن بفوز الإيمان وأباح له نعيم جنته احمد بن عبد الله الـلثرسيفي ورد على بعض الإخوان في هذه الأيام ممن انتمى لجدنا العالي سيدي أبي بكر بن عمرو المذفون ب(تادارت) بوادي (نملت) طلب مني نسبه الشريف إلى منتهاه في الإسلام. فأسعفته بالمراد. ناظماً لذلك النسب زيادة في إتمام مرغوبه. ورجاء مني لنيل بركاتهم التي هي كنز لا يفنى. ومحبة في ترتيبهم نظماً. لأن النفوس في الغالب تميل عن الشر إلى النظم. وتشتاق لسرده مع جدوى كبيرة من نزول الرحمة التي تنزل عند ذكر الصالحين. رحم الله الجميع وأعاد علينا بركاتهم آمين.

يقول عبد الله هو أحمد الله مولانا العلي احمد

انتهى وكفى. وسلام على عباده الذين اصطفى. والحمد لله الذي من برفده يتوصل الراجون. لمنتهى لمنتهى البغية والآمال. (قال كاتبه) هكذا وجدنا هذا

النسب مروي ثقة. فمن وقف فيه على هفوة أو زلة. أو وجد متنا حسنا عتيقا يخالفه هذا. فليصلحه بعد تثبت. واستعمال فكر. لينخرط معي في سلك هذا الأجر الموفور. إن شاء الله. داعيا لي بصالح نية. وصميم طوية. لصلاح الحال والمثال. وفي آخر ربيع الثاني سنة ستين ومائة وألف رزقنا الله خيره. ووقانا ضيره. بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. انتهى كلامه رحمه الله كما وجد بخط غيره. فالله تعالى يحقق له رجاءه. ويكمل مرامه. ويسلك بنا وبه طريق السعادة آمين. ثم إني نظمت ببحر الرجز أيضا هذا النسب. مختصرا له. مبتدئا من نفسي وفرعي إلى آخرتهم في الإسلام. كما فعل الفقيه العالم المذكور رجاء ما يرجوه فقلت:

(محمد وحسن ثم سعيد)

(إلى آخر رجزه. وقد ذكر كله في الأصل)

وجميع ما في آخر الأبيات ليس بعلم رجل إلا على في آخر البيت الثاني وقولي يوسف واستحقاق وأبان بالتنوين الموزون. وعدد الأجداد من محمد إلى عثمان رضي الله عنه خمسة وعشرون جدا. على ما عندنا في هذا النسب وقولي فريد أعني أن جدنا سيدي سعيد بن نعمان فريد قبره بشفاء (الصيصة) بلدنا (تاهالة) ليس عنده قبور ولا دور. بل هو في الخلاء هناك رحمه الله ونفعنا به. وقولي وانتقلت اعني أن أكثر ذريته انتقلت عن بلدنا الأصلي (سملالة) وهم بنو عمرو بن نعمان إذ هم أكثر ذريته على ما في علمنا. ولا يظن أننا نحن باقين من ذريته. انتقلنا من بلد (كُرسيفة) كما تقدم من قبور أجدادنا وإخوانهم بسملالة ب (الطويلة) ولما شاع وذاع من ثقات الأسلاف من أننا قدماء (سملالة) فهم حينئذ منتقلون منها. ولا علم عندنا ما سبب ذلك كما تقدم. والله تعالى اعلم ثم إني ختمت هذا النسب بقصيدة وضعتها ببحر الطويل. توسلا بهم إلى الله تعالى. وترحما وتضرعا عليه بهم. واحتماء بحماهم. ورجاء في دخول كنفهم. ونيل المقاصد ببركتهم. ونزول الرحمة والمغفرة بذكرهم. سيما إذا حصل ذلك من ذرياتهم. ومن تعلق بأذيالهم.

وقوي رجاءه بانتسابه إلى جانبهم. فقلت مستعينا بالله ومستمطرا بمدده. ومقدما
للجد الاعظم الصحابي الأفخم.

بسيدنا عثمان ثم بنسله — ألوذ على الترتيب في الفضل والدهر

(إلى آخرها والقصيدة كلها في الأصل)

انتهى ما حضر لي وضعه في الوقت من هذا النسب. ولم أمنع زيادة؟ أو
إصلاحا بعده. مع التنبيه عليه لمن لديه تحقيق به. واليه انتسب. وفي جمادى الثانية
من عام ثمانية وتسعين ومائة فرغت من هذا الموضوع. بعد الألف من الهجرة
قاصدا به دعاء ناظره تواضعه بالختم بالإيمان التام. ومجازاته بموفور الحسنات.
وبالإسلام الكامل. ومعافاته من جميع السيئات. بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه.
القائل: توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم. وبجاه ذوي الاقدار الرفيعة.
والمناصب المنيفة على الخصوص والتعميم. من جميع من يتوسل به الى الله العظيم.
فتقع الاجابة سريعا. على تمام المقصود من الله الكريم. فالله تعالى على كل شيء
قدير. وباجابة الداعي دعاء نجابا جدير. واستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو
الحي القيوم واتوب اليه. وهو حسبي ونعم الوكيل. وما توكلت في جميع الامور
الا عليه. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. وهو بذات الصدور عليم.
وواضعه عبد ربه محمد بن الحسن بن سعيد الطويلي السملالي لطف الله به آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين).

وصف لرحلة حجية

محمد بن احمد بن بلقاسم الكرسيفي (تو 1214 هـ)

(من آل العالم)

هذه رسالة لمحمد بن احمد بن بلقاسم الكرسيفي من آل العالم وهو فقيه من صلحاء القرن 13 هـ باكر سيف كتبها وهو في طريقه إلى الحج سنة 1196 هـ ، ويصف فيها ما وقع له مع ركوب البحر في رحلته التي استمرت أزيد من شهرين فهي إذن تندرج ضمن أدب الرحلة إلى الحج تنقل لنا تجربة الفقيه الكرسيفي مع السفر بحرا وأهواله ومفاجآاته المخيفة حيث يصف لنا إحداها حين جاءتهم ريح عاصفة والموج كالجبال من كل مكان فدام ذلك أياما (...) وعان الحجاج وهم في المركب والموت انتشبت فيهم أظفاره وأنيابه - على حد قوله - والرسالة عموما وثيقة تاريخية تساعد على معرفة طبيعة الحج وما يعترض الحاج المغربي في سفره وفي ركوبه البحر في القرن 13 هـ (19م) وهي إضافة إلى ذلك نص أدبي إبداعي سردي يتميز بخصائص يشترك فيها مع نصوص أخرى من أنماط الكتابة الرديئة التي تصدى لها الفقهاء خاصة الرحلة الحجية التي يحضر فيها السفر والبحر وأهواله ورياحه ...والكرسيفي محمد بن احمد بن بلقاسم عاش هذه الأهوال وكتب عنها في هذا النص، الرسالة في فترة أصبحت فيها البحار والمحيطات تحت سيطرة القوى البحرية الأوربية وتراجع فيها النشاط البحري للمغرب وللبلدان العربية الإسلامية...

نص رحلة الحج ووصفه ما وقع له مع ركوب البحر:

(من محمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد بن الحسن أحسن الله عاقبته في الأمور كلها. وأجاره من خزي الدنيا وعذاب الآخرة الكرسيفي إلى الحفيدين السيد الحسن بن احمد، والسيد محمد. والأخت والابن احمد. وكافة أهل الدار

كلهم أجمعين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد دخلنا مصر يوم الجمعة السابع عشر من ذي القعدة. فوجدنا الفاسي قد خرج منه قبلنا من خمسة أو ستة أيام، ففاتنا الحج في هذا العام. والعياذ بالله بذلك. ونحن ننتظره في سنة 1197 هـ إن شاء الله تعالى وذلك أنا طلعنا المركب في طرابلس بعد عصر يوم الجمعة عشرين أو واحدا وعشرين من رمضان. فبتنا فيه يوم الجمعة والسبت والاثنين والثلاثاء. ثم بعد ظهر من آخر أربعاء في الشهر المنحوس المستمر كما في الحديث. طعنا من المرسى. فمشينا إلى عصر يوم الاثنين الذي بعده. فجرد علينا الدهر سيوف الغدر. وذلك انه جاءتنا ريح عاصف. وجاءنا الموج كالجبال من كل مكان، قدام ووراء ويمينا وشمالا. أعني (المرتونة) فدام ذلك إلى آخر الأربعاء أو أول الخميس. وذلك يوم عيد الفطر وثانيه وليته أو ليلتين قبله. ويومان بعده. فأرعدت السماء تلك الليالي، جدا جدا جدا. وأبرقت كذلك. وأظلمت كذلك. وأمطرت كذلك. وعانيت الحجاج الموت انتشبت فيهم أظفاره وأنيابه. وذلك أننا نرى مثل مشمش الغار من الماء الأزرق يقصد المركب من كل جهة. حتى يسقط عليهم. إلا أن ماء هذه الجهة يخرج من ميازيب الجهة الأخرى، وماء هذه الجهة يخرج من ميازيب الجهة الأخرى. فاكثرى الناس من يستقي الماء المجتمع في المركب، من المغرب إلى الصبح بسة مثاقيل. وجعل الناس يندرون ويجمعون الصدقات للأولياء. ويندرون لهم الذبائح شرقا وغربا. منهم من نذر ذبيحتين وحده. واشتغلوا بالدعوات وقراءة القصائد المفرجة. والاستعانة بمن يرجون منه الشفاء. كل بمن عرفه. وقطعوا الأكل والشراب والنوم في تلك المدة. وجعلوا يكون ويتسامحون ويشهدون. فلما رأى الرئيس ذلك جعل يطرح غرائر الحجاج مع ما زاد فيها من مواعين وكسوة وغير ذلك وقربهم. ليخف المركب ولئلا يغرق. وأعانه الحجاج على ذلك طيبي النفوس. منشرحي الصدور بذلك. راضين به. إذا سلمت أرواحهم. وطرحوا أواني المركب وحوائجه. من المخاطف وكراسي المدافع أعني الانفاض. وغير ذلك. وقد سمعت انه طرح من أمتعة المركب قيمة مائة مثقال من الذهب. وسمعت انه طرح منها ما يساوي ستمائة

مثقل من الذهب. فبينما نحن كذلك إذا بمركب من العدو في تلك الحال تركضه الأمواج في الماء مثلنا. فلم يلتفتوا إلينا ولا التفتنا إليهم (لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال الرئيس لولا هذه (الفرتونة) لغنمته. ثم إن الرئيس لما خاف الموت على الناس أدخلهم داخل المركب. وأغلق عليهم الباب. وجعل حصيرا أو رداء على الدفة. ثم زفتها بالزفت. فلما كانت ليلة الخميس جاءتنا ريح صبا وهو عدو المراكب المشرقة لأنها تردّها إلى خلفها. فلم ندر أين كنا فيه. حتى رمى بنا في ذلك البر الآخر. أعني بر العجم. وهم الترك والروم يوم الخميس ثم نظر الرئيس في (الكرطة) أعني كتابه الذي صور فيه الطرق والمدن والجزائر والجبال. وكم من ميل قطعه. وكم بقي له. فلما نظر فيه قال لولا البر الذي جاءنا من قدامنا فردنا إلى خلفنا لأصبح العدو فيرانا تحت ديارهم فيأخذونا لكوننا تحت ديارهم في الساعة التي ردتنا الريح فيها. ونحن لا نشعر لظلمة الليل ورعده وبرقه وريحه ومطره. ورمت بنا الريح في بلد للترك يقال له (الدراج) أخذوه من العدو. فأقمنا فيه ما شاء الله ثم طعمنا فمشينا ما شاء الله. ثم ظعنا فمشينا نحوا من ثلاث أيام بلياليها. ثم ردتنا ريح صبا عند الفجر. فرمى بنا في ذلك البلد أيضا إلى الضحى الأعلى فسار بنا ثلاثة أيام بلياليها فيما بين الفجر والضحى الأعلى فسار بنا ثلاثة أيام بلياليها فيما بين الفجر والضحى الأعلى من السرعة. فأقمنا فيه ما شاء الله. ثم ظعنا منه أيضا فمشينا ما شاء الله. ثم ردتنا ريح صبا في البحر في جانب ذلك البر أيضا. فأقمنا فيه ما شاء الله. ثم ضعنا منه أيضا فمشينا ما شاء الله. ثم ردتنا ريح صبا في البحر في جانب ذلك البر أيضا. فأقمنا فيه ما شاء الله ثم ضعنا والحاصل أن الريح ردتنا إلى ذلك البر نحوا من خمس مرات إلى ثمانية. ولم نجد ريح الدبور النافعة لنا. فلما حاذينا (مانطا) رأيت الرئيس هال هولا عظيما. فملا المدافع أعني الانفاض. فعلمت انه خاف من العدو. فقلت له أيها الرئيس إن رأيت العدو فأعلمني فقال نعم. ثم إن الله سلمنا منهم. والحمد لله. واغرب من هذا أنهم ذات يوم أرسلوا المركب بمخطف واحد أعني (اسرسو) فلما كان الليل عمت الريح. فذهب بالمركب ليضرب به جبلا. فأكبت الروم على المخاطف. فدهش الناس غاية.

واغرب من الجميع انا ذات ليلة تفلت مركب آخر كان معنا لرئيسه. فقصد مركبنا ليتصادم معه. فتشهد الناس للموت. فقال قائل اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله. ياسيدي احمد بن محمد بن ناصر. فرجع في أسرع من طرفة عين. كأنه جذبته احد. ولا أظن الناس دهشوا أكثر من تلك الدهشة. ثم إن الناس نفذ ما عندهم من الماء والزاد. ولم يعط لهم الرئيس الماء إلا نحوا من أربع مرات. مدة إقامتهم على ظهر البحر. وهي أحد وخمسون يوما. فربما صبرنا للماء ثلاثة أيام. وربما صبرنا للطعام يومين. من قلة الماء فبعض المرات اشتد العطش أمطرت السماء. فاخذ الناس يسدون به بعض الخلّة. ويردون به بعض الغلة. وبعض المرات يشترون قربة ماء بست موزونات. وبعض المرات يشترون الدلاع من عند من اشتراه من بر الترك. كل دلاعة بخمس أوراق. نصف المثقال: عشرين موزونة. إلى أربع أواق للواحدة. إلى ثلاث أواق كبرا وصغرا. إلى أوقيتين. كل دلاعة بقدرها. كبرا وصغرا. ويشترون التين اليابس بموزونة في عشرة الخبرة. وفي نصف الخبزة بموزونتين. إلى غير ذلك. وقد يقول احدهم اسقوني حتى يعيى. فلا يجد من يسقيه. ويطلب آخر ماء البيع فلا يجده. ثم جاءتنا الجنوب وهي جزيرة كبيرة جدا في البحر. (بينها وبين (درنة) التي هي من مراسي ساحل برقة مسيرة يوم في البحر) ثم سكنت الريح جملة. فسكن البحر. ووقفت المراكب (إن يشاء يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) فقامت المراكب كذلك ما شاء الله. ثم انه تنفست ريح الجنوب. ثم اشتدت فذهبت بنا إلى أن جاوزنا (الإسكندرية) فرايناها عن يميننا. فذهبنا إلى جهة يسراها. فتم الماء للناس. فقال الرئيس نذهب إلى جزيرة (روضس) فنستقي منها. فقلت له أيها الرئيس اذهب بنا إلى (الإسكندرية) التي شطرنها معك فقال نعم ولكن لا أعطي الماء. فقلت له ساعناك فيه. فكلم الذي اخذ (الدمي) وهي الخشبة التي يديرونها حيث شاءوا أن يتوجه إليه المركب، فيتوجه إليه فقلبه فانقلب المركب من يوم الاثنين. فاستقامت لنا الريح. فأخبرت أن المركب ضرب فيما بين يوم وليلة مسيرة ثلاثة عشر يوما. فشكرتني الحجاج لما كلمت الرئيس على ذلك. ثم بعد ذلك عصفت

الريح جدا. فلما كان عند الغروب من ليلة السبت الذي بعده قربنا من مرسى (الإسكندرية) وقد عرف الرئيس أن هنالك صخرة داخل البحر، تضرب السفن فجعل يدير السفينة حولها إلى الصباح، خوفا من تلك الصخرة. فلما أضواء الحال ادنى المركب إلى المرسى . فاستعصى عليه. فكابد في تلك الساعة مشقة عظيمة جدا جدا جدا. وخاف خوفا شديدا جدا جدا، وهال هولا عظيما جدا لأنه جاءتنا (فرتونة) وعصفت الريح غاية. فتطلع علينا الأمواج كأمثال الجبال. فخاف من تلك الصخرة أن تكسر المركب. وخاف أن تذهب به الريح إلى بلدة للعدو حولنا. وخاف أن ترده الريح إلى ابعد مكان وقد قيل لي عن قوم لما أرادوا أن يرسوا في (الإسكندرية) ردهم الريح إلى (حصن دما) في جهة الصحراء في جهة (وادي النون) ثم ردتهم الريح أيضا فوصلوا (الإسكندرية) في اقرب مدة. ثم حجوا من عامهم. فلما غلبته الريح والفرتونة. وهول البحر. اخرج مدفاعين. اعني نفطين. وجعل رايتين. فلما سمعه أهل (الإسكندرية) جاءوا راكبين. فتلقونا فجبذوا الحبال التي فيها الأردنية لتطوى الأردنية. فنزلنا تلك الساعة. فدخلنا (الإسكندرية) فبتنا فيها ليلة واحدة، ثم سرنا ل (رشيد) فبتنا فيها ليلة واحدة. ثم ركبنا بحر (النيل) فوصلنا (بولاق) مصر في أربع ليال. ثم اكرت مركبا في (بحر القلزم) لأركب فيه أنا واثنان من أصحابي إلى (الينبوع) وبينه وبين (المدينة المنورة) أربعة أيام ونصف، وقال الرئيس إن أردتم مكة اكرت لكم مركبا في (الينبوع) إلى جدة وبينها وبين (جدة) يومان ولكن غرضي أن أقيم في (المدينة) أربعة أشهر ومثلها في (مكة) وشهرا في (جدة) لان فيها قبر أمنا حواء وشهرا في (الطائف) عند ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما).

المناظرة الفقهية الكرسيقية الفاسية :

تقديم:

هذه رسالة فاسية موجهة إلى فقهاء سوس في بعض المسائل الفقهية مع جواب عنها من طرف الفقيه الـكـرسيقي أحمد بن عبد الله الملقب بالمفتي - وهم يعرفون حاليا في الكـرسيق وأسـكـاـور بآل القاضي، «والفقيه الـكـرسيقي هذا عاش في القرن الثاني عشر الهجري (18 م) حيث يذكر مؤرخ سوس محمد المختار السوسي أنه توفي عام 1180 هـ والرسالة الفاسية مع جواب الـكـرسيقي عنها هي بمثابة مناظرة فقهية أدبية بين المدرسة الفاسية والمدرسة الـكـرسيقية تكشف عن وجود تقاليد للحوار والمناظرة عبر الرسائل بين النخبة الفاسية العالمة والنخبة السوسية» بين بوادي المغرب وحواضره... وهي وإن تضمنت كما في الرسالة الفاسية - بعض التقليل من كفاءة الفقهاء السوسيون مقارنة مع الفاسيين من منطلق تفوق الحواضر على البوادي، فإنها أبانت عن علو كعب فقهاء سوس في الفقه والأدب والبلاغة، وهذا ما حاول الفقيه الكرسيقي أن يظهره في جوابه، حيث دافع عن فقهاء سوس وقال عنهم بأنهم ليسوا أقل من علماء فاس علما ودراية في الفقه والبلاغة والعربية. وانتقد في جوابه عجرة الفاسيين وقال بأن فقهاء فاس «ماهم إلا كالناس، يصيبون ويخطئون ككل الأكياس» وجواب الـكـرسيقي عموما يمكن أن يقرأ من زاويتين فهو أولا تعبير عن التواصل والحوار الثقافي والفكري بين بوادي المغرب وحواضره وهو حوار وتواصل يعكس المرجعية الدينية والعلمية المشتركة بين فقهاء سوس ونظرائهم الفاسيين، وثانيا هو رد فعل على نزعة التمرکز الفاسية والحضرية، التي تعمل على تهيمش علماء ونخب الأطراف والبوادي المغربية، والفقيه الـكـرسيقي كان واعيا في جوابه ومناظرته بهذه النزعة المركزية الفاسية ولهذا لم يستطع إخفاء غضبه من عبارات التنقيص، والاستخفاف بفقهاء سوس التي تضمنتها رسالة الفقيه الفاسي حيث قال: «وقد نال الغضب مني مبلغا عظيما، حين نبزنا الكاتب بأننا

أهل سوس إنما يكون كاتبنا في البلاغة زنيا ، فأردت أن أكيل له بكيله، فأصليه بنار جمره وأن ألقيه في وسط ويله ليزوق وبال أمره، حتى يقر بأن في بني عمه رماحا وزبونا إن اقتضاه المقام وجماحا. فقد قيل في سالف الزمان عن احد الأبرار «من استغضب ولم يغضب فهو حمار» لكن رغم غضب الـكـرسيفي فإن رده وجوابه كان في حدود اللياقة واحترام آداب المناظرة... وهو نص جدير بالقراءة يكشف عن الثقافة الفقهية والأدبية العميقة لصاحبها الذي ورغم اعترافه بأن فاس «أم المغرب الرؤوم التي ترضعه في كل عصر لبان العلوم» وان علماءها هم بحور العلم، ولفاس وسادتها الفاسيين عنده مقام عظيم - كما جاء في جوابه - فإن هذا لم يمنعه من الرد عليهم دفاعا عن مكانة وكفاءة الفقيه السوسي، وإجمالا لا يمكن اعتبار الرسالة الفاسية والرد الـكـرسيفي عنها من تراث المناظرة بين فقهاء سوس وفقهاء فاس من القرن الثالث عشر (18 م) وهي تجسيد لروابط الحوار والتواصل بين بوادي المغرب وحواضره.

الرسالة الفاسية :

فقهاء سوس الأعلام. الذين هم في فقههم بحور وفي وقارهم أعلام. لا أخص أحدا باسمه. فكل واحد منهم مقصودي وإن لم أسمه باسمه. عليكم جميعا مني تحيات. ترددها مني إليكم الصبا روحات وغدوات. إذا خطرت تهب منها عليكم من الغوالي نفحات. ويتفتت من مسكها على كل واحد فتات. ما كتب بليغ فأجاد. وأبان فأفصح عن المراد.

(أما بعد). وفي كل واد بنو سعد فإننا نحمد الله لكم يا إخواننا العلماء ونشكره لحضراتكم يا صفوة الفقهاء. ثم إننا نعلمكم بأن تلك الردود التي رددتموها على كل علماء هذه الحضرة الادريسية. ذات فطاحل العلماء أولى الافهام المشحوذة والمدارك السنية. وقد تصفح الجميع ما كتبتموه إلينا حين تنتقدون ما كنا استظهرناه في القضية التي كانت قبل ذلك إلى فاس مرفوعة. وأناها كل واحد من التحقيقات والتدقيقات ثمارا جنية غير مقطوعة ولا ممنوعة وقد كان الأدب

يا إخواننا أن تقفوا مع ذلك الجواب القاطع وقد حوى من النصوص ما هي صوارم قواطع. تعلوها أنوار يعز مثلها اليوم سواطع. وقد تعجب الكل حين رد الجواب مع ما كتبه جمهوركم من تخطيط ما استظهره الفاسيون. وانه والله لعجب عجاب منكم أيها السوسيون. فماذا تفيد الضحاح مع مزبدات الأمواج؟ وهل يكون مثل الزبدة النقية من الحليب الصافي طحلب في مستنقع ماء أمشاج وهل يفتي وما لك بالمدينة؟. وهل يرضى ذلك من يريد إن يمحض دينه ومتى يدرك البادون الحضريين. ومتى سابق السوسيون الفاسيين؟ (يعظكم الله إن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مومنين) هذا مع عبارة مازجتها اللكنة كقبعاء علتها دكنة فقد كان يجب أن تراعوا أولا اللسان العربي المبين. ثم تحتاطون في فتاويكم حتى لا تتلوى تلوي المتخبط الذي لا يستبين. والرسائل وجوه المرسلين. كأن لم يطرق أسمع سكان تلك الجهة (إذا أبردتم إلى بريدا فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم). من كلام سيد العالمين. فالبلاغة للمراسل كالرمح للمطاعن. وقديما قيل (قبل الرماء تملأ الكنائن) عاش من عرف قدره. ولم يجاوز طوره:

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره ما لا يرى

احملوا هذا على هذه النصيحة. فلهجة الأعجمي بين العرب أعظم فضيحة فهذا جوابكم عن انتقادكم. لعله ينبهكم من رقادكم. فقد طالت السماء مطاؤها. وان عادت العقرب عدنا لها. وقد كان الأولى أن لاتروا سوادا في بياض. ولكن رأى الجماعة أن يكون الجواب هكذا في تراض. ومع الحامل ما كتبتموه مردودا. وما عندنا في المسالة أولا لا نزال عليه ولا يرى منا صدودا على أننا نطلب منكم يا إخواننا أن لا تواخذوا وان لا تتكلوا على ما تقتضيه البلاغة في المقام فتنابدوا فتربصوا حتى تتفهموا مقاصد العبارات لئلا تزل بكم في مسالك البلغاء قدم فتحسبوا هذا من المبارات. سددكم الله وفهمكم المقاصد. وعداكم حتى تكونوا لعلوم البلاغة بالمراصد والسلام عليكم ورحمة الله.

الجواب الكرسيقي:

وعلى سادتنا علماء فاس. بحور العلم البجاس وذي شمائل طيبة كالورد والأس. أفضل سلام طيب. ينهل على كل واحد منكم كالمطر الصيب. أعطر تحية عبقة. كنفحة الزهرة المتفتحة. تباكر شمس القرويين الوهاجة وتغاديا. وتجازيا عن الأنوار التي تشرق بها دائما حتى استنارت بها هذه البلاد كلها حواضرها وبواديا. فأنتم يا علماء فاس الأرواح. وبحسب غيركم شرفا أن يكون لأرواحكم بمنزلة الأشباح. ففاس أم المغرب الرؤوم التي ترضعه في كل عصر لبان العلوم. فمنذ أسس مسجدتها العامر. وسمر فيه للتدريس سامر. كان ديمة هطا - لة بالمعارف على البادية والحاضرة. فكل من لم يرد من مجالس أعلامه فلا يطمع أن يكون فهو مه مورقة ناضرة. وها نحن أهل سوس. نرى أن الأخذ بفاس كتاج العروس. فما علامة علم عندنا إلا كان هو أو شيوخه ممن فاز من القراءة هناك بالمعل فتراه بذلك عند مسابقة الأفهام إلى مشكلة ممن فرسه جلى. ولفاس ولساداتنا الفاسيين عندنا مقام عظيم ونرى ذلك يشهد الله كمزية ظفرنا بها وأكبر نعيم. وربما عرض لنا أشكال في نازلة نترداها بيننا. فنرى أن الأولى أن نستنير في دياجيا بفهم ءال فاس الذي نراه أكثر إشراقا وسنا. فهذا ديدن أهل هذه البلاد. وعليه وجد الأحفاد الأجداد. لان شمس الضحى في رابعة النهار لا ينكر إشراق نورها إلا من فقد الأبصار. وصار أخا بشارولان البحر الذي ملا مد البصر من ساحله لا يغمطه حقه في العظمة إلا من يخبط من كمهه في مجاهله.

وهبني قلت هذا الشمس ليل أيعمي العالمون عن الضياء؟

كيف ننكر مزايا فاس وهي منبع علمنا. وحاضرة قومنا. ومتعلمنا ومتعلم أشياخنا؟ ثم نرجو أن تبقى عنمتعلم أفراخنا. فعلى هذا المعتقد. نطوي الأفئدة. ونرفع الأطناب ديننا وعقلنا الأعمدة. وليس بيننا في ذلك ذو الشذوذ. ولو فرضنا وجوده بيننا إلا أقبح منبوذ. لان الأفراد بالفضل لأهله. مشعر بشرف المقر وفضله.

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه كمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

أما بعد: فقد حدث اليوم أن دب إبليس ديبه. وأناب عنه بعض صحابته من بني آدم ليكون خطيبه. فقد علم كل واحد أننا في بلادنا اختلفنا في مسألة غير منصوصة وتوافق فيها المتخالفون صفوفًا مرصوصة. فرفعها أحد الفريقين إلى فاس. لعله يستند إلى تأييد من فيها من الأكياس فجاءه الجواب من بعض العلماء بالموافقة. والغالب ممن نعرف مكانتهم لم نعلم بسكوته أخالف ذلك أم وافقه فكتب بعض فقهاءنا على قول ما أيدهم به بعض الفاسيين. يجاذبه أطراف الكلام على عادة المتناظرين القياسيين. لأن المسألة تتجاوزها الأقيسة من الجوانب. يختص كل قياس بجانب. وكان ينبغي حين تكافأت الأدلة. وغمّت في يوم الشك الأهلة. أن يسكت عن ذلك. فيسلك المحكم في القضية ما سنع له من المسالك. هذا ما ينبغي ويجب. عند كل من ينتظر يوم الحساب ويرتقب. كما كان يجب أيضا على السادات الفاسيين الذين رأوا كلام من يبحث فيما ذهبوا إليه. أن يجيبوا الكلام بما أوصل الفهم لكل واحد إليه عينه. ولكن مال هؤلاء السادات بما لا يليق. فلمعوا بفرند خاف له بريق. وقد خاموا عن المناظرة. إلى المهاترة. وعن سبيل العلماء. إلى طبع اللؤماء. وعن اهتداء المنصفين. إلى اعتساف المجحد ينهمزوا ولمزوا وجسوا وغمزوا. وقد نسوا آداب المناظرة. وشروط المحاضرة.

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وقد سرنا أن بحثنا عنهم تلك الأسماء التي في أسفل تلك الرسالة المقذعة. فلم يقع السائل على من عرف لهم ذكرا بعد ما وإلى السؤال وتابعه.

أسائل عن ثماله كل حي وكلهم يقول وما ثمالته؟

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدت بهم جهالة

حقا سررنا بذلك غاية السرور. وخامر قلوبنا منه أعظم حبور. وما كنا نحسب الأعلام المقتدى بهم من سادات فاس. يتجردون هكذا عن اللباس.

فيبدون بسوأة لا يغصفعليها من ورق الجنة. ولهم هذيان الذي تتخبطه الجنة. ولم
نقدم على هذا الجواب. حتى ادركنا ان تلك الرسالة انما هي لمعان ساب. وانها
لسفيه لا يقدر قدر الناس. فيشتم اخوانه وهو يتستر بالدفاع عن علماء فاس.
فأردت ان أبارزه في الميدان. ليعرف كيف الطعان بالسنان. والعجيب ان رسالته
جاءت بغير اسم الكاتب. فانتفت بذلك على من يرمي الهواء كل المعاتب. وقد
تذكرت بيتين لبعض شيوخ شيوخنا في المقام - كتبها لمن زبر له هجوا من اللثام.

أيا من رماني بالبراعة واختفى ولم يتعرض للقنا والصوارم

هلم إلى الميدان إن كنت صادقا ليعرف من عبد القفا واللهازم

وقد نال مني الغضب مبلغا عظيما حين نبزنا الكاتب بأننا من أهل سوس.
إنما يكون كاتبنا في البلاغة زنيا فأردت أن أكيل له بكيله. فاصليه بنار جمره. وان
القيه في وسط ويله ليزوق وبال أمره. حتى يقربان في بني عمه رماحا وزبونا أن
اقتضاه وجماحا. فقد قيل في سالف الزمان عن احد الأبرار. من استغضب ولم
يغضب فهو حمار. وقد جعل الله لنا آيتنا بها نوجر أن رددنا عليكم (فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) فلذلك جعلت عرضي دون عرض
أهل صقعي. ونفعهم جميعا أردت لا مجرد نفعي.

لم اكن من جناتهم علم الله ٥ واني بحرهما اليوم صال

وان اردت ان اكون مقسطا وان لاتزال يدي في مجال بالحق مرتبطا فلا تمش
مع هذا المتصافح قدما بقدم. حتى اغادره ان شاء الله بالبراهينكلحم على وضم.
يقول:

(فقهاء سوس الاعلام. الذين هم في فقههم بحور وفي وقارهم اعلام)

لقد صدقت والله جاء الحق الساطع على قلمك. ونطقت بما هو الواقع.
وانت لا تشعر قبل ان تجول في هؤلاء السادة بجلملك هم والله فقهاء اعلام يهتدى

المسلمون بهديهم. ويقفون عند امرهم ونهيهم. وكيف لا يقف مسلم عند رأى فقيه علم بحر في فقهه . جبل في وقاره. ثم اني اسال ذلك الكاتب الا يزال فيما ياتي على رايه هذا في هؤلاء الفقهاء ؟ ام هم هنا علماء. وهناك جهلاء ؟ ثم ان قولك ايهاه البليغ هذا، هو الذي نعول عليه. ولا عبرة بغيره. فهم جميعا كل واحد باسمه ورسمه من يستحقون ذلك السلام والتحية. التي قلت انها تغادي وتراوح بنفحات مسكية.

إلى أن يقول :

(ما كتب بليغ فاجاد ، وإبان فافصح عن المراد)

إن في هذا تعريضا. قرضت فيه اعراض بلغاء سوس تقريضا والجواب في الجواب واله المؤيد للصواب. فستقرا ما سعرف به انك بأقل بلدك. وهبنقة عددك. ومن تحرش بافاعي البلاقع فلا يلومن إلا نفسه إن ساورته ضئيلة رقشاء في أنيابها الم نافع

فعن وشيك تراها في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

إلى أن يقول :

(فاننا نحمد الله إليكم يا اخواننا العلماء. ونشكره لحضراتكم يا صفوة الفقهاء) إن ذلك حقيقة أقررت بها أيضا - والحق ما شهدت به الأعداء - فنحن إخوان كلنا. فلماذا أيها الكاتب - سامحك الله - حملت علينا حملة الأعداء. وشنت علينا الغارات بكل فرس عداء حتى اضطررنا أن نجعلك نحن أيضا عدوا نتقيلك وتتقينا. مع أن كل ذلك لم يكن بعد أن رفع لنا دين الإسلام إخوانا يقينا. وكذلك حيث وصفت فقهاء سوس بالصفوة. فقد صادفت عين الحق لو لم تأت منك بعد ذلك أعظم نبوة. وافضح كبوة.

إلى أن يقول :

(ثم إننا نعلمكم بان تلك الردود التي رددتموها على كل علماء هذه الحضرة الإدريسية. ذات فطاحل العلماء المشحودة الإفهام أولى المدارك السنية قد تصفح الجميع ما كتبتم به إلينا حين تنتقدون ما كنا استظهرناه في القضية التي كانت قبل ذلك إلى فاس مرفوعة. وأناها كل واحد من التحقيقات والتدقيقات تمارا جنية غير مقطوعة ولا ممنوعة)

أقول وبالله التوفيق. الآن يحصحص الحق. ويظهر الصدق. أما تسميتك ذلك ردا على أهل فاس. فكلام قصد به الباس. فما كتب من كتب ذلك إلا ردا على ما ينازعه من أبناء صقعه. ممن يجاوره في ربعه. ثم رفعه المردود عليه إلى من ناصره من فاس. عليهم يعلونه بعد النهل بنصرته بالاجلاب بالدروع والسيوف والأفراس. هذه هي الحقيقة. فافهمها يا صاحب البلاغة الدقيقة. والعبارة الرشيقة. والفصاحة العريقة ولو اعدت نظرك يا عبد القيس الى ما كتب في ذلك القرطاس. لما وقع لك الالتباس فلم يجز ذكر قط لاهل فاس. ام فريتك تبني عليها ما تشاء. من الكلام الهراء واما تسميتك لعلماء فاس بالفطاحل. فان القوم رضي الله عنهم جديرون بمدح كل قائل. فافهمهم مشحودة شحدا. ومداركهم كالمرفهة ردا واخدا. ولكن ذلك في علماء فاس حقا. لا امثالك يا من ياتي اذا جاء الظلام واختلط بكعب مكسر وقد نقط في قعره مذقا. فان لكل مطحون نخالة. وانت وامثالك نخالة من بفاس من السلالة واما قوله ان كل علماء فاس قالوا بتحقيقاتهم وتدقيقاتهم في هذه القضية ما كان كثار جنية غير مقطوعة ولا ممنوعة. فافك وتزويق وتلفيق. اتيت بها لعل تنفعلك في قولتك المصدوعة فهذا ما كتبه من كتبه من اهل فاس. وهم ستة لا غير. فاين موضع الكلية التي سقتها ايها البليغ الذي له ببلاغته كل فخر. وهل الستة موضع كليتك. ام انها سيق لك ذلك لتفتضح في بليتك. ثم ان هؤلاء الستة كلهم من بني ثماله لم تتجاوز شهرة كل واحد منهم انفه وقذاله. فاين عشرات من الايمة الاعلام. الذين تفتخر بهم فاس اليوم على مدن الاسلام. فهل قبضناك ياسارق الضيف برده؟ ويا من مسح بالرقاعة والوقاحة خرطومه وخده.

كذبت وبيت الله والطرف شاهد بان اخا هذا الجبين كذوب

الى ان يقول :

(وقد كان الدب يا اخواننا ان تقفوا مع ذلك الجواب القاطع. وقد حوى من النصوص ماهي صوارم قواطع . تعلوها انوار يعز مثلها اليوم سواطع)

اقول : لا اعرف قط من آداب المناظرة بين العلماء في مسألة. ان لا يرد أحد المتناظرين على صاحبه أدبا معه واحتراما وتجلة. فهل عرفت قط يا هذا كيف تنقح المسائل. بالمرادة بين المسؤول والسائل. ثم ان ما سماه الجواب القاطع. غليه انوار سواطع. ماهو والحق يقال. لا تمحلات مبنية على افتراض محال. وها هو ما كتبه من كتب من فاس. قد قراه كل الناس. فاين النصوص فيه؟ وقد بينا ان المسألة لا نص فيها اصلا. وما هناك الا قياس يتردد بين ذويه. فبذلك يتحقق الناس ان هذا الافاك الاثيم انما يخبط خبط العشواء في ليل بهيم ثم انني هنا اقول لهذا الانسان لذي دعانا بالاخوان. يا ليتك يا اخانا ابقيتنا على هذا الوصف. ولم ترد بنا خطة خسف فاسترحت وارحت. وما اثمت بما اجترحت الى ان يقول:

(وقد تعجب الكل حين رد الجواب مع ما كتبه جمهوركم من تخطئة ما استظهره الفاسيون. وانه والله لعجب عجاب منكم ايها السوسيون. فماذا تفيد الضحاضح مع مزبدات الامواج؟ وهل يكون مثل الزبدة النقية من الحليب الصافي طحلب مستنقع ماءه امشاج. وهل يفتي ومللك بالمدينة. وهل يرضى ذلك من يريد ان يمحض دينه. ومتى يدرك البادون الحضريين. ومتى سابق السوسيون الفاسيين. (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا من كتم مومنين) أقول في هذه الجمل . استحالت الناقة الى الجمل. واستنسر البغات. وفاوح الورد الكراث تقول يا نخالة فاس. ويا ظير النسناس قد تعجب الكل من ورد الجواب. فما مدلول الكل هذا يا من بلاغته على اجنحة الذباب وهل هو انت وستك ان صح انهم وافقوك على عوارك. مع اننا نجزم بان اهل فاس الطيبين لا يوافقك منهم

حتى زبال دارك. فلم يبق الا انت يا بيضة البلد لؤما. ومن جر لنفسه وحدها نحسا وشؤما وتقول ان الجواب كتبه جمهورنا. فهل طويت اليك حتى اطلعت دورنا. فان ذلك لم يكتبه الا فقيه وحده. وجعله لمن يناظره في القضية رده. ثم نفخ فيك شيطانك والعياذ بالله حتى حاولت التفرقة بين المومنين. بجعلك اياهم عشرين. تفرقهم تابعين ومتبوعين كانك لا تعلم ان المومنين تتكافا دماؤهم. ويسعى بدمتهم ادناهم وان المومنين كالجسد الواحد متحدو المقاصد. وان الناس سواسية. كلهم من آدم وآدم من تراب. ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) هبنا يا هذا رددنا كلنا نحن السوسيين عليكم كلكم انتم الفاسيين. وقد اجمع البادون كلهم اجمعون اکتعون ابتعون ابصعون. فردوا في مسألة فقهية بالادلة الشرعية على كل الحضريين وهم كلهم في حظائر حواضرهم يسمعون. فهل جئنا يا مغفل ببدع في الدين. او سلكنا فيه غير مسلك المهتدين فما اعرض قفاك يا من يورط نفسه وهو لا يدري. وما اقصر نظرك يا من يجمع يديه ورجله بجامعة ذاهلا ثم انبعث ليجري. الآن تدرك ان استك اخطات الحفرة وان يدك الفدعاء قد تياسرت عن المحز بالشفرة. فما هذه الضحاضح. وما هذه الامواج. وما هذه الزبدة؟ وما هذا الطحلب بمستنقع ماؤه امشاج. اتعرف يا هذا الى ماذا ترمي عباراتك الحمقاء؟ ام جرحك جبار ايتها العجباء البلهاء فمتى قصر الحق على اناس بالخصوص؟ وهل تقدر ان تاتي على ذلك بمنصوص؟ فليس احد اكبر من ان يرد عليه. ولا احد باصغر من ان يرد ما يراه باطلا على من يراه بين شفتيه اخرج من فاس يا غبي وانظر علماء البادية. لتشاهد علوما عظيمة جارية. من علماء كلهم للاسلام سارية. فان كان الناس في المغرب يعرفون لفاس حقها في السبق. فلا يدل ذلك على ان يكون مقصورا عليها الحق. وقولك متى يدرك البدويون الحضريين؟ ومتى سابق السوسيون الفاسيين. كلمة شيطانية القاها اليك شيطانك حين التقم قلبك. ليلقي بك في هاوية تجر فيها قصبك ولولا اننا اخترنا ان نمر مر الكرام. ونحن نقول للجاهل سلام سلام وان لا نقف

موقف الفخر. لانه لا لذوي المروءة في كل عصر. لتفجر عليك سيل العرم
يجرفك ايها المجرم. واما تلاوتك للآية الكريمة : (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مومنين) فمما يغيض حلم الحليم . حتى يجول جولة الاسد الكلیم افنحن
لا أبالك من تنفك عنهم ربقة الايمان بالرد على من يخالف الحق؟ ويدفن الصدق.
فلولا اننا عرفنا من الفاسيين الطيبين انهم يصفعونك يا عبد القفا واللهازم. ان
سمعوا هذا منك يا سبة الجار الملازم. لجاءتك قوارع يتميز بها جلدك عن
عظمك. ولا نجر بك ما انجر لاهل الراعي بقصيدة جرير الى اهلك وقومك.
ولكن اذهب يا عتيق قومه. ويا مخفور لؤمه فما كل من رض يستحق ان يرض من
ذا بعض الكلب ان عض.

الى ان يقول :

(هذا مع عبارة مازجتها اللكنة. كبقعاء علتها دكنة. فقد كان يجب انتراعوا
اولا اللسان العربي المبين. ثم تحتاطون في فتاويكم حتى لا تتلوى تلوى المختبط
الذي لا يستبين. والرسائل وجوه المرسلين. كان لم يطرق اسماع سكان تلك الجهة
(اذا ابردتم اليّ بريدا فابردوه حسن الوجه حسن الاسم) من كلام سيد العالمين.
فالبلاغة للمراسل كالرمح للمطاعن. وقديما قيل قبل الرماء تملا الكنائن. عاش
من عرف قدره ولم يجاوز طوره.

(ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى)

اقل هذا هو بيت القصيد. من هذا الكلب بالوصيد فقد يكون في كلام
الفهاء. مالا يروق البلغاء. ولكن يجعل ذلك سببا لهذا التشنيع. والقاء هذا
الكلام اللاذع الفظيع. فلو كنا نكتب بالشلحية لوافق قوله وقرطس نبله. ولكننا
نكتب بالعربية التي يكتب بها اهل فاس. كما هو شان كل الناس. فقهاءنا
وفقهاءهم عباراتهم واحدة. مائلة الى ما يريده الكاتب لا الى البلاغة قاصدة. واما
ادباءنا في مقام الانشاء فانهم يكتبون كما يكتب الفاسيون نثرا بالسجع مؤشئ ومن

شك في ذلك فليقطع. فالفجر منصدع وبهذا البين الواضح. يعرف كيف يمين
هذا النابح. الذي يتبختر في المفاضح. فحسب كل الناس مثله. ومن عوج الله
قامته عوج ظله

إذا ساءت فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

ومن كان ضاوي القدر خامله. تمنى لو كل الناس من باهلة والأحول لا
يستقيم بصره. والقصير يمنعه من مطاولة الكرام قصره. ونعوذ بالله من نحس
مستمر. ولؤم مختمر. ورجم الظنون. وقلم بهتك الاعراض مسنون والعجب انه
بعد ما حرب وهتك الملوب والسلب. طلب منا ان نكون مغفلين امثاله. وان
نحاكيه في الخرق والجهالة. فقال احملاوا هذا على النصيحة. فلهجة الاعجمي بين
العرب أعظم فضيحة. هذا ما يقوله هذا المافون ويتملظ به وقد استولى عليه
الجنون. فمثله كمثل من طعن انسانا غيلة طعنة نجلاء تذهب فيما الزيت والقتل
ثم صار يمسح دموعه ودماءه ويقول له احمل هذا مني على انني قصدتك لئلا
يتقوى عليك الدم فتذبل. فاي عقل يحمل هذا على هذا المحمل ؟ الا اذا حق
وجهل اتقبل ايها الفاسي وتدبر. وتخرّب وتدمر. وتفتش عن السيئات. وتتعامى
عن الحسنات. ثم لا تجد الا ان تخلق من عندك. فتخرج الى الناس ما لفقته بيدك؟
وجعلنا مثلاً. والبست كل اعمالنا زللاً. ثم تريد ان نلقي لك السلاح. وان نلوي
ارؤسنا تحت الجناح فهيئات هيئات الخلاص. حين مناص. ناقة صالح.
وتستدعي بفعلتك الفرسان من المسالحي ثم تريد النجاة بعذر واه. وانت تنخفي
بين العضاة

دعاني اخي والرمح بيني وبينه فهلا دعاني قبل ان نتشاجرا

ولكن ثنانا عن همنا اننا نرتفع عن جندلة قامىء تعض البقة استه وهو قائم
وتتعالى استننا ان نختضب بدم الكلب الاجرب الاعصى الذي لا يقاوم
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

الى ان يقول :

(فهذا جوابكم عن انتقادكم لعله ينبهكم من رقادكم. فقد طالت السماء مطاؤها. وان عادت العقرب عدنا لها. وقد كان الاولى ان لا تروا سُودا في بياض. ولكن رات الجماعة ان يكون الجواب هكذا عن تراض. ومع الحامل ما كتبتموه مردودا. وما عندنا في المسالة اولا لا نزال عليه ولا يرى منا عنه صدودا. على اننا نطلب منكم يا اخواننا الا تواخذوا. والا تتكلوا على ما تقتضيه البلاغة في المقام فتنابدوا. فتربصوا حتى تفهموا مقاصد العبارات. لئلا تزل بكم في مسالك البلغاء قدم. فتحسبوا هذا من المباراة. سددكم الله وفهمكم المقاصد. وهداكم حتى تكونوا لعلوم البلاغة بالمراصد. والسلام عليكم ورحمة الله)

اقول قوله: فهذا جوابكم عن انتقادكم. لعله ينهكم من رقادكم. تقدم ان الانتقاد لم يوجه الى اهل فاس. ولو كان وجه اليهم لما كان في ذلك باس. فما هم الا كالناس. يصيبون ويخطئون ككل الاكياس. وكل كلام فيه مقبول ومردود. الا كلام من هو في ذلك القبر الشريف ملحد وقوله فقد طالت السماء مطاؤها. لا والله. فكل ما يدرس في فاس من العلوم العربية. من المنطوق والمفهوم. فقد اخذه احسن اخذ من قراوا هناك من السوسيين. فكانوا على درسه كما هو خير مكين. فالكتب هي الكتب لم تتغير. والدراسة هي الدراسة لم تتغير والفهم فضل الله يوتيهِ من يشاء وقد ياتي علامة فاس بحماة وقليل ماء. اذا ادلى الدلو والشاء والعصمة ما مدت رواقها على بلد قط. فتكون فاس هي الثانية. وان سلمنا كما قررناه مرارا ان لاهلها في مجموعهم قدما في الشفوف عالية. فاذن على ماذا يحوم هذا الباحث عن حتفه بظلفه والذي ركبت حدقاه من خلفه؟ وما الذي يقصد بقوله ان عادت العقرب عدنا لها؟ افيريد ان يسد باب المناظرة مع الفاسيين؟ وان كانوا كلهم لذلك الكلام المتجافي عن الحق من المنكرين فيها هي العقرب السوسية قد لدغت فغادرتك في اوجاعك تنقلب. فعد لها ان قدرت أن تحضر لها النعل فتغلب:

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والتزالا

وقوله : وقد كان الاولى ان لا تروا سوادا في بياض ولكن رات الجماعة ان يكون الجواب هكذا عن تراض. يا ليتكم ارتكبتم ذلك الاولى فاسترحتم وارحتم. واما ههنا الجماعة التي شدت طباعها عن طباع الفاسيين كلهم الطيبين الاطهار. الذين هم على كل حسن مجمعون. فانها كتسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون. وقد قدمنا ان هذه الجماعة الثمانية وان كان افرادها ستة. فالغالب انها مجموعة في نذل واحد. وليس على الله ان يجمع الستة في واحد

(فمن انتم انا جهلنا من انتم وريحكم من أي ريح الا عاصر)

وقوله : ومع الحامل ما كتبتموه مردودا. وما عندنا في المسالة اولا لانزال عليه ولا يرى مناعنه صدودا. اما رد ما رد فتلك بضاعتنا ردت اليها. ونقول ما قال صاعد حين سقط كتاب الفصوص في النهر:

عاد الى معدنه انما يوجد في قعر البحار الفصوص

واما بقاء من بقي على قوله في المسالة فلا حرج. فقد قدمنا ان المسالة غير منصوصة بعينها في أي كتاب. وقد تجادبتها اقيسة فالله اعلم بالصواب وفي مثل ذلك لا حرج ان يبقى الانسان مع ما ظهر له. فلا تناله بذلك معمذلة. وما حول هذا ندندن وانما مقصودنا مقارعة هذا الكتاب الغامر المفتن. وقوله: على اننا نطلب منكم يا اخواننا ان لا تواخذوا. وان لا تتكلموا على ما تقتضيه البلاغة في المقام فتنابدوا. فتربصوا حتى تفهموا مقاصد العبارات. لئلا تزل بكم في مسالك البلغاء قدم فتحسبوا هذا من المباراة. هذا ما يقوله هذا الاخرق. كانه يريد ان يقول ان بلاغته هو لا تتم الا بالغمز واللمز. فيجب ان يترك ذلك غير مفهوم. وهذا من اغرب الفهوم. فكيف لا نواخذك او لا ننابدك. وقد لحوت الاعواد وحكمت علينا بعقول الجراد. فهل اذا امتعضنا لاعراضنا المنهوكة. وسجوفنا المهتوكة. يكون ذلك دلالة على ان القدم زلت بنا في مسالك البلغاء. واننا غلطنا

فحسبنا صوت الحمام الرخيم رغاء؟ فهل انت يا هذا محسوس أمعقلك مظموس.
ام تحسبنا بلها؟ تنال منا بحيلك ما تشهى ثم تنقلب الى حرمك. تتبنك في نعمك.
من غير أن تجازي الجزاء الاوفى فتصفع بالقلم الفا. لانك الذي اجرم. والبادي
اظلم واما نحن فلم نمش اليك شبرا حتى مشيت الينا بميل (ولمن انتصر بعد
ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل) حفرت حفرة فوقعت فيها. تكبكب على انفك
في نواحيها. والحق يدفعك. والؤم يصفعك.

كذاك الذي يبغي على النلس ظالما تصبه على رغم عواقب ما صنع

وقوله: سددكم الله وفهمكم المقاصد. قد استجاب الله الدعاء ففهمنا ما
تقصدونه. من نحت اثلتنا واعشاء مقلتنا. فلذلك قمنا بما علينا. لئلا نكون بيضة
البلد ذلا وجبنا.

ومن سامه خسف يعاين مسه وما رده عنه فليس بانسان

وقوله: وهداكم حتى تكونوا لعلوم البلاغة بالمراصد - هذا دعاء فيه
تعريض بان بلادنا من البلاغة صفر. ومن دراسة علومها قفر. وفي هذه نعذر
الكاتب لجهله ببلادنا وما نقراه فيها من جميع العلوم اللسانية على اختلاف
مناحيها. ولكنه راى في الجواب جوابا بالبلاغة اوراق. وقرا ذلك وهو يولول مما
لاقاه منا اليوم في قذال الدمستق ويكفي البرهان

خذ ما رايت ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وهذا آخر ما نكتبه في جواب هذا المهارش. وعلى قومها جنت براقش
وكانني به يكثر السعال. حين تتوالى عليه بالصفع النعال.

نحنح زيد وسعل لما راى وقع الاسل

ونستغفر الله ونتمنى ان لو تاخرنا عن زبر تلك الاقلام. ولكن ابت افعال
اللثام. ولو ترك القطا ليلا لنام ثم انني اكرر السلام الطيب النفح على كل السادة

الفاسيين. المخصبين في اخلاقهم وعلومهم الممرعين. فقد سللت من بينهم بقلمي
هذا الهجين سل الشعرة من العجين ونعوذ بالله من شره اللسن. واستطالة
الرسن. ولم نكن وقد جعلنا الله من الموفقين المستبصرين. ممن يدخلون في هذه
الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جائكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ والحمد لله الذي وفقنا حتى لم نسترسل في الكلام
الخطار. فنقع في غمز سادة ذوي اخطار. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما.

رسالة السعاية عن حقوق المرأة في كسب الرجل

"للفقيه عمر بن عبد العزيز الكرسيفي"

تقديم:

حق الكد والسعاية يندرج ضمن الأعراف المحلية والعوائد التي عرفتھا جزولة وبوادي سوس وما يجري به العمل في هذه المناطق والجهات من المغرب، وذلك منذ العصر السعدي، ويعني حق الكد والسعاية الاعتراف للنساء والزوجات بأخذ نصيب معلوم من الأموال المكتسبة خلال فترة الزواج إذا ثبت بأن الزوجة ساهمت بعملها وكدها في تنمية تلك الأموال، ويكون نصيبها منها على قدر سعيها وكدها، وقد استأثرت مسألة الكد والسعاية باهتمام فقهاء سوس وجزولة في فتاويهم ونوازلهم واجتهاداتهم الفقهية والقضائية وكتبوا حولها في رسائلهم وأجوبتهم، وقد اشتهر الفقهاء الجزوليين يكونهم أكثر من غيرهم من فقهاء المغرب المالكيين الذين اجتهدوا في هذه المسألة حفاظا على حقوق المرأة، وعلى الأعراف المحلية السوسية وما يجري به العمل لدى قبائلها في إعطائهم المرأة مقابلا لكدها وسعيها، وهو نصيبها في كل ما يدخل منزل الزوجية، وفقد ألف في هذا الموضوع فقهاء سوسيون مثل محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي، وعبد الله بن إبراهيم المكي (1078 هـ)، وأبي زيد الحيسيمي، وسعيد الهرزالي، وصاحب هذه الرسالة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي الإيرغي في رسالته هذه التي يوضح فيها كيفية قسمة التركة إذا كان فيها كد وسعاية حفاظا على حقوق المرأة والكسبة.. وهذا التوجه للحفاظ على مبدأ الكد والسعاية لدى الفقيه عبد العزيز الكرسيفي يتماشى مع التصور الحديث الذي يحترم فيه عمل المرأة وحقوقها، مما جعل المدونة الجديدة للأسرة بالمغرب تتضمن في مادتها 49 وفي

* - انظر ما كتبه ذ. محمد العثماني حول الموضوع في كتابه: "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي" ص: 70

(الهامش) - منشورات وزارة الأوقاف (2004)

الفقرتين الأولى والأخيرة جوانب من نظام الكد والسعاية تحت تسمية "الأموال الأسرية" وهذا ما يفيد بأن الأعراف المحلية وما جرى به العمل كانت مصدرا للتشريع والقضاء من طرف فقهاء سوس وضمنهم عمر بن عبد العزيز صاحب هذه الرسالة وهو من فقهاء القرن 13 هـ (1214 هـ) (1800 م)، ومن فقهاء الأسرة الكرسيين الذين استقروا بإريخ وله عدة تأليف ورسائل في مسائل فقهية على المذهب المالكي، يظهر فيها طول بآعه في الميدان الفقهي، وقد جمع له الأستاذ عمر أفا العديد من هذه المؤلفات في كتاب تحت عنوان: "المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة محمد بن عبد العزيز الكرسي" ، من منشورات وزارة الثقافة والأوقاف والشؤون الإسلامية، (2006م)، وهذا النص / الرسالة اطلعنا عليها في هذا الكتاب الذي بذل فيه ذ. عمر أفا جهدا علميا أسدى به خدمة للباحثين حول التراث الفقهي والعلمي بسوس في القرن 13 هـ ، من خلال هذا الفقيه الكرسي الذي عاش في فترة مهمة وحاسمة من تاريخ المغرب - بداية الضغط الأجنبي وتغلغلهم في مراسي المغرب وتجارته - ، وقد أحصى ذ. عمر أفا للكرسي أزيد من تسعة وعشرين مؤلفا مما يكشف عن قيمة الكرسي في الفقهية وتنوع اهتماماته وكتاباته.. وقد تطرقنا لبعضها في هذا الكتاب، وسنقدم بعض النماذج منها سواء في الفقه أو التوقيت أو الموازين.. الخ..

النص:

وللفقيه السيد عمر بن عبد العزيز الجرسيفي نزيل إرغ رحمه الله تعالى: "قسمة تركة الهالك على جامعة فريضته": إنما تصح فيما خص به وحده، سيما إذا كانت فيها المناسخات، وأما المال الذي تعلق به كسب غيره من الكسبة الذين استفادوا معه كله أو بعضه بكدهم وسعائتهم - كما يقع غالباً في هذه البلاد - فلا بد من إبراز حقوقهم المختصة بهم منه أولاً، ثم يقسم ما بقي على الفريضة.

وطريق إبرازها على ما جرت به العادة تبعا لفتوى الفقيه سيدي حسين التغايني شارح مختصر ابن الحاجب الفرعي وغيره رحمهم الله تعالى: أن يقسم جميع ما بقي في الدار وفضل عن ضروريات الورثة من سائر المتروك نصفين على السواء بين الكسبة وبين ما استحق الدمنة: التي هي الأصول بالإرث أو بغيره، فمن له كسب فقط أخذ به ومن له الدمنة فقط أخذ بها، ومن له حق بالوجهين أخذ بهما.

وأما ما فات منه في ضرورياتهم فلا حساب فيه، ولا مراجعة لفته على سبيل المكارمة. وهكذا يفعل بغير ما في الدار من كل ما استفيد وتجدد من المال بالابتياح والكد أيضاً، مياهها وشجرا وبنيانا، وغير ذلك.

فأول ما يفعله القاسم حينئذ: أن يفتش الرسوم ويميز بعضها من بعض، فيعزل الولادات والوفيات والأنكحات والوصايا والصدقات في جهة، والأشربة والزوائد والكدود في جهة، كل نوع منها على حدة، وي طرح ما لا فائدة فيه في جهة، ثم يستدعي عدلين من أهل المعرفة بقيمة الأموال، وموثقا متقنا، فيأمرهم أن يقوموا جميع ما الأصل الذي لا كسب فيه لأحد من الورثة في كل مكان بما يساويه في الوقت، فيقيد الموثق ذلك في ورقة أو لوحة مرتبا بحدوده، وقيمه في كل سطر مكان، وثمرته تحت ثمن ما قبله، ثم يأمره أن يقيد الأشربات والافتدآت وقيم الكدود والزائد في ورقة أخرى، كل شربة بحدودها وثمرتها

وتاريخها تقييدا مرتبا حسنا كما ذكرنا في القيمة، بحيث توضع المثاقيل بعد الحدود، ثم الموزونات ثم التاريخ في الطرف ليتمكن استخراج الجملة بجمع كل جنس على جنسه، ويفرد الزائد عن الأثریات ليسهل ضم كل زيادة إلى أصلها بعد إزالة الكسب منها.

فإذا قيد الجميع نظر في تواريخ ولادة الأولاد إن كانت، وغلا قدرت بأترابهم، أو بما هو الغالب من حدوث الأول منهم بعد العام من تاريخ نكاح أمه، والثاني بعده بثلاث سنين، ثم كذلك في وفيات من مات منهم ومن غيرهم، وفي أنكحة الزوجات والبنات ليعلم من له سعاية ومن لا.

فالزوجة تكسب فيما حدث وتجدد بعد العام من يوم تزويجها على الفراق بموت أو طلاق، والولد يكسب فيما حدث من حين أطاق الشغل والتكسب بحسب عمله إلى موته أو غيبته، والبنات كذلك إلى موتها أو تزويجها. والناس يختلفون بالقوة والضعف في الأسباب، فيتفاوتون بقدر ما يستحقونه، فمنهم ذو كسب كامل، ومنهم ذو نصف، ومنهم ذو ثلث أو ربع، والمرجع في ذلك إلى أهل المعرفة به، فيشهدون لكل ما ظهر لهم بالاجتهاد أنه يستحقه حيث لا يمكن التحقيق، والمسألة من باب الصلح فيما أشكل أمره وتعدرت فيه الشهادة القطعية، ثم يقابل تواريخهم بتواريخ الأثریات وما معها ليعلم منها ما انفرد صاحب كسبها وما تعدد.

وكيفية ذلك أن تكتب ما نصه: ابتداء كسب فلان من شهر كذا، من عام كذا، إلى شهر من عام كذا، ويضع التاريخ بالرمز كما مر في الأثریات، ثم كذلك إلى آخرهم، وإن اشترك اثنان أو أكثر في تاريخ الابتداء والانتهاء جمعتهم بالعطف، ثم يتأمل تواريخ الأثریات والزوائد ليعلم ما هو أقدم تاريخا من غيره، فيجمع جميع أثمان جميع ما وقع في العام الأول، وفيما يليه من الأعوام المشتركة معه في الكسبة، ويقسم جملة نصفين، فالنصف الذي للكسب يعطيه لمن استحقه عني، يقيده له مع اسمه في قرطاسه ليزيد له عليه ما يخرج له بالكسب أيضا، أو

بالإرث، أو بغيرهما حتى يستكمل حقه، والمستحق لذلك هو من وقعت ذلك العام، وما في حكمه بين غايته كسبه انفراد أو تعدد، ويضم حظ الموروث منه على النصف الذي للدمنة، ويبقى للإرث مع الأصل المقوم، فإذا أثنان الأثرية الواقعة في العام الذي يليه في التاريخ، أو يلي ما في حكمه، ويقسمه ويصفر عليها، ثم كذلك إلى العام الأخير. فكل من دخل أخذ، وكل من خرج سقط، فالدخول يعلم بالابتداء، والخروج يعلم بالانتهاء.

فتوى حول الإحرام لمن يريد الدخول إلى مكة لالحج ولا لعمرة .

عمر بن عبد العزيز الكرسيفي

تقديم:

هذا نموذج آخر من فتاوى هذا الفقيه الكرسيفي الموسوعي الذي قال عنه محمد المختار السوسي "علامة جهيد نافذ الفكر، مؤلف مدرس، مخرج، أديب، حسن العبارة"، من محاسن عصره، تخرج من سجله سنة توفى عام 1214 هـ.

وهذه الفتوى وردت ضمن المجموعة الفقهية في الفتاوى السوسية من جمع وترتيب محمد المختار السوسي، كما أوردها ذ. عمر أفا في كتابه عن المؤلفات الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي وهو مرجع موسع ومهم عن شخصية الكرسيفي وعصره ومؤلفاته.

الفتوى:

بين الفقهاء رحمهم الله في تصانيفهم حكم الإحرام بحج أو عمرة وصفته وما اشتمل عليه من الأقوال والأفعال الجائزة والممنوعة من عقده إلى التحلل منه، وأهملوا الإحرام لمجرد دخول مكة شرفها الله تعالى بلا قصد نسك، ولم يتعرضوا لبيان ما عدا حكمه الذي هو الوجوب، من كيفية عقده وما يحصل التحلل به منه وما بينهما، ف وقعت المذاكرة فيه. لأجل ذلك بين طائفة من فضلاء الوقت فاختلفوا فيه اختلافا دلا على جهلهم بحقيقته وفائدته وغير ذلك من أحكامه، ولا غرو، فكم من مسألة ظن عالم أنها عنده على طرف التمام، سهلة المرام، حتى إذا امتحن فيها بمسبار التدقيق والفحص عن التحقيق نظر ببصره وبصيرته فلم

يجد شيئاً، فالفقيه اليوم هو من إذا سئل عن شيء عرف بالبحث عنه بعد في كتابه، وأما الجواب بالبدئية بحقيقة حكمه فهيئات إلا ماقل، تكرر عليه سائر الأوقات تكرر الأرزاق والأقوات، فمن قائل من تلك الطائفة: لا ندري ما نقول فيه، ومن قائل: لم يشرع الإحرام أصلاً إلا لقصد حج أو عمرة، ومن قائل: هو واجب لدخول مكة، ولكن لا يكون التحلل منه إلا بفعل عمرة لئلا يكون كمن تطهر ثم أحدث ولم يصل، ومن قائل: هو واجب ويحصل التحليل منه بنفس دخوله ولا يلزمه فعل عمرة لأنه إنما هو كجنب احتاج إلى دخول مسجد ومحدث اضطر إلى مس مصحف فتطهر لذلك.

فكما أن هذين لا يلزمهما غير الطهارة من صلاة في المسجد بعد دخوله أو قراءة في المصحف بعد حمله فكذلك المحرم لدخول مكة لا يلزمه فعل شيء من أنواع العبادات في مكة بعد دخولها بسبب الإحرام له لأن عبادة مستقلة تنقضي بفعل ما شرعت له كالطهارة لما ذكر ولا تفتقر إلى ضمنية غيرها له.

قلت: أما الأول، فقد ألقى السلاح لما علم أن السلامة في المسألة من الكفاح وأن الربح والنجاح في مباداة الملاح والقباح. وأما الثاني، فقد جهل الحكم من أصله، وأنكره ويقرأه بمحله، فأبان بنطقه ما لم يظن به من هوسه وجهله. وأما الثالث، فقد عرف الحكم وأخطأ في إيجاب العمرة؛ إذ من لا زم ذلك تكرر وجوبها بتكرر الدخول في كل مرة مع أنها إنما هي سنة لا تطلب في العمر أكثر من مرة. وأما الرابع، فقد عرف الحق وأحسن الجواب، ومثل بما ارتفع به من الإشكال فأصاب الصواب، وأزال عن وجه المسألة النقاب، فبرز للناظر البصير كشمس زال عنها السحاب.

وحاصل هذا، أن الإحرام لدخول مكة على ما دلت عليه نصوص العلماء نطقاً ومفهوماً واجب لما جعله الله تعالى لها من الحرمة والشرف على سائر البلاد، فلا يحل دخولها بغيره لأحد إلا ضرورة، كما لا يحل دخول المسجد لجنب ومس

مصحف للمحدث إلا أن يضطر، وأن مكانه الميقات الذي يمر به، وأن حقيقة نية امتثال ما أمره الله به من دخولها بالاحترام والتعظيم مع الشروع فيما يتعلق به من قول وعمل وأنه مثل الإحرام بأحد النسكين فيما يحل ويحرم، وأن فائدته تعظيم البلدة لمكان الكعبة المشرفة، وأن التحلل منه يحصل بنفس الوصول إلى البيوت.

أما دليل وجوبه ومكانه ففي غير ما كتاب، ويكفي قول الشيخ ميارة في "الدر الثمين": "والمار بالميقات إن أراد دخول مكة لم يجز له دخولها إلا محرماً، سواء أكان نسكاً أو تجارة أو غير ذلك" الخ، فانظر فيه قبيل قول "المرشد":

وإن ترد ترتيب حجك اسمع البيت.

وأما حقيقة فتؤخذ على حقيقة الإحرام بحج أو عمرة، فكما يقال في حقيقة لهما هي الدخول بنية في أحد النسكين مع الشروع فيما يتعلق بذلك من قول وعمل، يقال في حقيقة له: هي امتثال ما أمره الله به، الخ. وأما كونه مثله فيما يفعل أو يجتنب فيؤدي من فائدته التي شرع من أجلها، وهي تعظيم الشعيرة باتباع آداب الشريعة ومخالفة ما في النفس الشريرة، ولا يتحقق ذلك إلا بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات.

وأما فائدته فتؤخذ من حكمه، إذ لولا التعظيم لما وجب كالطهارة بالنسبة للمسجد والمصحف. وأما التحلل بالوصول فيؤخذ من سكوتهم على طلب فعل شيء آخر بعده.

وكذلك الطواف ببيت الله الحرام في غير عمل الحج والعمرة، قد أهملوا ما يحتاج إليه من صفاته، وما لا بد منه فيه، مما سوى الطهارة وستر العورة، فإننا لم نر من تعرض لذلك فليبحث عنه، كتبه عمر بن عبد العزيز الكرسيفي.

قال المختار: إن ما قال هذا السيد الجليل من طلب الإحرام لمن لم يقصد النسكين، ثم تحلله بمجرد دخول مكة، لفي الغرابة في مكان، وأعظم وأغرب أن جعل سكوتهم عما يفعله من أحرم وهو لا يقصد النسكين دليلاً لتحلله بمجرد الدخول. والمعروف أن المحرم لا بد أن يتحلل بأحد النسكين، وأما تحلله بمجرد الدخول فغير مسبوق إليه، وهي فتوى غريبة ولكن لا عجب أن يصدر مثل هذا من فقهاءنا الذين لا يلمون بالحديث، فأرى أن سيدي عمر لو كان يجول فيه، وعرف مأخذ هذا الحكم منه، وما للمحدثين في ذلك، قبل أن يعرف كلام الفقهاء لما صدر منه هذا، أنأمره بالإحرام، ولا بد، ثم يتحلل بمجرد الدخول، إن هذا لعجب عجاب؟!

مضى عمري: توسلات وتوبة

قصيدة للشاعر الفقيه عمر بن عبد العزيز الكرسيفي

من القرن 13 هـ (19م)

تقديم:

هذه قصيدة شعرية أخرى من نظم فقيه وشاعر كرسيفي آخر هو عمر بن عبد العزيز (تو 1214 هـ - 1800 م) وهي قصيدة عنونها البعض بتوسلات وتوبة، وهي بائية في 35 بيتاً.. والكرسيفي صاحب هذه القصيدة عاش في عهد السلطان محمد بن عبد الله وبداية العهد السليمانى، ورغم أنه كرسيفي فهو ينسب إلى إيرغ يايدا وكنظيف حيث استقر ودفن على غرار عدد من الفقهاء والصلحاء الكرسيفيين الذين استقروا في أماكن وقرى كانوا يدرسون بها، وعبد العزيز هذا موسوعي ألف وكتب في عدة فنون وعلوم في الفقه والنوازل والسكك والأوزان والنقود والنحو والتصوف والفلك... وها هي ذي إحدى قصائده الشعرية التي تعكس تجربته النفسية والروحية، ويبدو أنه كتبها في أخريات حياته كما يفهم من مطلع القصيدة حيث يقول:

مضى عمري فزايلى شبابي وبادرني الزمان بالانتهاب

فلاح الشيب في صدغي وفودي كصبح لاح في شق الحجاب

وهي قصيدة جميلة غنية بالصور الشعرية تعبر عن معاناة الكرسيفي وغرته وتأسيه على عمر مضى وتقضى ومر مثل السراب، ولم يجد من مآل إلا التوجه بالتوسل إلى مولاه بالتوبة والدعاء عساه يمحو ذنوبه، ويخفف عليه الحساب، فهي قصيدة ذات نفس صوفي تبرز فيها شخصية الكرسيفي وانفعالاته وهواجسه وقد نقلها ذ. عمر أفا في كتابه عن العلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي، ومؤلفاته الفقهية الكاملة ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (2006).

مضى عمري فزايطني شبابي
فلاح الشيب في صدغي وفودي
وجلل مفرقي سحلا فأضحت
وقد كانت ملابسه كليل
وبان نظري كلل ووهن
وأرهقني فكان اليسر عسرا
وآذن بالرحيل بلوغ سني
وصحبي قد مضوا جيلا فجيلا
كأنني بعد ما درجوا جميعا
غريبا لا أنيس له كئيبا
فيا أسفي على عمر تقضي
بلا عمل ينال به رضى من
فيا نفسي ألم يئن أن تتوبي
كريم لا يخيب لديه راج
رحيم محسن رؤوف حلیم
عزيز لا يضام عليه جار
بلى قد حان لي أن أتوب صدقا
وأرجع للكريم عساه يمحو

وبادرني الزمان بالانتهاب
كصبح لاح في شق الحجاب
غديرتي تحث على الخضاب
بهيم أو كأجنحة الغراب
يچار لدى معالجة الكتاب
زمني في ذهابي وفي انقلابي
لمعترك المنايا إلى المئاب
وصرت مخلفا خلف الركاب
طريد حل في أرض يباب
تعاهده الهموم بالانتحاب
ومر سبهلا مثل السراب
يجازي بالنعيم وبالعقاب
على مولى دعاك إلى المتاب
غفور للذنوب بلا ارتياب
عظيم العفو معتق للرقاب
رفيع القدر ممتنع الجناح
إلى من عنده حسن المئاب
ذنوبي أو يخفف في حساب

ومالي أن أصافي أم دفر
مقام لا يدوم به مقام
فيا مولاي قد عظمت ذنوبي
عليل القلب من درن ورين
فجئتك سيدي قلعا حزينا
بمنسجم من العينين هام
لتغفر ما جنيت من المعاصي
فظهر خالقي قلبي وقدس
بمغفرة تحيط بكل ذنب
وأمن روعتي كرما فإني
برحمتك التي وسعت خطايا
وبالخير اختمن عمري وسد
وعني فاقض دينا كنت فيه
بجاه المصطفى من أتاه وحي
وخاطبه الجهاد وكلمته
شفيع الخلق ملجأ كل عاص
عليه تحية كسحيق مسك

وما وزنت بأجنحة الذباب
وهل يرجى الثواء مع الخراب
وصرت من أجلها دنس الثياب
كليل البال من سوء اكتساب
ذليلا خائفا مس العذاب
ومضطرم من الأحشا مصاب
وتمنح ما رجوت من الثواب
فؤادي واكشفن رين الحجاب
وتذهب الشكوك والارتباب
نزيلك مدمن قرعالباب
جميع الخلق واصفح عن عتاب
مقالي في الجواب إلى الصواب
رهينا تحت أطباق التراب
من المولى وأكرم بالكتاب
ظباء القفر مع وفد الذئاب
زعيم الرسل في يوم الحساب
تفوح على الأقارب والصحاب

قصيدة في رثاء الشيخ لحسن بن عبد الله (بوتزكارث) للفقيه الشاعر عبد العزيز بن محمد ابن عمه .

هذه من إحدى القصائد النادرة لفقيه كرسيفي من القرن 11 هـ (17م) توفي عام 1077 هـ... وهذه القصيدة الهائية في الرثاء، يرثي فيها ابن عمه الشيخ الصالح الحسن بن عبد الله الكرسيفي المعروف ببوتزكارث بعد وفاته سنة 1074 هـ، والقصيدة تنم عن امتلاك الشاعر والفقيه عبد العزيز الكرسيفي ثقافة أدبية وشعرية واسعة، وهي قطعاً لن تكون قصيدته الوحيدة وفي أغراض أخرى غير الرثاء، لكنها كلها وصلنا من شعره وهي قصيدة هائية في أربعين بيتاً أوردها محمد المختار السوسي في معسوله الجزء "السابع عشر" حين ترجمته للشيخ لحسن بن عبد الله الكرسيفي .

نص القصيدة :

تسل عن الدنيا وان راق حسنهما	وعانق زهرها وزان سنهما
لا تغتر ببرقها وشروقه	فما هو إلا خلب في سماها
ولا تثق بوعدهما ولطالما	لها الخلف في الوعود أنت تراها
حلاوتها مر مذاقها وظل	ها زال ربي كذاك براهنا
فان هي أحست اسأت بأثره	وان أقبلت ولت بسلب عطاها
فكم فتكت بناسك تم نسكه	وكم من تقي رشقت بأذاها
فكم عالم أبدى الحقائق علمه	وأعجب فهمه سقته رداها
فكم من كريم كالسيول نواله	وكم باسل يسطو قرته عناها
كذا فعلها بالأنبياء فيا لها	كذاك بالأولياء دام جفاها

فكيف بها وقد دهننا بصرفها
لقد أضرمت نيرانها بكبودها
ثناء من الله الجليل بحمده
ملاذ الورى قطب الورى كاشف
سليل ولى الله طاب بجاره
فليس له فى الأولياء مثابه
وكم دعوة أحياء العباد بسرها
وكم نعمة أسدى، وكم ظلمة أضأ
لقد أشرقت أقطارنا بضياءه
وعشنا ورب البيت تحت لوائه
فمن العباد والبلاد ومن لنا
ومن هوللا سرار معدن سرها
ومن المحق المبين يقول—ه
ومن يخفض الجناح للخلق رحمة
ومن للقريب والبعيد زوره
وما سمعت أادانا مثل هممة
فلله دره براه الاله—ه
فليس لنا إلا الرضا بالقضا فما
لقد أظلمت آفاقنا بوفاته—ه
على مثله فليبك من كان باكي—ا
لقد بكت السما عليه وشمسها

وريب منونها لوا بصفاهها
وأبدت لنا حريقها ولظاهها
علينا بموت شيخنا ليضاهى
الردى (ببا الحسن) المحمود فوق ثراها
(له بركات اللهموم دواها)
هو الشمس إشراقا بوقت ضحاها
وكم كربة قد فرجت بشذاها
وكم غمة شفى فزال وباهها
وباهت به (كر سيفنا) ورباهها
دهورا طوالا سلما لعدادهها
إذا سلت الأهوال فينا ضباها
ومن هو للأنوار شمس علاها
ولا لومة فى الله يخشى عداها
ومرغوبه فى الله لا يتناها
بهمة العظمى دواء صداها
بها يعتلى وقومى فداها—ا
طبوعا على الخيرات حاز ذكاها
عسى تنفع الشكوى لنا وشجاها
وحق لها وهو الضيا وسناها
دموعا وبعدها ليك دماها
كذا بدرها والأرض طال بكاها

ولولا سلالة من النور بعده
كما أن صنوه أغيت به الورى
ولكن بفضل الله ربي وعونه
فهم كنجوم السعد إن كان غاربا
وصبرنا عنه تيقننا لــــه
مع الاوليا أسلافه توجوا الرضا
فيا ربنا في عزه وجلالــــه
أنلنا بهم رضاك في مقعد الرضا
عليه صلاة الله ثم سلامــــه

فأحيت رسومه لطاح علامــــا
خلائف صدق لا يحام حماهــــا
أقاموا مناره فباهى وزاهــــا
لنا النجم فالإكليل لاح سراهــــا
بدار النعيم ما ألد جناهاــــا
يروح ويغدو في الجنان ثواهــــا
لك العزة الكبرى استلذ رضاهــــا
بجاه نبينا الذي لا يباهــــى
مع الآل والأصحاب لا يتناهــــا

قصيدة الخلدية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

"للشيخ خالد بن يحيى الكرسي"

تقديم:

هذه إحدى القصائد المدحية المشهورة بسوس هي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتعبير عن الشوق إليه ألفها الشيخ خالد بن يحيى الكرسي في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري ولديه موشحات أخرى كموشحته في وصف الجنة: "نتيجة الإلهام في وصف دار السلام" ذكرها المختار السوسي في كتابه "سوس العالمة" وقال بأنها مثلوة ومشروحة عند الصوفية بسوس وقام بشرحها الفقيه حسين بن داود الرسموكي، وتسمى أيضا بالتوحيدية لأنها تنتهي في كل أبياتها بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله". أما هذه القصيدة فتعرف بالخلدية وتلى بجامع أكرسيف واسكاور في مناسبات المولد النبوي الشريف ولها ترجمة بتشليح لم نعثر عليها، والشيخ خالد صاحب هذه القصيدة المدحية من كبار شيوخ التصوف بسوس وأحد متصدي مشيخته بالزاوية والأسرة الكرسية وحياته ومناقبه مذكورة في عدد من كتب المناقب والطبقات من ضمنها طبقات الحضيكي ومناقب الباعقلي ووفيات الرسموكي وبشارة الزائرين للكرامي ودوحة الناشر لابن عسكر الذي عده من مشايخ التصوف السني الشاذلي (656م) في القرن العاشر، ومعلوم أن مدرسة الشاذلي سنية ينتهي سندها عند الجنيد (297هجرية) وعنهما تفرعت الجزولية لمحمد بن سليمان الجزولي (870هجرية) صاحب دلائل الخيرات المشهور والذي كانت زواياه وراء دعم الحركة الجهادية ضد الاحتلال البرتغالي لبعض سواحل المغرب كما دعم حركة الإشراف السعديين والشيخ خالد بن يحيى، عاصر الجزولي وينتمي إلى نفس الخط الصوفي وكان لهما نفس الإقبال والإكثار من الأذكار والصلوات على النبي صلى الله عليه

وسلم ومدحه وحبه وقصيدة الشيخ خالد نموذج من هذا التعبير عن حبه
ومدحه للرسول والإكثار من الصلاة والثناء عليه.

نص القصيدة :

والثنا طول الدوام	الصلاة والسلام
خير مولد محمد	على شافع الأنعام
ابتدي بذا المقال	بسم الله ذي الجلال
سيد الخلق محمد	أنسج مدح الرسول
بالحروف المعجمة	أنسجه في الأبيات
أجد فضل محمد	فعسى عند الوفاة
أحمد خير الأنعام	أصلي على الإمام
خاتم الرسل محمد	نائل أقصى المرام
وتوالت البشارات	بها فاهت الجمادات
بولادة محمد	وتعالت النغمات
مذ أتى بدر التمام	تواري سدل الكلام
سماه الله محمد	أحمد نور التهـمام
للدوا اشتد احتياجي	جال دائي في ألمـزاج
دوائي عند محمد	قال لي طب العلاج
بيننا قفر البوادي	كنت في أقصى البلاد
طار قلبي لمحمد	فانتدبت للـوداد
في الأصيل والغواد	سيروا يا أهل الوداد
كي نزور قبر محمد	ننطلق مع الجواد
رحمة خير العباد	عنده قلبي ينـادي
حبيب الله محمد	مصطفى من في البلاد
كوكبان والقمر	روضة فيها الفخر

فعتيق وعمـــــر
زرت في أرض الحجاز
أرتجي يوم البـــــراز
طال شوقي وانتحابي
يثرب زين الرحاب
طيبة خير البـــــلاد
من معا طب الأحفاد
كهلال في الظلام
أنت يا أبا القاسم
لاح نور من تهام
والظراب والآجام
نور الكون البشير
والمقتبس المنير
نارت السبع الطباق
والفضاء والأفق
صلصلت عند البلاد
كلها طرا ينـــــدي
ضج من في السماوات
بجميل الصلوات
عزه باري النســـــم
واجتباه في القســـــم
غرة كما الهتلال
ذو البهاء ذو الكمـــــال
فسكان السماوات

ضاجعان مع محمـــــد
طيبها أعلى الطـــــراز
أرد حوض محمـــــد
لمدينة الأحباب
فيها من أهوى محمـــــد
ريحها تجلو فـــــوادي
تربها ضم محمـــــد
وجه صاحب الأعلام
سيد الرسل محمـــــد
في الربى وفي الآكام
بضيا وجه محمـــــد
والمبشر والنذير
لألا نور محمـــــد
والبهار العوامق
بسنا وجه محمـــــد
نغمات في النـــــوادي
بالصلاة على محمـــــد
بترادف اللغـــــات
والثنا على محمـــــد
سماه أبا القاسم
بلعرك يا محمـــــد
وجهه نفس الجمال
خليل الله محمـــــد
تنادي بالبشارات

منذ اتى ذو المعجزات
فارتدى حسنا كمالا
يصفح صفحا جلالا
ستروا عند الزحام
ينجلي كرب الأنام
شافع أهل الزلل
فالكللم ذو الخصال
هو صاحب الأعلام
أحمد عالي المقام
وجهه وجه مليح
يوم يرعب المسيح
لواء خير الرسل
والكللم ذي الخصال
يرتجي بذا المقام
خالد أسمى المعالي
يا الله يا ذا الجلال
من فضائح الأعمال
وأعود بالصلاة
فعسى عند الوفاة
صلاة طول النهار
والسنين والشهور
والرضاء بالتمام
عتيق وذي الأحكام
علي أبي الحسن

حيب الله محمد
محياه يتى الألاء
ربنا على محمد
جاء محمود المقام
بشفاعة محمد
وكذا أهل المعالي
يستجير بمحمد
شافع يوم القيام
فضل الله محمد
منذ ناله المديح
ويشير لمحمد
تحت جسم الخليل
شرف الله محمد
ذو الخطأ ذو الزلل
ينظر وجه محمد
نجني يوم السؤال
بحق النبي محمد
على صاحب الآيات
أجد فضل محمد
والليالي والدهور
ترد قبر محمد
عن الأصحاب الكرام
عثمان صهر محمد
فاضل عذب اللسان

ابن عمه لمحمد	مبيد أهل الأوثان
كلهم حازوا الشرفاء	والست بعد الخلفاء
تبعوا قول محمد	هم السادة الحنفاء
كلهم حازوا المعالي	والصحاب بالتوالي
بشريعة محمد	طرزوا صلح الأعمال
زينوها بالأفعال	صدقوها بالمقال
سلكوا نهج محمد	كل محمود الفعال
والدعاء والثناء	زيدوا زيدوا بالرضاء
يشر وفد محمد	فعسى بعد اللقاء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قصيدة نتيجة الإلهام في وصف دار السلام للشيخ خالد بن يحيى الكرسيقي:

تقديم:

هذه قصيدة أخرى للشيخ خالد بن يحيى الكرسيقي السابق الذكر تسمى بنتيجة الإلهام في وصف الجنة التي هي عنده دار السلام وتنتهي كل أبياتها بكلمة التوحيد لا إله إلا الله... وهي قصيدة نادرة، عثرنا على نصها في مخطوط بالمكتبة الوطنية، مشروحة من طرف أحد معاصري - الشيخ خالد - وهو الفقيه حسن بن داوود الرسموكي، من القرن 10 هـ، وكتب في مقدمة شرحه لهذه القصيدة: «وبعد فإن بعض الإخوان في الله، طلبوا مني، شرح ألفاظ نتيجة الإلهام في وصف دار السلام على ما صنفها ونظمها عليه الزاهد التقي الورع الشيخ خالد بن يحيى الكرسيقي ثم الجزولي برالله ضريحه وجعل دار النعيم مثواه». والقصيدة التوحيدية هذه في وصف الجنة (دار السلام)، وأهلها وملذاتهم وطعامهم وأترابهم (الخور العين) والترحيب الذي يلقاه الداخل إليها من عباد الله المؤمنين الزاهدين، وسنقتصر على بعض الأبيات منها لطولها. وهي قصيدة تكشف عن جوانب من الفكر الصوفي السني التوحيدي، للشيخ خالد الذي يستلهم تصوف الشاذلي خاصة في تأكيده على مبدأ التوبة، والمداومة على الذكر والتوحيد./.

مجموعة من الأبيات من قصيدة نتيجة الإلهام في وصف دار السلام.
"لخالد بن يحيى الكرسي في"

يا عبـاد الله توبوا إلى الله وتولوا بالله	لا إله إلا الله
عمدة مقصودة في هذا الإنشاد	لا إله إلا الله
واصغ للإنشاد بفهم الفؤاد واجهر بالتوحيد	لا إله إلا الله
عسى رب الجود جاد بالتوحيد في آخر الميعاد	لا إله إلا الله
أصف بأنشادي نعم الجواد في دار الخلود	لا إله إلا الله
أسعد أول الترحيب من بعد الحساب زوال الحجاب	لا إله إلا الله
تباشر أسوارا عن دار الخلود ترامن بعيد قصر مشيد	لا إله إلا الله
أسوار أعجبا دورت رحابا تدوير أعجبا	لا إله إلا الله
عليت الأسوار تذهب بالأبصار	لا إله إلا الله
ما بين الأسوار واسعة السمار لحكمة الباري	لا إله إلا الله
في ضلال الأشجار وأصفان وأبكار تبشر الأبرار	لا إله إلا الله
لا تحكي بالأخبار، ومداد الأخبار، بشارت الأبرار	لا إله إلا الله
في شطور الأنهار قصور وأشجار، وصفوف الأزهار	لا إله إلا الله
صور العقيان. وأصناف المرجان. مختلف الألوان	لا إله إلا الله
أبيض، وأحمر، وأدعج، وأصفر، أزرق، وأخضر	لا إله إلا الله
علبة الأنوار. جواهر الأنوار. كشمس تزهر	لا إله إلا الله
وأبرج تسطع وبنود تلمع، ونغم تسجع	لا إله إلا الله

لا إله إلا الله	إذا قطعوا الميدان، والحيطان، والوديان، وصلوا البيبان
لا إله إلا الله	أبواب الحواضر تضيء كالزاهر، تخطف الأبصار
لا إله إلا الله	واسعة الأكناف مكتوبة الأطراف تشهده الأعراف
لا إله إلا الله	فاضت العنابر كما في الأخبار، ما شمها فاجر
لا إله إلا الله	قدم الغياب وفتح الباب والتقا الأحباب
لا إله إلا الله	عند فتح الباب يلتقي الأحباب نسمع الترحيب
لا إله إلا الله	نسمع التحميد شكرا والتمجيد للرب المعبود
لا إله إلا الله	وتلك الأتراب لعبد منيب تائب أواب
لا إله إلا الله	خذ قولا صحيحا وتوبة نصوحة وكن عبدا صلوحا

نموذج لتراجم الكرسيفيين ومسار عالم سوسي عبد الله شاكر الكرسيفي كما ترجم له محمد المختار السوسي

تقديم:

عبد الله شاكر الكرسيفي عالم وفقه كرسيفي ولد (1924م) وتوفي سنة 1998م، وهو من الفقهاء الذين تكونوا ودرسوا في مدارس ومساجد سوس كمدرسة تازموت، والمدرسة البومروانية إلخ. كما اشتغل في بداية مساره بالتدريس في هذه المدارس والمساجد قبل أن يلتحق بالقرويين وذلك في فترة الحماية ليتخرج منها (سنة 1375 هـ - 1955م) لينخرط في التدريس بماسة ثم فاس فتارودانت بالمعهد الإسلامي الذي أسسته جمعية علماء سوس، وذلك سنة 1959 ومما كتبه ذ. المتوكل عمر الساحلي عن دافع التحاق الكرسيفي بتارودانت التحق (...) ذ. عبد الله الكرسيفي بطلب من الجمعية وقد تخرج بفاس سنة 1955، واستطاب المقام بها وبقي أستاذا في القرويين بعد تخرجه وكان يستثقل الانتقال منها إلى المعهد الإسلامي الذي ما زال في طوره الابتدائي، وفي بداية طوره الثانوي، وكان المرحوم عبد العزيز الماسي يلح عليه دائما في ضرورة التحاقه بالمعهد، ويقول له في كل مناسبة تجمعها بحضورنا، أن فاسا لا تحتاج إلى العلماء وإنما سوس هي التي تفتقر إلى من يعلم أبناءها ويأخذ بيدهم ويرشدهم إلى الطريق، وكثيرا ما يباسطه ويقول: "أما إذا آثرت البقاء في فاس فإننا سنعدك عاقا لسوس"، وأخيرا نزل الأستاذ عند رغبة الجمعية والتحق بالمعهد في أكتوبر 1959، [المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت، الجزء الأول، صفحة 165/166]، وكان الكرسيفي مؤسسا وعضوا في كل من جمعية علماء سوس ورابطة علماء المغرب، كما تولى رئاسة المجلس العلمي لتارودانت وأكادير وعمادة كلية الشريعة منذ تأسيسها حتى سنة 1985، كما عين عضوا في الأكاديمية الملكية وفي

المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ، وفي كتابه المعسول (ج17) أنجز، المؤرخ محمد المختار السوسي ترجمة للفقير عبد الله شاعر الكرسيفي نقدمها كنموذج للترجمات التي قام بها محمد المختار السوسي لعلماء هذه الأسرة ممن عاصرهم كمحمد العثماني وأخيه محمد العثماني والقاضي الحبيب الكرسيفي (من آل العالم) وغيرهم ... وترجمة الكرسيفي التي وردت في المعسول (الجزء17) (ص 52-55) صرح م. المختار السوسي بأنها أمليت من طرف الكرسيفي نفسه، وعموما فالأستاذ عبد الله الكرسيفي هو نموذج للفقير السوسي الذي تجاوز إطاره ومحيطه المحلي إلى الوطني يتضح ذلك من المهام والأدوار التي كان يقوم بها في عدة مؤسسات على المستوى الوطني معبرا بذلك عن طموح هذه الفئة وتطلعاتها الاجتماعية، كما أوضحنا ذلك في جزء من هذا الكتاب حين تحدثنا عن علماء سوس بين المحلي والوطني، حيث استطاعت هذه النخبة العاملة الانتقال إلى التنظيم والمبادرة بتأسيس جمعية علماء سوس، والمعهد الإسلامي بتارودانت وكان لتأثير محمد المختار السوسي دوره في هذا الانتقال مما يؤثر على حصول تغييرات في أوضاع وأدوار هذه النخبة التقليدية التي حاولت من خلال مبادراتها استعادت مكانتها وأهميتها في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في مغرب ما بعد الحماية، فترجمة السوسي للكرسيفي تفيدنا في تحديد ثقافة ومسار تكون فقيه في محطاته الأساسية من قريته بأكرسيف حيث حفظ القرآن وتلقى تعليمه الأولي على يد والده، وكتاب أو مسجد القرية، ثم انتقاله إلى المدارس التقليدية، وملازمة شيوخها وأساتذتها كالمدرسة التازموتية والبومرواوية. وبعدها ولوجه مهنة المشاركة (التدريس في المساجد) - لرتاش - كما قال السوسي: " الأسرة بها يأتيها من أجرة المشاركة " (المعسول ج17 ص53)، وبعدها سيحقق نقلته خارج المؤسسات التعليمية ببوادي سوس ليلتحق بالقرويين بفاس لاستكمال تعليمه لأن الطالب السوسي يحتاج لإضفاء القيمة على علمه بالرحلة للأخذ بفاس وشيوخ العلم بها ... ثم في ماسة والعودة إلى فاس للتدريس بها ثم الانتقال إلى

معهد تارودانت وهكذا في مسار تصاعدي ارتقى الفقيه السوسي من المحلي إلى الوطني ومن الأطراف والهوامش إلى المراكز، وهي سيرة ذاتية وعلمية تخص جيلا بكامله من علماء سوس وبواديها الذين يشتركون في التكوين الذي تلقوه في البادية، ومدارسها واستكمال أغليبتهم تعليمه بفاس وتحلقهم حول المختار السوسي الأستاذ والمؤطر، وتأسيسهم لجمعيتهم "جمعية علماء سوس" وانخراطهم في المشروع الثقافي والإصلاحي والتربوي لإحياء وتجديد التعليم الديني بسوس خوفا من اندثاره ودفاعا عن مكانة العالم الديني.

عبد الله شاكر الكرسيفي : حياته وترجمته نقلا عن المعسول ج 17

"نكتب ترجمته كما أملاها من فيه.

ولد سنة 1342 هـ، ومسقط رأسه قرية (أكرسيف) الشهيرة في قبيلة أمانوز وهي في الحقيقة بين قبائل امانوز وأملن، وهناك حفظ القرآن على والده في دارهم، وكان والده تاجر مع اشتغاله بتعليم أولاده في الدار ختم عليه خمس ختامات ونصف، وقد توفي أخيرا في 22 ذو القعدة عام 1383 هـ، ثم مسجد (تازكا) وهو ابن عمه المترجم، ولم يبطيء عنده، وعن الأستاذ الشهير بالإقراء الحاج المحفوظ الكرسيفي في الجامع العتيق مسقط قريته، وهو لا يزال حيا الآن سنة 1380 هـ، (كان ذلك حين كتبت هذه الترجمة) وهو مكب على تعلم كتاب الله، وقد كان أيضا يعلم العلوم، لأنه من الآخذين عن الأستاذ مبارك البعقلي نزيل هشتوكة، وقد رزقه الله تيسير الحفظ في القرآن على يده، حتى عد من حفظوا على يديه وحده بأزيد من مائتين، وقد كان بعدما أخذ عن سيدي مبارك مشارطا في مسجد من (أيت بلفاع) ما شاء الله، ومن أشياخه في القرآن السيد ياسين بن إبراهيم أستاذ في إحدى المساجد البلفاعية، وقد ذكره المانوزي من الذين لاقاهم في أوائل رحلته كما يوجد في (الجزء الثالث) من هذا الكتاب، وقد توفي سيدي ياسين بمرض، أوائل 1341 هـ، وقد كان أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن عبد الله

الكثيري بعض الفنون ثم استتم المترجم حفظ القرآن في مسجد قريته وهو مسجد كبير عن الأستاذ سيدي عبد الله بن الطاهر بن الحاج ياسين الواسخيني وهو آخر أساتذته في القرآن (وهؤلاء الواسخينيون مذكورون إن شاء الله في (القسم الثالث) من هذا الكتاب، وهو من تلاميذ أبي عبد الله الصوابي.

تعلمه للفنون:

اختتم حفظ القرآن حوالي 1355 هـ، ثم افتتح المبادئ عند هذا الأستاذ سيدي عبد الله الوسخيني، فاختم عنده الأجرومية والجمل وازواوى ولامية الأفعال، ثم انتقل الأستاذ إلى مدرسة - (تازموت) فانتقل معه خمسة من تلاميذه فيهم المترجم - فتبعوا عنده، فأخذوا التحفة والمقامات الحريية والفرائض في الرسموكية لازمة المترجم نحو سنتين.

وفي 1357 هـ انتقل إلى المدرسة (البومروانية) عند الأستاذ القانت الخاشع بركة العصر سيدي عبد الله بم محمد الايغشاني، فلازمه ملازمة الظل للجسد سبع سنين، مر فيها على جميع الفنون، كما هو العادة لغة ونحوا وعروضا وفقها وتفسيرا وحديثا، وكان المترجم يذكره بحسن الافادة وتفهم الدروس، ببركة جولانه وأخذه في الحواضر، وقد كان المترجم في طبقة العليا ملحوظا، حتى أنه ينيبه في بعض إلقاء الدروس.

في المشاركة:

في سنة 1361 هـ بين هذه السنوات البرمراوانية التي أمضاها في الأخذ اضطر للمشاركة في مسجد قرية (أكاديروول) في جوار (تارسواط) بأمانوز، - قبل أن يستتم السنة فارق المسجد في رمضان.

في القرويين:

في سنة 1365 هـ، اتصل بالشيخ الحاج حسن البعقلي في (البيضاء) فألزمه أن يستتم معلوماته في فاس، فكان ذلك أسعد إشارة على المترجم فانخرط في الثالثة

من الثانوي مندرجا في السنوات بكل نجاح، ثم يرسب في أية سنة حتى تخرج 1375 هـ سنة رجوع الملك من منفاه، وقد كان الامتحان التخرجي يتنكبه ذو الشعور الحسي إذ ذاك لأسباب خاصة والمترجم من المعتقدين للشيخ الحسن البعقلي رحمه الله.

في ماسة:

في هذه الفترة التي اكفهر فيها وجه المغرب التحق ب(ماسة) فتكون على يده هذا الفرع الذي اشتهر الآن بأنه فرع المعهد الروداني هناك، فقد كان أول من بث الفكرة لذلك في ذلك الوادي، وقد بقي هناك عشرين شهرا، ثم تقدم للامتحان في التخرجي فنجح.

في أستاذية القرويين:

تعين أستاذا في الحين في تلك الكلية، حيث لا يزال إلى الآن مفتتح 1379 هـ وهو ينوي أن ينتقل إن يسر الله إلى (تارودانت) في المعهد (ثم نفذ ذلك وشيكا وهو الآن في المعهد وقد توجه اليوم إلى (بيروت) ثم إلى أداء العمرة والرجل فريد في تدينه بين أقرانه).

إجازته:

المترجم من الذين لا يزالون يعرفون للماضي جلالته وحرمته في كل ناحية، خلقا ودينا وعزوفا وتبركا بالآثار، ولذلك توصل بالإجازات من أشياخه الأستاذ محمد بن عبد الرحمن العراقي، والأستاذ سيدي الجواد الصقلي، وسيدي عبد العزيز بن أحمد بن الخياط وسيدي عباس بناني وسيدي العربي بن إدريس الشامي، وسيدي أبي بكر جسوس، وسيدي الحاج أحمد بن شقرون، وسيدي مزوز، وسيدي الطايح بن الحاج ومولاي التقي العلوي، وسيدي محمد السراج، وسيدي محمد بن عبد السلام الطاهري محرر الإجازة، ثم عطف عليه الآخرون، ومن أخذ عنهم الأستاذ عبد الله الداودي، والموقت سيدي محمد العلمي الفلكي،

وسيدي محمد بن عبد القادر الصقلي والعلامة السائح الرباطي، كما أنه أخذ قليلا عن سيدي المدنس بن الحسيني بعض الدروس، والمترجم ممن لهم ولوع بأذكار من الأحمديّة يواظب عليها، يستولي عليه الخشوع والبكاء، ويحافظ على صلواته في الوقت فيما رأيناه منه، كأنه ليس من جيله، (أكرر هذا وأكرروه) مع أنه غير متجهم بل ينبسط في مجالسه.

الفقيه والشيخ الحاج الحبيب مدرّس تنالت: بقلم محمد العثماني الكرسيّفي الاسكاوري.

تقديم:

أسرة العثماني هي أسرة كرسيّفية استوطنت أسكاور بأملن ناحية تافراوت بإقليم تزنيّت ، فهناك بأسكاور، استقرت بعض العائلات الكرسيّفية، وبرز فيها علماء وصلحاء تصدروا التعليم في مساجد ومدارس سوس ومن ضمنهم أسرة العثماني عبد الله بن محمد (1302هـ - 1388هـ) الذي كانت له اهتمامات بالتاريخ واعتمده المختار السوسي في تأريخه للأسرة الكرسيّفية وأفاده كثيرا في هذا الباب كما اعترف بذلك السوسي، إضافة إلى أنه كان - كما قال عنه السوسي - من أصحاب الشيخ الالغي أي أنه كان من مريدي الزاوية الدرقاوية الالغية. وهو ممن كانوا ضمن الوفد القبلي التملّي الذي توجه إلى تزنيّت لدعم الهبة وحركته الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي في الجنوب المغربي في بداية العشرينات والثلاثينات، وقد كان لهذا المؤرخ عناية كثيرة بتعليم أبنائه حسب ما هو معتاد في الأسر العلمية السوسية التي تسعى إلى أن يتوارث فيه العلم الديني وفي هذا الإطار برز ضمن هذه الأسرة كل من محمد بن عبد الله العثماني (1922م - 1984م) وأخيه محمد بن عبد الله العثماني كلاهما أخذ القرآن ومبادئ العربية من والده انتقلا في عدة مدارس ليستقرا معا في مدرسة "تنالت" عند الشيخ الحبيب (الحاج الحبيب) وهي مدرسة اشتهرت مع هذا الشيخ في آيت صواب بإقليم "شتوكة آيت بها" وهي نموذج للمدارس العلمية بسوس التي اشتهرت كمؤسسات لتعليم العلوم الدينية وقد جمع الحاج الحبيب بين التعليم والتصوف والجهاد وكانت له مواقف جهادية وطنية ودينية ضد الاستعمار الفرنسي بسوس. وقد لعبت شخصية الحاج الحبيب دورا أساسيا في التكوين الديني والصوفي

والعلمي لجليل من فقهاء سوس - إلى جانب تأثير المختار السوسي - وكان من ضمن تلامذة الشيخ محمد العثماني وأخيه أحمد العثماني اللذين لازماه ودرسا على يديه لسنوات في مدرسة "بتانالت". وخصه كل منهما بقصائد شعرية وبكتابات تبرز مكانته العلمية والدينية... وفي هذا السياق كتب أحمد العثماني عنه في مجلته الكلمة التي كان رئيس تحريرها في العدد الأول السنة الأولى 1972...، مقالا تحت عنوان علماء مجاهدون : العلامة الشيخ الحاج الحبيب أستاذ مدرسة تنالت وكان من ضمن مما أعجب به العثماني في شخصية أستاذه وشخصه هو كونه جمع بين التعليم والتصوف، والزهد، والجهاد، وقد نقل له ذ. محمد المختار السوسي بعض القصائد الشعرية والمراسلات مع شيخه الحاج الحبيب (أنظر المعسول ج 17 ص 178-179) والأستاذ محمد العثماني - توجد ترجمته بالمعسول - ويصفه السوسي بأديب سوس (ولد سنة 1338هـ) ومثله مثل الكرسيفي عبد الله شاعر سلك نفس المسار التعليمي من أخذه أولا عن والده ثم التحاقه بعدة مدارس في "تمكيدشت" و"تنالت" ثم التحق بالقرويين بفاس حتى 1359هـ وطرده منها من طرف إدارة الحماية لينفى الى مسقط رأسه وليشارط بعدها مدرسا في عدة مدارس في "أملن" و"تاسريرت" ثم بعد الاستقلال اشتغل بالتعليم في الدار البيضاء وأكادير ليلتحق بالمعهد الإسلامي بتارودانت سنة 1961 وكان وراء إطلاق حملة لجمع التبرعات والدعم المالي لاستكمال بنايات المعهد فيما أسماه ذ. المتوكل عمر الساحلي بمشروع الأساتذة بالمعهد الإسلامي وسمي "بمشروع العثماني"، حيث تنازل أساتذة المعهد عن مرتبهم الشهري لمواصلة بناء المعهد. (أنظر المتوكل عمر الساحلي المعهد الإسلامي بتارودانت : ص 255). وفيما يلي المقال الذي كتبه ذ. محمد العثماني عن شخصية الحاج الحبيب ، نقلا عن مجلة الكلمة التي كان يصدرها ويرأس تحريرها، ويعكس هذا النص جانبا من ثقافة هذه النخبة التقليدية السوسية، من حيث هي ثقافة تقوم على إعطاء الأهمية للمشيخة العلمية والصوفية كأبوة توازي الأبوة البيولوجية.

النص:

العلامة الشيخ الحاح الحبيب أستاذ مدرسة تنالت: "بقلم محمد العثماني"

- عالم وقف نفسه على التعليم أزيد من 60 سنة فخرج عشرات من العلماء.
- درس مع الطلبة صحيح البخاري أكثر من خمسين مرة.
- بسط طريقة التدريس بالاختصار على شرح المتون، حتى لا يمل الطلبة قبل أن يستوعبوا الفنون.
- صوفي يعكف على العبادة خارج أوقات الدرس، ويختتم القرآن في ركعتين قائما.
- مجاهد شارك في الدفاع عن البلاد، وأعان آل الشيخ ماء العينين حين أعلنوا الجهاد.

اعتاد الناس ألا يذكروا بكل الخير إلا موتاهم الأخيار، ودرج الباحثون على إغفال الفضلاء من الأحياء، فلا يتناولونهم بالبحث إلا لماما، ويقتصدون في الإشادة بفضلهم وبتاريخهم وإن كان حافلا، وكانوا ممن صنعوا التاريخ أو شاركوا في صنعه، ومن تعرض من الدارسين لأحدهم سار في بحثه على استحياء، أو جار في سيره مع العواطف والأهواء، لأن الحياة تقوى غريزة تنزع البقاء، والمعاصرة تمنع المناصرة كما يقال. في إقليم سوس علماء مجاهدون كانوا صامدين في واجهتين: في واجهة الجهل عدو الإنسان في كل زمان ومكان، فنشروا الدين ورفعوا منار الهدى، وعلموا الجاهلين حتى نقلوهم إلى مراتب العلماء، ورزقهم الله حلاوة الإرشاد والتعليم المجاني، ونعمة الإخلاص في ذلك، فبارك الله في علمهم فكان نافعا، وبارك في عملهم مثمرا، وبارك في أوقاتهم فكانت كافية لأداء واجب الدين والدنيا، ومراعاة حقوق الله تعالى وعباده المؤمنين.. ثم في واجهة الدفاع عن البلاد ومقاومة أعداء الدين على قدر ما استطاعوا، وما لديهم من

الوسائل المادية والمعنوية، فلم يبخلوا بجهد في سبيل الله، ولا ادخروا جهودا يبذلونها في الدعوة إلى إعلاء كلمة الله فصبروا وصاروا صامتين محتسبين. علماء مجاهدون صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فدرج منهم من درج تاركا وبقي منهم من بقي ثابتا على مبدئه قابضا على دينه، لم يتنكر لواجبه في عهد، ولم يتغير سلوكه في يوم، فلا الزخارف الصارحة تستفزهم، ولا الحضارة الزائفة تغرهم، ولا المذاهب الزائفة المقنعة تصرفهم عن المذهب الواضح المستقيم الذي اختاروه لأنفسهم - ونعم ما اختاروه - منذ كانوا يتلقون مبادئ التربية الإسلامية في معاهد كتاب الله تعالى وهدى رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه. من هؤلاء العلماء المجاهدين الباقين شيخ الجماعة شيخ الجماعة العلامة الصالح الحاج محمد الحبيب البوشواري أطال الله بقاءه. (متوفى حاليا)

فمن هو هذا المجاهد؟

ينتمي الشيخ إلى أسرة آيت بوشوار، ومن آيت تاغرابوت منها، وتربى في جو روحي في بيت والده الصوفي الصالح السيد إبراهيم بن عبد الله، فكان لهذا الجو أثره العميق في سلوك ولده الذي غلب عليه الطابع الصوفي منذ صغره، فما زال هذا الطابع ينمو فيه حتى كان مثالا للصوفية الإسلامية العملية التي لم تنغلق على نفسها، ولم تتحجر في الطقوس التي أفقدت أكثر الطرق الصوفية روح الإسلام، ولا أغفلت واجبا من واجبات العلماء في التوعية ونشر العلم بالدرس والإقراء، وإرشاد السائلين بالوعظ والإفتاء. وبعد هذه التربية الصالحة وحفظ القرآن أخذ العلم عن جماعة من أكابر العلماء في عهدهم وقد كان أولاء العلماء جمعوا بين العلم والصوفية، ووفقوا بينهما، لأن الصوفية التي لا تجافي العلم ولا يجافيهما، بل هي - على هذه الصفة - ثمرة له، وهدف من أهدافه، مصداقا لقوله تعالى : "إنما يخشى الله من عباده العلماء". ونذكر من العلماء الذين أخذ عنهم الشيخ :

(1) العلامة السيد العربي بن إبراهيم "أوتودما نايت صواب" وهو والد الأستاذ الحاج إبراهيم بن العربي أستاذ مدرسة "آيت ميلك" الآن، وأحد تلامذة الشيخ الحاج محمد الحبيب الأولين السائرين على نهجه والمتأثرين بسلوكه.

(2) العلامة الطاهر بن محمد بن صالح الهشتوكي من "أداو محمد".

(3) الشيخ العلامة المجاهد الحاج عابد البوشواري أحد العلماء المجاهدين الذين كان لهم دور في مقاومة الاستعمار والدفاع عن البلاد، والذي سنكتب عنه إن شاء الله باعتباره من العلماء المجاهدين، توفي سنة 1352 هـ.

وقد قيل كثيرا : أن القدوة تؤثر في سلوك التلميذ أكثر مما يؤثر الدرس، وهو قول صحيح، بل هو أصح نظرية من نظريات فلسفة التربية وعلم النفس، فهل لهذه القدوة وحدها أثرها العميق في تربية أستاذها الحاج محمد الحبيب؟ أو هناك عوامل أخرى مضافة إلى هذه القدوة كانت - وهي مجتمعة - عاملا واحدا قويا صاغ شخصية الشيخ، وطبع سلوكه بذلك الطابع الذي لا يوجد نظيره إلا في بطون التاريخ وتحت صفائح القبور؟

الواقع أن الأثر الذي تركه الشيخ محمد الحبيب واضح لا شك فيه، ولكنه ليس وحده كافيا لتكوين هذه الشخصية الفريدة في الزهد والورع. وفي الغيرة على الإسلام وسنة الرسول الأعظم، والعمل بما يعلم، والنشاط في العبادة إلى جانب الدرس والمطالعة في علوم التفسير والفقه والحديث وفنون اللسان العربي، ثم في رفع راية الجهاد وقيادة القبائل وجمع كلمتها للدفاع عن الوطن ومقاومة الاستعمار الذي تكالب على ابتلاع البلاد في ثلاثينيات القرن الرابع عشر الهجري، فبادر إلى نشر دعوة الجهاد التي تزعمها الشيخ أحمد الهيبة للوقوف في وجه النصارى وصد غاراتهم التي وجهوها إلى جبال جزولة، والتي فشلت الواحدة تلو الأخرى حتى سنة 1352 هـ حين صرف الله عن البلاد ريح النصر، وتم احتلالها كلها، فاختفى الشيخ عن الأنظار سنة كاملة حيث هاجر إلى ناحية آيت باعمران التي وقفت دونها حملة الاحتلال الذي كان الشيخ قاومه.

قد تكون هناك عوامل أخرى لتكوين هذه الشخصية الإسلامية، فليس الشيخ وحده الذي أخذ عن الشيخ الحاج عابد، ولا كان وحده الذي تربى في جو روعي إسلامي في ذلك العهد الذي كان يزخر بعلماء الدين والدعاة إلى سبيل الله وإحياء الرسول الأعظم صلوات الله عليه.

وقد كان من العلماء الآخرين الذين أخذ عنهم في مراكز العلامة السباعي التكريوي محمد بن إبراهيم، والشيخ العلامة الكبير الحاج أحمد الجشتيمي الذي كان كوكبا لامعا في إطار علماء قصر جلاله المولى الحسن الأول.

كما أخذ بالإجازة عن الشيخ الشهير العلامة المجاهد ماء العينين، وأولاده الشيخ النعمة، والشيخ أحمد الهبة المجاهد، والشيخ مرييه ربه الذي خلف أخاه الهبة في رئاسة الجهاد.

أما الآخرون الذين أجازوه كتابة أو شفاه فليسوا قليلين ، نذكر منهم بالازافة إلى من ذكر:

- العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني الذي أخذ عنه في المدينة المنورة.

- الشيخ يوسف النبھاني الذي أخذ عنه في الشرق أثناء حجته الأولى.

- الشيخ حمدان التونسي أخذ عنه وأجازة في الحرمين.

هناك - إذن - عوامل أخرى لتكوين هذه الشخصية الإسلامية الفذة، وماهي هذه العوامل؟

أن من أوعر المسالك وأخطر النقط التي يضيع فيها الباحثون، أو يقفون لديها طويلا قبل أن يلمحوا إشارة خضراء للمرور، هي النقطة التي تنفذ بالباحث إلى شخصية ما، وتحليل خصائصها وتمييز ملامحها، والعوامل المكونة لها، ومن السهل على الكاتب أن يحلل ويعلل في ارتجاج وارتجال، ولكن من الصعب جدا أن يصيب الهدف، ويقف على الحقيقة التي قلما تظهر إلا مع التؤدة، وبعد

عناء غير مستطاع لكل دارس، لان الحقائق - رغم ظهورها - محجوبة يتوقف الكشف عنها على التجرد من فضلات العاطفة وفضول الكلام، ومن قناع التنكر للواقع والتعسف في تصوير الوقائع، وكل ذلك تكون الحقائق إزاءه من وراء حجاب، إلى ما يلزم مع إزالته من دفقة في التصويب، ونظرة فاحصة إلى مكامن الأسرار، وسبر أغوار النفوس.

وقد تتضح للباحث معالم الشخصية التي يريد الكشف عنها، والخطوط الكبرى لصورتها الذهنية، فيراها جلية في مجموعها، خفية في تفاصيلها الدقيقة، فيعاني فكره عسرا، وقلمه أسرا، وهو يحاول أن يضع لها بالكلمة المعبرة صورة متكاملة السمات، منسجمة الظلال والشيآت، ثم يحار - وهو يتخلص من ذلك العسر، وينفلت لسانه من رقة الأسر - في نقطة البداية وقد تشابكت الخطوط، وتشابهت الزوايا، وتعددت الدوائر والأبعاد: أين يبتدىء؟ وأين ينتهي؟ في أي خط يسير؟ وعلى أي زاوية يقف؟

وهكذا ترتسم على فكره وخياله علامات الاستفهام عريضة تمنع الانطلاق، كالعلامة الحمراء في مفترق الطرق حتى يجد مفتاح الشخصية التي يريد أن يجوس خلالها فيسير على هدى واتزان أو لا يجد ذلك المفتاح - مع شدة البحث ومعاناة الطلب - فيسير في اغتباط واعتساف -

هذا هو الشعور الذي وقعت تحت سلطانه وأنا أفكر واقدر، وفي جو هذا الشعور، وقد تهيئت الموقف حاولت أن أستعرض أهم العوامل التي أعتقد أن لها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في تكوين شخصية الشيخ الحاج الحبيب الذي ملا بالذكر الجميل بلاد جزولة من ثلاثينيات هذا القرن الهجري حتى اليوم، وكان فيها مثالا أعلى في الصلاح والجهاد والإرشاد، وقدوة مثلى للعلماء العاملين :

1 - نشأ الشيخ في بيئة محافظة حريصة على التمسك بالدين والقيم الروحية، كان العلماء فيها أعلى طبقة من طبقات المجتمع، مخصصين بالرتبة الأولى في

الاعتبار، متبوعين ينظر إليهم الجمهور بعين الاقتداء والاهتداء، مسؤولين عن التوجيه في الفتوى والحكم، وعن التربية ونشر العلم، مرابطين في معاهد العلم يربون ويعلمون، ويرغبون القبائل في الجهاد والدفاع عن البلاد وقد جمع العلماء آنذاك بين الاجتهاد في نشر العلم ومجاهدة النفس، فكانوا علماء صوفيين، لم ينقطعوا للعلم وحده، ولم يجمدوا في طريق القوم صوفيين متجربين، واعتقد أن هذه البيئة الصالحة تأثرت بمدرسة الإمام عبد الوهاب الشعراني الذي جمع بين العلم والتربية الصوفية، فكان يعلم ويربي في آن واحد وتخرج من مدرسته آلاف العلماء وآلاف الفقهاء. وفي هذه البيئة نشأ شيخنا الحاج الحبيب الذي بقي وحده المثال الوحيد الذي تنعكس عليه ملامح تلك البيئة وظلالها، والذي صح أن يدرج تحت قولهم: "الإنسان ابن بيئته".

2- ثم قدر له أن يأخذ عن شيوخ مثاليين في الزهد والتقوى. مع التضلع في علوم الدين وفنون اللسان العربي، فمن والده الصوفي المتجرد، إلى شيخه العالم المجاهد الحاج عابد البوشواري، ثم إلى الشيخ الكبير العلامة المجاهد الشيخ ماء العينين، المعروف بالتبحر في علوم الدين والإحاطة بمذاهب علماء الاجتهاد، وبأسرار طرق الصوفية، إلى العلامة أحمد الجشتيمي الذي يطلق عليه وحده آنذاك عن جدارة لقب "الفقيه"... إلى غير هؤلاء الذين لا يتسع المقام لذكرهم وكلهم ذوو نفوذ روحي عظيم، وتأثير قوي في تكوين الشيخ الحاج الحبيب الذي لا تمر مناسبة دون أن يذكر لطلبته موقفا من مواقفهم أو فضيلة من فضائلهم...

3- وكان للشيخ لقاءات مع رجالات العلم والدين في رحلته العلمية داخل البلاد، وفي رحلاته إلى الديار المقدسة، وكثيرا ما يحكي عن ذلك في انبساط وانشراح، فيزود الطلبة بما سمع من أولئك الشيوخ، وما ارتسم في ذهنه من ذكريات، وما أخذ عنهم من معارف يحفز بها طلبته إلى الاستقامة والتمسك بالنسبة... وقد كان الشيخ يوسف النبهاني من أولئك العلماء الذين أعجب بعملهم فأخذ عنه وأجازته، وقرأ كتبه ودواوينه التي حمل فيها الشيخ النبهاني على

المذهب الوهابي وعلمائه حملات عنيفة ... وكثيرا ما ينشد له في مناسبات أبياتا تروقه ، كقوله في رائيته الكبرى :

أجاهدهم ما دمت حيا، فإن أمت تركت لهم جيشين: نظمي ونثرا

4- وكان للشيخ عناية كبرى منذ البداية بكتب الصوفية، ودؤوب على مطاعتها، إلى جانب دراسة الكتاب والسنة.. ولا استوعب كل الذين قرأ لهم من أكابر الصوفية، ولكنني أذكر واحدا انعكست عليه جوانب من سلوكه، وكان الشيخ يذكره بكل إجلال وتكريم، أنه الإمام الشعراني الذي سبق ذكره، وقلت عنه هناك : أن البيئة العلمية في سوس القديمة قد تكون تأثرت بسلوكه وتعاليمه، وما ذكرته هنا بالإضافة إلى رواج كتبه في خزائن سوس القديمة قد تكون تأثرت بسلوكه وتعاليمه، وما ذكرته هنا بالإضافة إلى رواج كتبه في خزائن سوس ومدارسه يؤيد هذا الرأي.

هذه عوامل أربعة لها ما يكفي من التأثير في شخصية الشيخ الحاج الحبيب، ولكنها لا تكفي ولو اجتمعت - للتكوين الكامل لهذه الشخصية، فالبيئة وحدها غير قادرة على صنع الشخصيات، والالكان أبناء كل بيئة في مستوى واحد في الصفات والمميزات الإنسانية، وهذا مالا يثبت - رغم ما قيل - إلا في الفنون والسمات الاجتماعية المشتركة.

والذين أخذوا على أيدي العلماء الذين أخذ عنهم الشيخ لا يكادون يحصون، ولكنهم ليسوا سواء في المآثر والخصائص، وأكثرهم دون الشيخ في ذلك...

والذين رحلوا وحجوا واعتمروا وحصلوا على الإجازات، وفازوا بلقاءات رجالات العلم والدين كثيرون ولكن أكثرهم بقي كما كان لم يتأثر بأحد ممن لقيه وأجازه، كأنه لقح بلقاح المناعة ضد التأثير بالصالحين.

والذين نظروا في كتب الصوفية، وقرؤوا الطبقات والميزان للإمام الشعراني غير قليقين، ولكنهم لم يحضوا كلهم بمكان من طبقاته، ولا وزنوا قليلا أو كثيرا بميزانه.

شخصية الشيخ ذات ملامح خاصة.

- عالم وقف نفسه على التعليم منذ 60 سنة أو تزيد، فتخرج على يده أفواج من العلماء هم الذين يملؤون اليوم فراغ المدارس الدينية في بلاد جزولة، وكان منهم من انخرط في الوظيفة العمومية كأحسن الأطر في أهم أجهزة الدولة...

- درس صحيح البخاري أكثر من خمسين مرة لأنه يواظب على قراءته كله مع الطلبة في شهر رمضان من كل سنة.

- سهل طريقة التعليم على صغار الطلبة فدرّبهم على الاختصار على شرح المتون دون المبالغة في التعاليق حتى يمكن أن يستفيدوا ولا يملوا.

- صوفي يعكف على العبادة في الأوقات الخارجة عن الدرس، وفي رمضان يزداد قوة ونشاطا، ويقرأ القرآن كله في ركعتين قائما في ليلة سبع وعشرين..

- بكاء حين يتلوا آيات الإنذار والوعيد، أو يقرأ الأحاديث المتعلقة بالفداء والابتلاء للرسول وآله وصحبه.

- مجاهد قاوم أعداء الدين ما استطاع، فجاهد مع المجاهدين، وشارك في جمع الكلمة للدفاع عن البلاد، وأعان الشيخ أحمد الهية حين أعلن الجهاد، فكان كاتب سره الخاص مدة..

- زاهد في الدنيا وزينتها من مال وبنين، فلو أراد أن يكون غنيا لأثّل المال وأثرى..

- وبعد، فإن أهم عامل صنع هذه الشخصية الإسلامية - بالإضافة إلى العوامل السابقة - هو الاستعداد الفطري، والهداية التي يخصص الله بها من يشاء من عباده، وهي الهداية بالتي هي أقوم. بارك الله في عمر شيخنا، وأفاض علينا من بركته وصالح دعائه. (كان هذا قبل وفاة الشيخ).

1- جزولة : الفضاء الاجتماعي والثقافي لسوس العالمة كما يراه أحمد بن عبد الله العثماني الاسكاوري الكرسيقي.

تقديم:

تشكل جزولة المجال الجغرافي والثقافي والتاريخي لعلماء وفقهاء وصلحاء جزولة. فماهي جزولة؟ وماهي قبائلها؟ وماهي اللغة المعتمدة في التواصل اليومي من طرف الأهالي علما بأن اللغة العربية هي لغة الخاصة والفقهاء والنخبة، والتي يتم به التعليم والتدوين والكتابة؟ هذه بعض الأسئلة التي حاول ذ. أحمد العثماني الإجابة عنها في الباب الأول من كتابه الذي خصصه لألواح جزولة والتشريع الإسلامي : دراسة الأعراف وقبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي: والأستاذ أحمد العثماني هو أخ ذ. محمد العثماني الأديب وصاحب مجلة الكلمة السابق الذكر.. وتوجد ترجمة له: هو وأخيه في كتاب المعسول ج 17 لمحمد المختار السوسي (صفحة 160/161) وهو الآخر تلمذ على الشيخ الحاج الحبيب بتارودانت وشارط في عدة مدارس ولد (1922م/توفي 1984م) وكتب عنه ابنه سعد الدين العثماني ترجمة له في مدخل كتابة ألواح جزولة... - وللتذكير فإن سعد الدين هو طبيب وأحد قيادي حزب العدالة والتنمية، شغل منصب الأمين العام للحزب قبل مؤتمره الأخير ليشغل حاليا رئيس مجلسه الوطني... فماذا قال الابن عن الأب؟

ترجمة الأستاذ أحمد العثماني بقلم سعد الدين العثماني.

ينتمي الأستاذ أحمد بن عبد الله بن العثماني (1340هـ/1922م - 1404هـ/1984م) إلى أسرة علمية عريقة يوجد فروع لها في أماكن متفرقة من الإقليم السوسي. أنجبت العديدي من العلماء والصلحاء. وقد خصص لها الأستاذ محمد المختار السوسي أكثر من ستين ومائة صفحة في الجزء السابع عشر من كتابه التاريخي، "المعسول". وفي بداية ذلك التعريف قال الأستاذ المختار (ص. 43): "وبهذه

المناسبة يجب علينا أن نؤدي الحق لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها على حسب ما نعلم " إلى أن قال:

والله يوفقنا ويسدد خطانا حتى نؤدي ما علينا من حق أكيد لهذه الأسرة التي تسلسل فيها العلم والصلاح في "سوس" منذ القرن السادس إلى الآن. ولم أعرف الآن في المغرب أسرة تسلسل فيها العلم أبا عن جد في زهاء ألف سنة إلا هذه، والأسرة الفاسية بفاس التي عرفت أول عالم منها في أواخر القرن الخامس وهي مزية انفردت بها الأسرتان وحدهما.

وقد ذكر المختار السوسي من رجالاتها المعروفين بالعلم والتدريس أو بالصلاح قريبا من مائتي شخصية.

أما والد الأستاذ العثماني، فهو عبد الله السوسي، الجرسيفي أصلا (1302هـ/1968م) من فخذ الأسرة الذي استقر بأكرسيف، ثم بأسكاور من أملن بناحية تافراوت بإقليم تنزيت. كان فقيها معروفا بالصلاح. أمضى حياته في الإمامة والتدريس. لكن الأستاذ المختار السوسي ينوه أساسا بمعرفته بتاريخ المنطقة، ويقول عنه في "المعسول" (ج 17، ص. 159): "هذا هو مؤرخ الأسرة، وأنبه رجالاتها اليوم. وأنبه رجالاتها اليوم. وهو الذي يفيدنا بجميع ما نكتبه عن رجالات أسرته، وعن غيرهم في تلك الجهات، بل هو المؤرخ الوحيد الذي يقدر هذا الفن حق قدره، ولم نر له نظيرا في جزولة، مع تثبت وتبصر وصدق في النقل، وسداد في الرأي." ويقول عنه أيضا: "وهذا السيد آية الآيات في الاستحضار لكل ما كان طالعه، مع حرصه الشديد على الازدياد كل حين بكل جديد (...). وهو من أحبائنا نفعا الله به في ما نحن بصده". وكانت له صداقة خاصة مع الأستاذ المختار السوسي.

أخذ الأستاذ محمد العثماني القرآن الكريم والمبادئ العربية عن والده وهو بعد صغير. ودرس عليه وعلى علماء المنطقة بعض مبادئ العلوم الشرعية قبل أن

يلتحق بمدرسة "تانات" بأيت صواب (إقليم شتوكة أيت بها) عند الشيخ العلامة الحبيب بن إبراهيم البوشواري المعروف بالحاج الحبيب التانالتي، والمشهور بعمله وصلاحه. فلأزمه أزيد من ست عشرة سنة، من حوالي 1356 هـ إلى 1372 هـ. ودرس عليه مختلف الفنون مما كان متداولاً في المدارس العلمية السوسية آنذاك. ولم يكن العلامة الحاج الحبيب مجرد أستاذ لتلاميذه، بل كان لهم أيضاً شيخاً مربياً، وكان ذا نفحة صوفية، كثير العبادة والتهجد، جم التواضع، زاهداً، متفرغاً للتعليم والتربية والتوجيه. وكان المثل الأعلى في سوس كلها في الصلاح والعلم والجهاد ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وتخرج على يده أفواج من العلماء تميزوا بما نفخ فيهم من حيوية الإيمان، وقوة العلم، وتحرر الفكر...

وكان الأستاذ العثماني أحظى تلاميذ الشيخ عنده، ومن أكثرهم تأثيراً به. وقد كتب إليه بعد مغادرته لمدرسة "تانات"، رسائل تعكس إعجابه به وعرفانه بجميله عليه. ووجه إليه وقد انخرط الأستاذ وتثني عليه. وقد انخرط الأستاذ العثماني في فترة تلمذته بـ "تانات" في العمل الوطني، والتعبئة ضد الحماية الفرنسية. وكان هذا طبيعياً، لأن الشيخ محمد الحبيب كان من كبار الفرنسية إلى مسقط رأسه بتافراوت حوالي 1950 م. ولما سمح له بالعودة إلى مدرسة "تانات" التي يدرس بها، بقي مدة تحت الحراسة والمراقبة حتى لا يتصل بأحد. وابتداء من سنة 1953 م، عمل إماماً وأستاذاً بعدد من الجوامع والمدارس العتيقة بسوس، ثم حصل على شهادة العالمية من جامع القرويين في مارس 1958 م. وفي فاتح أكتوبر 1962 م، انتقل للتدريس بالمعهد الإسلامي بتارودانت. وهو المعهد الذي أسسته "جمعية علماء سوس" منذ سنة 1956 م، في إطار مشروع نهضة علمية طموحة بالمنطقة. وعلى الرغم من هذا الالتحاق المتأخر للأستاذ محمد العثماني بالمعهد، فإنه مما لبث أن قام بدور رائد في استمرار المعهد في أداء رسالته. ولما تأسست دار الحديث الحسنية بالرباط، كان ضمن أول فوج التحق بها سنة

1964. ونال منها دبلوم الدراسات العليا سنة 1971 بهذا البحث "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي" تحت إشراف الأستاذ علال الفاسي.

وقد تقلب بعدها في عدة مهام نذكر منها، بالخصوص، أنه كان ملحقا برئاسة جامعة القرويين بفاس في دجنبر 1966م لمدة سنتين، فمرشدا للطلبة الأفارقة في معاهد تارودانت وفاس ومكناس ابتداء من فاتح دجنبر 1969، فمكلفا بمراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحة وإحصائها ابتداء من سنة 1971، فأستاذا مساعدا بكلية اللغة العربية بمراكش ابتداء من 1973، ثم أستاذا محاضرا بكلية الشريعة بأكادير ابتداء من 1982 إلى حين وفاته.

ولقد كان للجوال العام السائد في منطقة سوس والتحديات التي عاشتها قبيل الاستقلال وبعده دور أساسي في توجيه اهتمامات وإنتاجه. فالمعروف عن سوس تشبث أهله الشديد بالدين، وعنايتهم بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها وتدريسها ونشرها والتأليف فيها. وقد أقام السوسيون لذلك حوالي مئتي مدرسة علمية، اصطلاح على تسميتها بالمدارس العتيقة. وكثير منها لا يزال يؤدي دوره الى اليوم على الرغم من هزال الامكانيات وقلة الاهتمام المعنوي والمادي.

ولقد ركزت الحماية الفرنسية منذ دخلت المغرب على فصل "البربر" - ومن بينهم سكان سوس - عن العرب، إثارة للفرقة بين المغاربة، وتسهيلا لإبقاء سيطرتها، ومحاولة لإبطال مفعول أي مقاومة لها. كما كانت تهدف بوضوح إلى سلخ المنطقة عن الإسلام، لأنه ضمان وحدة المغاربة، وموقد جذوة مقاومة الاستعمار.

ولقد كانت هذه السياسة الاستعمارية، وخصوصا ما اصطلاح عليه بـ "الظهير البربري"، المشعل الأساسي لمقاومة شعبية متصاعدة شملت القبائل الامازيغية كما شملت مختلف مدن وقرى المغرب. وكان لكل ذلك صده في ربوع سوس، فتجند علماءها وفقهاؤها لمواجهة مؤامرات سلطات الحماية بكل وسيلة.

وقد كان من أوجه تلك المقاومة تأسيس "جمعية علماء سوس" بمدينة مراكش في خامس أبريل 1953. وجعل المؤسسون رئاستهم الشرفية للأستاذ محمد المختار السوسي وهو آنذاك في معتقله بتنجداد في صحراء تافيلالت. وبقيت الجمعية تعمل في الخفاء بسبب الضغط الاستعماري إلى أن أعلن استقلال المغرب. وقد عملت الجمعية بعد ذلك وفق برنامج إصلاحي واسع ومتكامل ركز على تعليم المبادئ والأحكام الشرعية في المساجد والإسهام في عملية التوعية الشعبية، التي كان المعهد الإسلامي بتارودانت المذكور آنفا أهمها. كما رفعت الجمعية ملتمسات متتالية إلى الجهات المسؤولة مطالبة بالعمل على صيانة الأخلاق والقضاء على الفساد وإصلاح العدالة والتعليم، وتعميم اللغة العربية، وغيرها. وكانت أسرة الأستاذ محمد العثماني مجتهدة بقوة في مشروع جمعية علماء سوس. ونذكر، مثالا على ذلك، الوفد من علماء سوس الذي استقبلها جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955، وكان يضم 130 شخصية، كان من بينهم فقيهها محمد العثماني، ووالده عبد الله، وشقيقه الأكبر الأديب الشاعر محمد العثماني. وهذا الأخير هو الذي تلا كلمة الجمعية أمام جلالة الملك.

لقد كان لهذا الجو وهذه المعركة أثر بعيد المدى على تكوين الأستاذ محمد العثماني واهتماماته. ويمكن أن نختصر المحاور الكبرى لإسهاماته في مواجهة تأثيرات ومخلفات السياسة الاستعمارية المذكورة في أربعة محاور هي:

1 - إصلاح المدارس العتيقة بسوس: فقد كان من رهانات الفقيه العثماني إصلاحها وتجديد مناهج التدريس بها لتتواءم المكان العلمي اللائق بها وبماضيها. ولما من قبالة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل بمسؤولية "مراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحه وإحصائها"، قام بزيارة أغلب بزيارة أغلب تلك المدارس متفقدا ومرشدا. وترك عددا منها من التقارير التي تتضمن تشخيصا لوضعيتها واقتراحات مستفيضة لحل مشاكلها. ولا تزال تلك التقارير مرجعا أساسيا للعديد من الباحثين في الموضوع.

2 - الدفاع عن التعليم الأصيل: فلقد بقي الأستاذ محمد العثماني مكافحا عن التعليم الأصيل حتى لا يذوب في التعليم الرسمي ولا يهشم، وحتى لا تنقص فاعليته وجدته. وكان له دور رائد في استمرار رسالة المعهد الإسلامي بتارودانت؛ كما كان من الذين بذلوا أقصى جهودهم حتى تم إنشاء كلية الشريعة بايت ملول (عمالة إنزكان-أيت ملول). وقد تطوع هو ومجموعة من الأساتذة للتدريس بها مجاناً طيلة سنتها الأولى إلى أن سويت وضعيتها.

3 - بعث تراث سوس الإسلامي: لقد كان مما يقض مضجع العثماني أن يهمل التراث المخطوط للمنطقة، أن يحكم على كثير منه بالتآكل والاندثار على الرغم من أنه يضم ثروة علمية ضخمة تشهد لمساهمة علماء سوس في المحافظة على الإسلام وعلومه في هذا الجزء من أرض المسلمين. فصمم على العمل لبعث هذا التراث وإخراجه من دائرة النسيان، وجمعه باستنطاق الآثار وأفواه الرجال، والبحث عن المخطوطات في الخزانات المبعثرة هنا وهناك. لذلك جاب المنطقة، بحثاً عن مآثر العلماء وكتاباتهم في كل مكان حتى أصبح مرجعاً في تاريخ سوس وماضيها. وكان أشد ما يشكو من الذين يضمنون على الباحثين بما لديهم من وثائق ومخطوطات فلا يسفidon منها ولا يفيدون، ثم يتركونها حتى تتلاشى. فيقول، مثلاً، في حلقة من حلقات برنامجه الإذاعي "معالم من تاريخ سوس" في القطر السوسي خزائن لا تقدر بثمن. غير أنها في كثير من الأحيان في يد من لا يحسن صيانتها واستغلالها، والنفع والانتفاع بها. فكثير منهم يظن ويعتقد أن الوكاء عليها حتى عن الهواء من المبرات، وليس يعلم أن ذلك جناية عليها وعلى نفسه وعلى غيره تعدياً وظلماً، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

وكان أول إنتاجه في هذا المجال هذا البحث: "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"، ليثبت أن التشريعات التي كان يسير عليها أبناء المنطقة على مدى قرون، والتي تسمى الألواح أو الأعراف، كانت توضع بمساهمة علماء المنطقة، وأنها كانت مستمدة من الشرع الإسلامي.

وبعد أن قام بتحليل مضمون الألواح في ضوء الشريعة الإسلامية، استخلص عمق ارتباط التراث الفضائي للمنطقة بالدين. يقول: "إن الألواح يتحلى فيها روح الدين الإسلامي، وتهدف إلى ما يهدف إليه الإسلام من مقاصد تجعل الناس آمنين مطمئنين، متبعة في ذلك المصالح المرسله، والسياسة، والسياسة الشرعية وسد الذرائع وفتحها". وكان الأستاذ العثماني يضع خزانته، التي تتضمن العديد من المصادر والوثائق، رهن إشارة الباحثين وطلبة العلم.

4 - بعث الوعي الديني: فكان يقوم بمهام الوعظ والتوجيه التربوي والديني والإفتاء أساسا بالامازيغية (بتاشلحيت، لهجة أهل سوس) في المساجد والمنتديات، ومن خلال بعض البرامج الإذاعية، وخصوصا البرنامج الأسبوعي في الإذاعة الوطنية "إسقسيتن - ن - دين"، أي "أسئلة الدين". وهو البرنامج الذي كان يجب من خلاله على أسئلة المستمعين الدينية. وكان برنامجا ناجحا استمر أكثر من خمسة عشر سنة، من أواخر الستينات إلى تاريخ وفاته رحمه الله عليه. وعلى الرغم من أن لمرجنا قصائد شعرية، فإنها قليلة. فغلب عليه وصف الفقه مقابل غلبة وصف الشعر على شقيقه الأكبر محمد، فاشتهر هو بالعثماني الفقيه مقابل اشتهار أخيه بالعثماني الشاعر.

آثاره العلمية:

على الرغم من إن أكثر نشاط العلامة محمد العثماني يتلخص في التدريس في مختلف مستوياته وفي نشاط الوعظ والتوجيه الديني، فإنه خلف آثارا علمية متنوعة:

- 1 - ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، وهو هذا الكتاب؛
- 2 - معالم من تاريخ سوس، حلقات إذاعية مهمة بعرض جوانب من التراث العلمي والفكري لمنطقة سوس؛
- 3 - فتاوي دينية بالامازيغية، هي عبارة عن أجوبة على أسئلة المستمعين أذيعت في البرنامج الأسبوعي "إسقسيتن - ن - دين" بالإذاعة الوطنية بالرباط - قسم تاشلحيت؛

4 - تقارير حول المدارس العتيقة بسوس؛

5 - مجموعة من الخطب والمذكرات الشخصية.

توفي الأستاذ محمد العثماني بالدار البيضاء يوم 27 جمادى الثانية 1404هـ
موافق 30 مارس 1984م، وخلف من الأبناء سعد الدين، وفريد زين الدين، وثريا،
وتوفيق، وخالد، وصالح الدين.

ماهي جزولة؟

جزولة هي أحد أفخاذ البربر القديمة. وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا؛ كما كانت قديمة في هذه الناحية من المغرب.

وأمة البربر - التي تسكن مجموع الأقطار الإفريقية الممتدة من آخر حدود مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، إلى الصحراء جنوبا - يجمعها، باتفاق علماء الأنساب، أصلان عظيمان، وهما: برنس ومادغيس الملقب بالأبتر. وجزولة فخذ من أفخاذ البرانس. وبرنس والأبتر قيل: "هما أخوان لأب واحد، وهو بر بن قيس. وقيل: "بر من ولد مازيغ من ذرية حام؛ والأبتر من ولد بر بن قيس من ذرية سام.

وكلمة البربر قيل: "يو نانية، أصلها بارباروس. ومعناها: الصوت الذي يصدره الأثع، ثم صار علما على كل من لم يتكلم بلغة اليونان. وقيل: "مغربية لا صلة بينها وبين الكلمة اليونانية، وإنما معناها: الشعب المغربي الكنعاني الذي ينتسب إلى جده الأعلى الذي يسمى بر. وقال ابن خلدون: "إن إفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وإفريقية ورأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع وطانتهم، تعجب من ذلك وقال: "ما أكثر بربرتكم!، فسموا بذلك. والبربرة بلسان العرب هي: اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنه يقال: "بربر الأسد" إذا زأر بأصوات غير مفهومة.

أولا: الموقع.

وبعدما عرفنا أن جزولة هو أبو القبيلة، وأنه نزل أول ما نزل في مكان ما فسمي باسمه، نريد أن نبحث عن ذلك المكان أين يقع؟ ونحدده حسب طاقتنا، وحسب إمكانياتنا.

إن من المأسوف عليه أن المراجع لم تتحدث بتدقيق عن حدود موقع جزولة، وإنما تشير إليها كتب التاريخ القديمة - في غموض وإلهام - بما وراء جيل درن. وكتب التاريخ الحديثة تخلط بين جزولة الناحية وجزولة النحلة. الأمر الذي يجعل الباحث يرتبك ويضطرب، بالرغم مما بين المعنيين من بون بعيد، ومن تفاوت شديد. ونحن الآن لا يهمنا إلا جزولة الناحية، ولا نعرج على ما سواها، لأن له مجالا آخر غير هذا، ولأن بحثه هنا يؤدي بنا إلى الخروج عما التزمنا. أما جزولة جغرافيا، فإن أكثر المؤرخين تحقيقا وتدقيقا العلامة ابن خلدون. يقول في كتابه "العبر"، في عبا رات متقطعة تقممتها هنا وهناك، حين كان يدرس البربر وأفخاذها، وتحديد مواطنها، وتوزيع قبائلها ما نصه:

أ - "كزولة : بطن من بطون البربر، وجذم من أجذام البرانس".

ب - "أما كزولة، فبطونهم كثيرة، ومعظمهم بالسوس، ويجاورون لمطة ويجاربونهم".

ج - "وأرض سوس مجالات لـ كزولة ولمطة : فلمطة منهم مما يلي درن، وكزولة مما يلي الرمل والفقر".

د - "والأطلس الكبير يمتد من لدن البحر المحيط في الغرب، ويسمى مبدأه من الغرب: جبال درن".

ويقول الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه "قيام دولة المرابطين"، حين كان يوزع القبائل البربرية في مواطنها الخاصة ومضارها المعلومة، ما نصه:

أ - "قبيلة لمطة وجزولة تحتلان المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادي نون القريبة من المحيط الأطلسي".

ب - "وجزولة - كما نعلم - كانت تترل قرب جبال درن في قاصية المغرب".

ج- "جزولة قبيلة ضاربة في أقصى المغرب جبال درن".

د- "فتارودانت تقع على حدود المغرب الأقصى على مقربة من جبال درن".

هـ- "استطاع المرابطون في وقت قصير أن يجتاحوا إقليم السوس الأقصى. فاستولى على بلاد جزولة وبلدة ماسة، ودخلوا تارودانت عاصمة الإقليم، ثم عبروا ذلك النطاق الجبلي العظيم المعروف بجبل درن، عند أطرافه القريبة من ساحل المحيط".

ويقول الكانوني في كتابه "أسفي وما إليه"، ما نصه:

أ. "جزولة وهشتوكة مواطنهم السوس الأقصى إلى واد نون".

ب. "مدينة تارودانت موقعها بسفح الجبل الأطلسي"

وقال أبو القاسم الزياني في "الترجمة الكبرى"، وابن الموقت المراكشي في كتابه "مجموعة اليواقيت العصرية"، ما نصه "وأسس أمراء قبائل هشتوكة وجزولة مدينة رودانة ومدينة ماسة".

وقال القلقشندي في "صبح الأعشى حين كان يتكلم على جبال المغرب ما نصه: "ومنها جبال كزولة، وهي قبيلة من البربر. وابتدأؤه من البحر المحيط الغربي ويمتد شرقا". وهو بهذا قد أدخل الأطلس الكبير في جزولة ولم نطلع على قائل ثان يؤيده في هذا حتى هذه اللحظة.

ويقول صاحب "القرطاس" ما نصه:

أ- "ثم سار يوسف بن تاشفين حتى وصل إلى بلاد السوس، فغزا بلاد جزولة، وفتح مدينة ماسة ومدينة تارودانت؛

ب- "والسوس الأقصى من جبل درن إلى بلاد لول" وقال جاك مونيي، نقلا عن البكري، ما نصه: إن الجزوليين اللمتونيين سكنوا المنطقة التي تمتد من

سوس إلى مدينة نون الواقعة في أقصى الحدود لبلاد الإسلام هناك حيث تمتد الصحراء".

وقال الأستاذ المختار السوسي في كتابه "إيليغ قديما وحديثا" ما نصه:

كانت كل هذه الجبال التي نسميها إيداو لتيت اليوم، مواطن جزولة إلى أيت باعمران التي تسمى موطنهم قديما ببلاد لمطة، وهي من الجزولين. وقد ذكرت هذه البلاد جزولة، أعني جبال ولتيتة، وذلك في أواسط القرن الخامس (415هـ) حين دخل اللمتونيون إلى سوس. فكل من كان في هذا الفخذ فهو جزولي.

وهكذا جاءت هذه العبارات في تلك المراجع المذكورة، كلها غامضة وغير محددة لموقع جزولة تحديدا دقيقا، وغير مظهرة إلا بصيصا من نور يتلأأ بين أودية وجبال جزولة وسهولها كأنه نار الحباحب في ليلة مظلمة، وغير مبينة إلا الخيط الأبيض الرقيق من الليل الأسود الغريب. ولكن - بالرغم من ذلك - قد أفادت الناحية التي نزل بها جزولة (أبو القبيلة) وصارت ميادين لتنقلات أبنائه من بعده، وهي ما يطلق عليه السوس الأقصى. من أجل ذلك يكون المقصود بجزولة في بحثنا هذا المنطقة الواقعة بين سفح جبل درن (الأطلس الكبير) شمالا، والبحر المحيط غربا وجنوبا إلى المجرى الأدنى لوادي درعة، ورأس الوادي شرقا، بما في ذلك من السهول والجبال والشواطئ. والسلسلة الجبلية التي في وسط هذه المنطقة تسمى الأطلس الصغير، وتتصل بجبل درن بواسطة جبل سروا شمالا، وبالصحراء والبحر المحيط جنوبا.

وبعبارة أدق : جزولة هي ما يطلق عليه اليوم عمالة أكادير باستثناء ملحقة إيموزار إيداوتنان وملحقة تافنكلت. وكلتاها بالأطلس الكبير.

وقد اعتقدت - والله أعلم - أن أبناء جزولة قد انتشروا في هذه المنطقة السابقة المحدودة، لا يشاركهم فيها غيرهم إلا قليلا، بسبب الهجرة والسيلان إلى الأماكن المجاورة العاطلة كلما ضاق بهم الرزق أو وقعت كثافة، أو بطريق

التزاوج. وكثيرا ما تنتقل العائلة كلها أو بعضها لتكون إزاء كريمتها التي تزوجت إلى ناحية أخرى. وكثيرا ما يكون الولد نازحا أو سائحا في أرض جزولة طلبا للعلم أو الرزق، فينقطع حيث يطيب له المقام، ويكون عائلته ثم تتسع بمرور السنين. وفي كثير من الأحيان يصاحب النازح معه اسم قريته أو قبيلته أو عائلته، فيترل معه حيث يترل محافظا عليه، تذكرنا لمسقط رأسه وحنينا إليه. وما ذلك عنا ببعيد. فبقليل من البحث، يجد الباحث كثيرا من أسماء القرى والعائلات التي ملأت بسائط سوس تحمل أسماء قرى وقبائل وعائلات جبلية جزولية. فمن ذلك أربع قرى بقبيلة أيمسكن تسمى "أيت عباس"، حافظ أهلها على اسم قريتهم المترواح عنها بـ "إيداوسملال"؛ وكذا تافراوت، فهي اسم لعدة قرى في نواح عديدة حافظ أهلها على اسم قريتهم وقبيلتهم المعروفة بـ "أملن". وأمثلة من هذا النوع كثيرة. وأزيدك يقينا بما أقول: أن كثيرا من هذه العائلات تحافظ على رسوم أجدادها التي تحدد أملاكها في الأماكن المترواح عنها. وفي ما ذكرنا كفاية مخافة أن يطول بنا الكلام، وأن تجرفنا سيوله الجارفة.

ثم إننا استأنسنا في التحديد الذي اخترناه لجزولة بالرحلات الأربع للأستاذ محمد المختار السوسي، الذي سمى كتابه الجامع لها "خلال جزولة"، لأن عنوان الكتاب يطلق عليها اسم "جزولة". وقد استؤنفت كلها من إيلى، مسقط رأس الأستاذ الراحل.

كما استضأنا بما جاء في كتاب "تحرير السكك المغربية في القرون الماضية" لعمر بن عبد العزيز الجرسيفي الأروغي. ونصه: أهل بلاد جزولة، وهم سكان جبل لكست وما حولها ودار بها من كل جهة إلى ماسة والكهوف (إيفران) وأقا، وواد سوس؛ وما جاء في "بشارة الزائرين" في آخر ترجمة الشيخ سعيد بن سليمان السملالي الكرامي الجزولي، ونصه: "وكذا أهل حصن المنكب وأهل ماسة وأهل ساحلنا من بلاد جزولة من بحدانة ومجاطة".

فلنقنع بهذا، ما دمنا لم نقع على ما هو أقعد قبولا، وأنصح برهانا.

ثالثا : القبائل الرئيسية:

إن جزولة تعتمد وتخضع - كما هو الشأن عند البرابرة - للنظام العائلي. ومجموع العائلات التي من أصل واحد يسمى "أفوس" (اليد). و"أفوس" وحدة عائلية تخضع لسلطة الكبير في العائلة. ومجموع "إفاسن" الأيدي "يؤلف القبيلة. والقبيلة وحدة متضامنة متألّفة، ومجموع القبائل يتألف منها "أمقون" (الحلف)، وهو أكبر تجمع في النظام القبلي.

فالقبيلة هي عبارة عن جماعة من الناس تقيم في مكان واحد يرتبط أهلها بعضهم ببعض برابطة الدم والنسب، ويسعون لما فيه مصلحة القبيلة، ويراعون كذلك مصالح جيرانهم. ولم تكن للقبيلة شرطة خاصة أو جيش خاص، بل كان كل فرد من أفراد القبيلة شرطيا وجنديا يقوم بالتنظيم والدفاع، كل في محيطه. وأعيان القبيلة (إينفلاس) يجتمعون مرة كل أسبوع في الأحوال العادية للتشاور والفصل في الأمور التي تهم القبيلة مما يتعلق بالتنظيم أو الدفاع، اجتماعا ديمقراطيا بكل معنى كلمة الديمقراطية. وقد قام "العرف" أو "اللوح" إلى القانون في الأحكام، إلا في وضع العناوين.

إن الإقليم الذي نعبّر عنه - في اصطلاحنا - بجزولة، يشتمل على أربع دوائر، وهي:

1. دائرة أكلميم؛

2. دائرة إنزكان.

3. دائرة تارودانت.

4. دائرة تيزنيت.

فكل دائرة من هذه الدوائر الأربع تضم مجموعة من القبائل الكبيرة وأسرا وعائلات كثيرة يستحيل ذكرها كلها في مثل هذه العجالة، وإنما أكتفي بذكر بعض القبائل الرئيسية تسهيلا على الباحث الذي سيتخذ بحثي هذا دليلا آخر لبحث أدق وأتم وأكثر اتساعا ففي دائرة أكلميم القبائل التالية: أيت باعمران - الاخصاص - إفران - تاغجيحت - تكنا - يت أومريبيض - تامانرت - إيمي أوكادير (فم الحصن) - أقا.

وفي دائرة إنزكان : كسيمة - مسكينة - هشتوكة الغربية - هشتوكة الشرقية - هوارة (أولاد تايمه) - أيت باها - تنالت (أيت صواب) - أيت وادريم - إيدا كنيضيف.

وفي دائرة تارودانت: أولاد برحيل - أولاد يحيا - إيراثنان - أولوز - إنداو زال - إيداو كايس - إغرم - إيسافن - كطيوه - إيداو كنسوس - أيت عيلا - توفليحوزت - طاطا - نيسيت.

وفي دائرة تنزيت: ماسة - المعدر - الساحل أيت برايم - أنزي - إيداوليت - تافراوت - أمانوز - أيت وافقا.

ويصل عدد القرى في هذه الدوائر إلى ما يزيد على خمسة آلاف وخمسمائة قرية كلهم مسلمون سنيون متمذهبون بمذهب إمام دار الهجرة النبوية مالك بن أنس ، ومتحلون بالفضائل والخلال الحميدة، وهم قوم كرماء يحتفون بالضيف، ويكرمون وفادته، ويستقبلون الغريب في منازلهم ويشعرونه بأنه ينزل وسط أهله وذويه. ولهم في ذلك آثار نقلها الأخلاف عن الأسلاف، لو كانت مسطرة لحفظ منها للباحثين الخير الكثير . وقد كان لهم اقتدار كبير على الأتعاب، والصبر على شطف العيش. وكثيرون من أمهر أصحاب المحلات والمهن في مدن المغرب من البربر، ويكون أصلهم عادة من سوس.

ثم عن كل منطقة من المناطق التي تتكون منها جزولة كهشتوكة، وأيت صواب، وتافراوت، وإداولتيت، وأيتوادريم، وأيت باعمران، وما إلى ذلك، تضم قبائل متعددة وأفخادا مختلفة ترتبط فيما بينها برابطة القرابة والدم، وبالمصلحة المشتركة، وغالبا ما تؤسس الأحلاف فيما بينها وهو ما يسمى في لغتهم "امقون"، وهو الحلف. غير أن كل قبيلة تتمتع باستقلال ذاتي، ويعترف لها بالشخصية داخل الاتحاد أو الحلف المذكور، وهو ما يسمى بلغة العصر «النظام اللامركزي».

بداية الطريق

تقديم:

هذا النص الإبداعي السردي بعنوان "بداية الطريق" للأستاذ "إبراهيم أعراب"، من مواليد أكرسيف 1953، حاصل على الإجازة، ودبلوم الدراسات المعمقة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ومنذ سنة 1977م، مارس التعليم بالرباط والإشراف التربوي بأكادير وتارودانت، والإدارة التربوية بتافراوت وسلا، كاتب ومؤلف، له عدة أبحاث وكتب من ضمنها: كتابه "الإسلام السياسي والحداثة" وكتاب "الإصلاح وسؤال الهوية".

وفي هذا النص يحكي المؤلف بأسلوب قصصي تجربة روحية عاشها بطل هزم الحكاية، وهي تذكرنا بتجربة أبو حامد الغزالي في كتابه "المنقذ من الظلام" ويمكن إدراج النص ضمن النصوص السردية التي موضوعها: "التجربة الصوفية" حيث يتم اعتماد الرمزية في سرد نواحي من هذه التجربة مثل: وصف الشخصية الأساسية بكونها مصابة بالعمى، وهو هنا ليس بالضرورة حسيا أو عضويا، كما أن الظلام هو الآخر له دلالة رمزية في هذا النص كما النور.

وعموما فإن شخصية هذه الحكاية عاشت تجربة البحث عن النور والخروج من الظلام، فهل أفلحت فيما سعت إليه؟ ذلكم ما يمكن معرفته بعد قراءة هذا النص، ومهما كانت النتيجة فإن الشخصية بعد قرارها الإنصات لقلبها ستكون سالكة لا محالة لطريق طويل تتخلله مقامات وأحوال لم يحك لنا الكاتب إلا عن البداية، أما ما سيأتي بعد ذلك فربما يحتاج لنص أو نصوص أخرى لم تكتب بعد.

النص:

كان يجب نور الشمس، غير أنه لم يكن بمقدوره الاستمتاع به، يظل قابعا طول نهاره في غرفة مظلمة، مغلقة النوافذ، مسدلة الستائر، حتى لا تتسرب منها

أشعة الشمس وضوء النهار، محكوم عليه أن يظل هكذا سجين الظلام، لا يمكنه الخروج من غرفته إلا بعد أن تختفي الشمس وترحل، فهو وإياها على طرفي نقيض: حين تحضر يغيب، وعندما تغيب يحضر، ويمكنه حينئذ أن يغادر ظلامه أو بالأصح سجنه إلى أزقة المدينة ودروبها ليملأ عينيه بما حرم منه خلال النهار، هو "ابن الظلام" هكذا يحلو له أن يسمي نفسه، بين جسده وأشعة الشمس ونورها عداوة، لكن قلبه ووجدانه متعلق بها، متى حدث هذا الانفصام بين جسده ونور الشمس؟ كان ذلك منذ ولادته حيث نصح الحكماء والأطباء والده بعدم تعريض ابنه للشمس لأن في ذلك موته، فهو يعاني من مرض خبيث ونادر يلزم صاحبه بالابتعاد عن أشعة الشمس وضوئها، ومنذ ذلك وهو الآن قد تجاوز الأربعين من عمره ملزم باتباع برنامج قاس، يختفي نهارا ويظهر ليلا، يظل قابعا في غرفته المظلمة إلا من ضوء هزيل يسمح له بصعوبة بالقراءة ورسم لوحاته، ولأنه حرم من الشمس ونورها فإن كل أفكاره ورغباته وأحلامه كانت تحوم حول الشمس والنور، وقد تعلم الرسم فقط لرسم استدارة الشمس وهي تتوسط السماء، كآلهة إغريقية تسطع بجماها ونورها الذي يشع على العالم، ثم غروبها وهي محاطة بلون أحمر قرمزي، كأنها ملكة متوجة تغادر عرشها، محفوفة بفراشات حمراء وأخرى مختلفة ألوانها، على أمل أن تشرق غدا، أو بالأصح أن تبعث ولادة جديدة ليوم جديد ... كل أوراقه وجدران غرفته مليئة برسوم وصور في أوضاع مختلفة للشمس في شروقها وغروبها وفيما بينهما، وبألوان مختلفة توحى تارة بالانشراح والارتياح والسكينة وتارة بالانقباض والحزن والكآبة، وكانت هذه الرسوم والصور والألوان تعبيرات عن وجدانه المفعم بعشق الشمس ونورها، صحيح أنه ابن الظلام، ولكنه عاشق ومحب للشمس وللنور الذي ينبعث منها، ويذكر أنه حين تعلم القرآن، وأصبح قادرا على تلاوته، كان أكثر ما يستولي على وجدانه تلك السور والآيات التي يتم فيها ذكر الشمس والنور والنهار ... وكان يخشع وهو يتلو مرارا وتكرارا دون كلل أو ملل "لله نور

السموات والأرض مثل نوره ... " ويستمر على ذلك حتى يغلبه النعاس، ولأنه أصبح مهوساً بالنور، فقد قاده هذا الحب إلى البحث عن معاني ودلالات النور، ومنه إلى نور الأنوار، وقرأ ما كتبه أهل الذوق والتصوف من قبيل قوله ابن عربي "النور كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب"، أو قوله الجرجاني: "النور كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائرة المبصرات" والباصرة هي البصيرة أي قوة القلب ...

من هنا أدرك أن حقائق الأشياء لا تدرك بالعين وبالإبصار الحسي، وإنما بالبصيرة التي هي بمثابة القلب، ومن هنا جاء قولهم "بأن القلب هو النور الأزلي".

وبداً من هذا الفهم الذوقي، يعيد قراءته لسور القرآن، كسورة النور، "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كإنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية"، وسلك طريق أهل الذوق والتصوف، وكان أول ما تعلمه أن الذوق - كما يقول الطوسي - "ابتداء الشرب" ، ويقول أيضاً القشيري: "وأول ذلك الذوق ثم الشرب، ثم الري" ... وهكذا تدرج صاحبنا في مراتب ومقامات التصوف والعرفان، وأصبح قلبه يهفو للاتصال والفناء والوصول إلى مقام الشهود، وأصبحت تستولي عليه حالات من الوجد يلوذ فيها بالصمت والصوم لأيام حتى هزل جسمه، وتنبه والده إلى ما عليه ابنه، ولأنه كان يعرف داءه فقد حاول تنبيهه على ما هو عليه من مبالغة وغلو، ونصحه بقراءة كتب أبو حامد الغزالي، والابتعاد عن كتب أصحاب نظريات الاتصال والاتحاد والحلول ... أمثال ابن عربي والحلاج والسهروردي ... لكن الابن تمرد عن الوالد وأصبح بينهما بون شاسع، مع أنه عالم وفقه من فقهاء زمانه، وقرأ على يده أمهات كتب الفقه وأصوله وعلى الحديث والتفسير وأجازته، لكنه الآن مسكون بعشق الوصل والاتصال والفناء، ورست سفينته في مملكة الذوق والعرفان، وتجاوز ظاهر النصوص الدينية التي حفظها عن ظهر قلب، ومعها

كتب الفقهاء التي ما عادت تعني له شيئاً، وبذلك قتل في داخله نزوعه الفقهي الذي زرعه فيه والده سنوات تتلمذه على يده... هل هو نوع من قتل الأب هذا الذي قام به صاحبنا؟! المهم أنه سلم نفسه كلية للتصوف والعرفان متعلقاً بمذهبهم، مزمناً على قراءة ومطالعة كتبهم... وذات ليلة، وهو في غفوة بين النوم واليقظة، وكان لتوه قد انتهى من قراءة صفحات كتاب "حكمة الاشرار" للسهروردي، تجلى له هذا الأخير وهو شيخ جليل بلباس ولحية بيضاء، وعلى جبينه غرة يشع منها النور، وبدأ يشرح له ما أغلق عليه من كتابه، أنصت إليه بكل جوارحه... ومما بقي عالقا في ذاكرته من كلامه بعد زوال الرؤية "إن الظلام هو عدم النور، وأن الأشعة لا تتطور في نورانيتها إلى ما لا نهاية في النورانية بل تعود إلى نقيضتها، أي إلى عدمها أي إلى العدم".

ولما كان الظلام يساوي عدم النور، فلا بد أن يتلاشى النور في ظلام...".

عاد مجدداً إلى كتاب السهروردي، فوجد نفس الكلام حرفياً كما لقنه إياه الشيخ في رؤياه، وتساءل كيف فاته ولم ينتبه إليه فما يقوله الشيخ ينطبق عليه، فوجوده داخل غرفته المظلمة أشبه بنفس سجن في الجسد، فثنائية النفس والجسد هي في مستوى ثنائية النور والظلمة أو الظلام، فالنفس يمكن أن تفهم على أنها نور والجسد بمثابة ظلمة فكيف إذن يمكن الانفلات من قيد الجسد والخروج من كهف الظلام إلى عالم النور؟.

وجد نفسه في غمرة هذه التساؤلات في حيرة، حيث كان يعتقد أن قلقه سينتهي، فإذا به يبدأ من جديد... وبقي شيء ما من كلام الشيخ السهروردي غامضاً... كيف تعود النورانية (النور) إلى نقيضها وعدمها (الظلام)... أي كيف ولماذا يتلاشى النور إلى ظلام؟ عجز عن إيجاد الجواب، وبدأ يفهم أن الكتب وحدها غير كافية لإعطائه الأجوبة وإرشاده إلى اليقين، هل يعني هذا ضرورة وجود شيخ يوجهه ويرشده ويكون له هادياً في طريقه للحقيقة، ويصبح بين يديه - كما يقول التهانوي - "مثل الميت في يد الغسال"؟.

وبينما هو على هذا الحال من الحيرة بلغه خبر موت والده وهو يؤدي مناسك الحج عن طريق الأخ الأصغر، لم يكن في حاجة إلى بلاغه، هو رأى في نومه كيف أن والده كان يتهيأ لسفر طويل، رآه فوق دابته بلباس أبيض وأوصاه خيراً بوالدته وأخيه الصغير، لكن ماذا يمكن أن يقدم السجين؟ بكى بحرقة لفراق الوالد، وجلس شاردا يتلقى العزاء، وكان لحظتها يفكر في سؤال الموت وما بعد الحياة ومصير النفس، وهل ستؤول إلى ظلام وعدم، بحكم أن كل شيء سيؤول إلى نقيضه، النور إلى ظلام، والحياة إلى عدم؟ ... استعاد رؤياه لوالده على دابته وهو يتهيأ لسفر طويل، أحس بألم لأن والده لن يعود أبداً من هذا السفر... ورغم أن فراقه مع والده قد حدث قبل هذا بعد خلافه معه حول سلوكه طريق القوم فإنه مع ذلك حزن لفقدانه، تذكر قولة لحكيم يوناني رواقى "لا تقل أبداً عن أي شيء لقد فقدته بل قل لقد أعدته" عليه إذن أن يقبل بعودة الأمانة إلى صاحبها، والروح إلى باريها، وأن يدرب نفسه على الصبر والتحمل وعدم التعلق بأشياء ومتع الحياة الزائلة، فالكل سائر إلى الموت والفناء، وعليه فقط أن يملأ قلبه بحب الله، هكذا بدأ يستأثر به مذهب الحب والعشق الإلهي عله يجد فيه خلاصه، فأنجذب بكليته وقلبه إلى شراب الحب وخمرته، فوجد نفسه يردد مع رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي:

"أحبك حين: حب الهوى * وحباً لأنك أهل لذاكا"

فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له * فلست أرى الكون حتى أراكا

لكن صاحبنا شرب كأس الحب تلو الكأس وما ارتوى ... وقال ما قاله القشيري:

"شربت الحب كأساً بعد كأس * فما نفذ الشراب وما رويت"

لم يعد يأبه لسجنه ومرضه، ولم يعد يبحث عن علاج ... وهل هناك من علاج أشفى من الحب والإلهي؟ وسكنت قلبه وتلاشت نزوعاته للرفض والاحتجاج على ما هو عليه من مرض ومعاناة، ذلك أن كأس العشق التي شربها صاحبنا قد فعلت فعلها لأنها وكما قال عنها القشيري: "كأس لها وهج إذا استقر في الحواس، وسكن النفوس تلاشت ... " وكان مع ذلك ما زال يشوب حياته قلق ما، خوفاً من أن يكون سيره في طريق الخاطيء، ما دام بدون مرشد أو موجه، غير ذلك الحب أو الوهج الذي يسكن قلبه، تساءل هل ينصت لقلبه أم يرحل بحثاً عن شيخ يسلم له زمام أمره؟

ازدادت عزلته، وقلل من خرجاته الليلية بعد غياب الشمس، لم يعد يجد متعة كما في السابق من تلك الجولات التي بدت له بدون معنى، وخاليه من أية فائدة، فكل الأشياء والأمكنة شاهدها، ولم يعد هناك ما يثير فضوله، وانكفاً على ذاته وكتبه وراودته فكرة أن يسجل سيرته ومسار حياته من الشك إلى اليقين، ومن الظلام إلى النور، واستحضر تجربة الغزالي في سيرته الفكرية والروحية: "المنقذ من الضلال" كانت هذه مناسبة ليعيد قراءتها مجدداً... وبينما هو يقلب صفحاتها فاجأه ضبابا كثيفا يحول بينه وبين القراءة، اشتكى ذلك إلى أخيه، زاره الطبيب، فحص عينيه قال له: "أخاف أن تفقد قدرتك على الإبصار والرؤية، فثمة مرض خطير أصاب شبكية عينيك وحتما سينتهي إلى إصابتك بالعمى الكامل!!!".

سأله هل تعرف أحدا يعالج هذا المرض؟ أجابه الحكيم: "الله وحده هو الذي يعالج" فهم أن ثمة في كلامه إشارة إلى استحالة علاج مرضه، تأسف للحظات الممتعة التي كان يقضيها في رفقة الكتب، وكيف أنه لن يستطيع بعد هذا المرض أن يعيشها في المستقبل، في اليوم التالي، استيقظ ليجد نفسه غارقا في الظلام كما توقع طبيبه، تملكه شعور باليأس، وتعجل الموت، لكن الوهج الذي في قلبه أسعفه، ففسر العمى الذي أصابه على أنه ابتلاء واختبار، والبلاء لدى أهل

التصوف لباس الأولياء، وكلما كان البلاء مرضا أو آلاما أكثر قوة على الإنسان فإنه يكون أكثر قربا للحق، وهكذا انصرف إلى المجاهدة والعبادة وقضاء نهاره وأغلب ليله في التجهد واستظهار ما حفظه من القرآن والأذكار بعد أن أصبح غير قادر على القراءة، راضيا بما أصابه من بلاء، متأسيا بقول ذي النون المصري: "الرضا سرور القلب بمر القضاء"، ومتسائلا: ما الحب إذا لم يكن رضا المحب بأذى المحبوب والتلذد بكل ما يرد منه ولو كان ألما؟ فابن الفارض كان يقول:

"وكل أذى في الحب منك إذا بدا * جعلت له شكري مكان شكيتي"

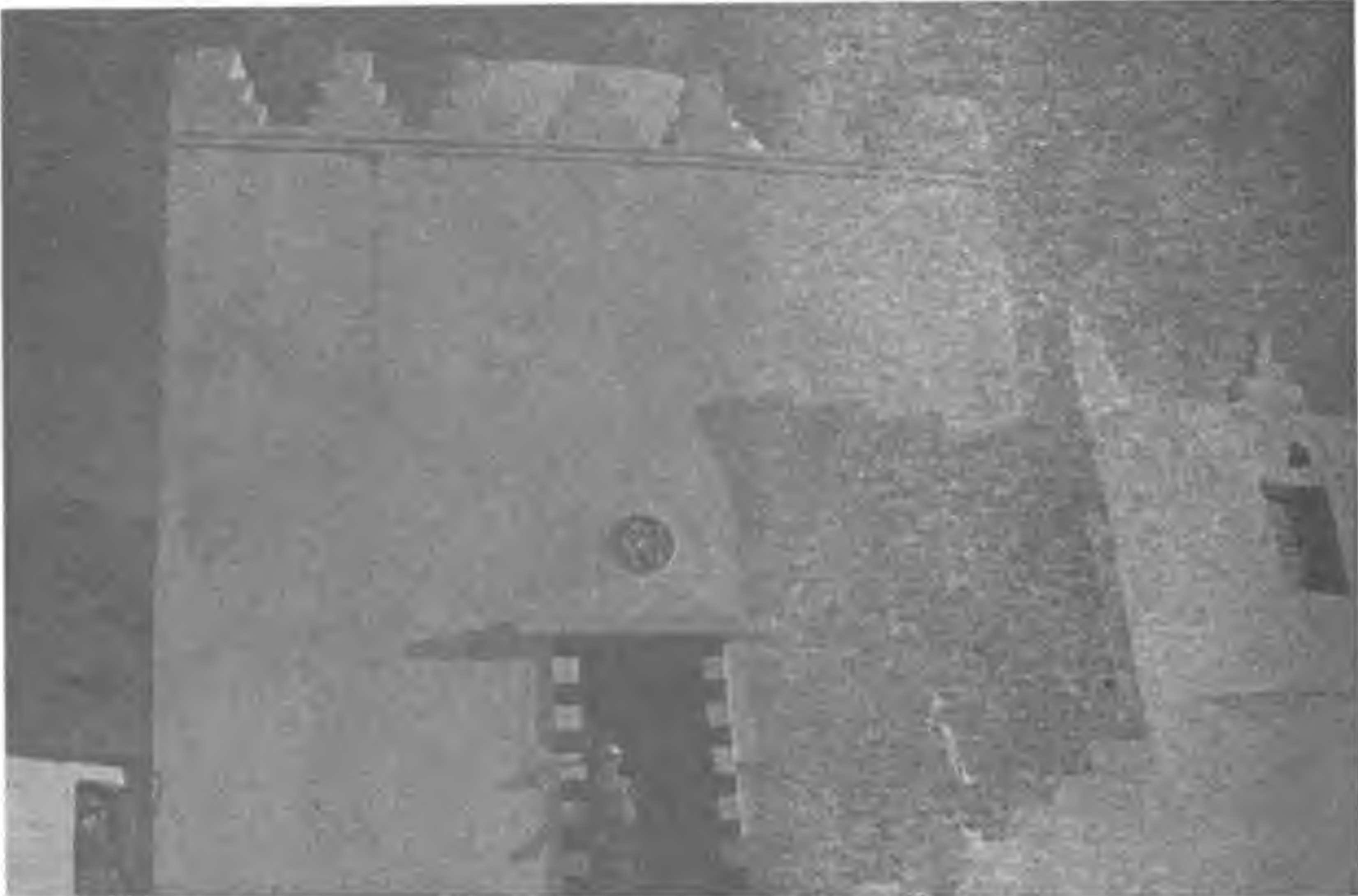
لا مجال إذن للشكوى بل عليه بالشكر، هذا ما قاله مواسيا نفسه آملا في لقاء المحبوب والتوحد معه والامتزاج به كما تمزج الخمرة بالماء الزلال، على حد قول الحلّاج.

غير أن الطريق طويل ووعر وشاق وهو يخشى من الخطأ والزلل، فهل ينصت لقلبه؟ أم عليه أن يبحث عن شيخ يرشده؟ ومن يدري أن القلوب تكذب علينا وتخوننا وتوقعنا في الخطأ؟ لكن أين يمكنه العثور على هذا الشيخ الذي سيرشده في زمن كثر فيه أدعياء المشيخة؟

استبد به التعب فأغمض عينيه ليستريح، أخذته سنة من النوم رأى فيها نفسه وهو يسير في صحراء شاسعة قاحلة وتحت شمس محرقة لا وجود لظل شجرة أو لنبته وحين اشتد به العطش بحث عن قربة مائه ليطفئ لظى عطشه، وجدها فارغة، أحس بجفاف في حلقه لحد الاختناق، اشتد عليه العطش وشارف على الموت، وفيما هو على هذه الحالة إذ وقف عليه شيخ بهي الطلعة أبيض اللحية والثياب مد له يديه فإذا أصابعه تقطر ماء زلالا، فغرفاه وبدأ يشرب ليرتوي، لكن الشيخ أبعدته وقال له يكفيك هذا الآن، ثم أشار إلى صدره قائلا له: "قلبك شيخك فاصغ إليه" ثم اختفى... أفاق من غفوته وفي أذنيه صوت الشيخ لا زال يتردد "قلبك شيخك فاصغ إليه" فهم الإشارة وأدرك أنه في أول الطريق.



طفلات يتعلمن القرآن في مسجد أكر سيف



ضريح الشيخ أبو بكر بن نعمان الكرسيفي من القرن (7هـ) دفين تادارت (أملن)،
وهو الجد المؤسس للزاوية والمدرسة الكرسيفية



ذبائح قرب ضريح الشيخ الحسن بن عبد الله بمناسبة زيارة قبيلة إبرك
لأكرسيف وهو تقليد قديم ومتوارث منذ أجيال



ذبائح على مقربة من ضريحي سيدي خالد بن يحيى وسيدي وزان



جانب من المدرسة العالمية العتيقة ويرجع تاريخ تأسيسها للقرن (12هـ)



اعداد وجبة (تأكلاً) : العصيدة بمناسبة ما يسمى بالمعروف ويتم تحضيرها من طرف النساء وتوزع على الأهالي بالزاوية



ضريح الشيخ حسن بن عبد الله المعروف ببوتزكارت وهو أحد أعلام الزاوية
الكرسفية من القرن (11 هـ)



ضريح الشيخ خالد بن يحيى أحد كبار صوفية القرن (9 هـ) وورد ذكره في كتاب
دوحة الناشر لابن عسكر الفشتالي



جانب من مقبرة أكر سيف ويرجع تاريخها إلى العصر السعودي



مصحف بخط اليد من مخطوطات مدرسة أنيكيو وهو من القرن 13 هـ
محبس على المدرسة

المراجع

المحتويات

المراجع (ببيلوغرافيا)

1 - باللغة العربية :

- ابن الزيات (يوسف بن يحيى التادلي) : التشوق إلى رجال التصوف تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب الرباط 1984.
- ابن خلدون (عبدالرحمان) : المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن زيدان عبدالرحمان: إتحاف أعلام الناس، ط1، المطبعة الملكية، الرباط 1931.
- ابن عسكر محمد الحسني: دوحة الناشر، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، البيضاء، ط3، 2003، تحقيق محمد حجي.
- ابن قنفذ (أحمد بن حسين القسنطيني) : أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط 1965.
- أبي خزام أنور فؤاد : معجم المصطلحات الصوفية، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 1993.
- أزايكو (علي صدقي) : تاريخ المغرب والتأويلات الممكنة، مركز طارق بن زياد 2002.
- أزايكو (علي صدقي) : فتاوى بعض علماء الجنوب بخصوص نظام انفلاس بالأطلس الغربي أوائل القرن السابع عشر، ضمن التاريخ وأدب النوازل، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995.

- أزايكو (علي صدقي) : نماذج من أسماء الإعلام الجغرافية والبشرية المغربية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2004.
- أعراب إبراهيم : سؤال الإصلاح والهوية، إفريقيا الشرق، البيضاء 2007.
- آفا عمر : المؤلفات الفقهية الكاملة، للعلامة عمر بن عبدالعزيز الكرسفي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 2006.
- آفا عمر : النقود المغربية في القرن الثامن عشر، أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1993.
- آفا عمر : مسالة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19 (سوس 1822-1906) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير 1988.
- أومليل (علي) : السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، 1996.
- إيكلمان (ديل أف)، المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، ترجمة محمد أعيف، مركز طارق بن زياد، مطبعة دار النجاح الجديدة، البيضاء 2000.
- بروفنصال (ليفي) : مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط، 1977.
- البزاز محمد الأمين: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب الرباط 1992.
- البعقلي (محمد بن أحمد) مناقب البعقلي، تحقيق محمد المختار السوسي، مطبعة الساحل، الرباط، ط1. 1987.
- التازي (عبد الهادي) : المرأة في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، 1992.

- التمنارقي عبدالرحمن : الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 1999.
- الجابري محمد عابد : المغرب المعاصر، السياسية والديني في المغرب، مؤسسة النشرة للطباعة والنشر، البيضاء، ط1، 1988.
- الجابري محمد عابد : تطور الانتلجانسيا المغربية : الأصالة والتحديث في المغرب، ضمن مؤلف جماعي الانتلجانسيا في المغرب العربي، دار الحداثة، بيروت لبنان، 1984.
- الجرجاني (علي بن محمد)، التعريفات، بيروت، 1969.
- جلاب حسن : محمد بن سليمان الجزولي، مقارنة تحليلية لكتابه الصوفية، مطبعة بتنمل، ط1، مراكش 1993.
- حجي محمد : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين (في جزئين) مطبعة فضالة، 1978.
- الحساني (إبراهيم بن علي)، ديوان قبائل سوس في عهد أحمد المنصور الذهبي، تحقيق عمر آفا.
- حسن مسكين : الكرامات الصوفية المغربية، دراسات سيميائية مجموعة باحثين، جذور للنشر، ط1، 2006.
- الحضيكي أحمد بن محمد : طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، البيضاء، 2006.
- حنداين محمد : المخزن وسوس (1672-1822) ط1، دار أبي رقرق، 2005.
- زونات زكية: ابن مشيش، شيخ الشاذلي، ترجمة احمد التوفيق.
- الساحلي عمر : المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس، دار النشر المغربية، البيضاء 1988.

- السوسي (رضى الله عبدالوافي) دليل مخطوطات ومؤلفات المرحوم العلامة محمد المختار السوسي، مطبعة الساحل، الرباط، 1988.
- السوسي محمد المختار : الالغيات : مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963.
- السوسي محمد المختار : المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية، منشورات كلية الشريعة، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1995.
- السوسي محمد المختار : المدارس العلمية العتيقة، وخصائصها بسوس، ط1، القنيطرة 2003، .
- السوسي محمد المختار : المعسول (الجزء : 17) مطبعة النجاح، البيضاء 1963.
- السوسي محمد المختار : ايلغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الرابعة، 2005.
- السوسي محمد المختار : خلال جزولة (الأجزاء الأربعة) مطبعة المهدية، تطوان.
- السوسي محمد المختار : رجالات العلم العربي بسوس ط1، طنجة 1989.
- السوسي محمد المختار : سوس العالمة، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1984.
- الضعيف محمد الرباطي: تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري نشر دار المأثورات، ط1، 1986.
- العبادي محمد، فقه النوازل بسوس (من القرن التاسع إلى نهاية القرن 14 هـ) قضايا وأعلام منشورات كلية الشريعة، أكادير مطبعة دار النجاح، البيضاء.

- العثماني أحمد، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي.
- العروي عبدالله : مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999.
- الفاسي أبو عبدالله المهدي : ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع، تحقيق عبدالحفي العمروي، وعبدالكريم مراد. مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1. 1994.
- الفاسي علال : التصوف الإسلامي في المغرب، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة الرسالة.
- القادري محمد الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني، مطبعة النجاح الجديدة 1982.
- قبلي (محمد) : الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط توبقال، الدار البيضاء 1997.
- قبلي (محمد) : حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط مقدمات أولية وقضايا، نشر الفنك، 1998.
- قبلي (محمد) : مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط دار توبقال، الرباط 1987.
- لطفي عيسى : مغرب المتصوفة، الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي عن القرن 10م إلى القرن 17م. مركز النشر الجامعي، تونس، 2005.
- لوتورنو (روجي): فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي والأخضر غزال.
- مجدي (محمد إبراهيم) : التصوف السني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط:1، 2006.

- مجهول (الرسموكي) وفيات الرسموكي، تحقيق محمد المختار السوسي، مطبعة الساحل، الرباط، ط1، 1988.
- محمود عبدالقادر : الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانتها من الدين والحياة، دار الفكر العربي؟ ن ط: 1، القاهرة، 1967.
- المصباحي محمد : المنظومات التعليمية بسوس دراسة وبيلوغرافيا، مطبعة النجاح، ط1، 2004.
- المنوني محمد : المصادر العربية لتاريخ المغرب، (في جزئين) منشورات كلية الآداب بالرباط، 1983.
- الناصري أحمد السلاوي : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، البيضاء 1956.

2 - بالفرنسية :

- Bellaire (Michaux) : Essai sur l'histoire des confrères Marocaines
- Histoire du Maroc, Hatier مؤلف جماعي بالفرنسية.
- Justinard, colonel. Notes sur l'histoire du sous aux XIX, Hespéris, TV, 3° trimestre.
- Laroui, Abdellah, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830, 1972), éd, centre culturel. Arab, Casa 1993.

3 - مجلات :

- الزوايا في المغرب - مجلة المناهل - (في عددين) عدد 81/80 فبراير وشتنبر 2007.
- مجلة كلمة، العدد الرابع، السنة الأولى مايو 1972.

▪ محمد المختار السوسي، سلطة المعرفة وسؤال الهوية مجلة المناهل، عدد (75-76)، أكتوبر 2005.

▪ نظيمة الزوايا في علاقتها بالمجتمع والسلطة، مجلة أمل : عدد 33/22 السنة الثامنة، 2001.

4 - ندوات :

▪ الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب. منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات: 1997.

▪ مدينة تزنيّت وباديتها، في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة، منشورات كلية الآداب، أكادير أعمال لأيام دراسية، سلسلة الندوات، 1993.

المحتويات:

7.....	مقدمة
	القسم الأول: إضاءات حول المدرسة والزاوية الكرسيقية
13.....	وتاريخها
	1- المدرسة والزاوية الكرسيقية من تأسيس إلى القرن
15.....	الثالث عشر الهجري (18م)
	2- تراجم الكرسيقيين في مؤلفات المختار السوسي
	لتاريخ
44.....	الصلحاء وأسرهم بالبادية المغربية
55.....	القسم الثاني: نماذج لأعلام من الزاوية والمدرسة الكرسيقية
	1- خالد بن يحيا الكرسيقي (9هـ) متصوف الشوق
57.....	والمحبة والتوحيد
	2- الفقه ومجتمع البادية: النوازل والفتاوي الفقهية لعمر
72.....	بن عبد العزيز الكرسيقي (ق 13هـ)
	3- حركة ومهدوية عبد الله الكرسيقي في القرن (12هـ)
85.....	من خلال بعض المصادر التاريخية بين الهامش والمركز
105.....	القسم الثالث: النخبة السوسية والإصلاح
107.....	1- النخبة السوسية بين المحلي والوطني
	2- المرأة والحقل الديني ببادية سوس: نماذج نساء
123.....	متصوفات وفقهات من جزولة

137.....	القسم الرابع: ملاحق ونصوص
-	الرسالة التوغزيفية في نسب الكرسيفيين لمحمد بن الحسن
139.....	التوغزيفتي
-	وصف لرحلة حجة لمحمد بن بلقاسم الكرسيفي
148.....	(آل العالم)
-	المناظرة الفقهية الكرسيفية والفاسية لأحمد بن عبد الله
153.....	الكرسيفي الأسكاري (المفتي)
-	رسالة السعاية في حقوق المرأة لعمر بن عبد العزيز
169.....	الكرسيفي الإرغي
174.....	فتوى حول الإحرام لعمر بن عبد العزيز
178.....	قصيدة مضي عمري لعمر بن عبد العزيز
-	قصيدة في رثاء الشيخ حسن بن عبد الله لعبد العزيز بن محمد
181.....	الكرسيفي
184.....	قصيدة للشيخ الصوفي خالد بن يحيا الكرسيفي: الخلدية
-	قصيدة للشيخ الصوفي خالد بن يحيا الكرسيفي: نتيجة
189.....	الإلهام في وصف دار السلام
-	نموذج لتراجم الكرسيفيين ومسار عالم سوسي: الحاج
192.....	عبد الله شاكر الكرسيفي كما ترجم له محمد المختار السوسي
-	شخصية الفقيه الشيخ الحاج الحبيب مدرس تنالت بقلم:
198.....	للأستاذ محمد العثماني الكرسيفي السكاوري مع ترجمة لحياته
-	ما هي جزولة؟ محمد بن عبد الله العثماني الكرسيفي
208.....	الأسكاوري مع ترجمة له بقلم ابنه سعد الدين العثماني
224.....	بداية الطريق "نص أدبي للأستاذ إبراهيم أعراب مع تقديم له"

